الخرافات الوفور
في زيارات القبور

المؤلف:

آية الله سيد أبوالفضل البرقعي القمي رحمه الله

١٣٢٩-١٤١٣هـ

نقله إلى العربية:

احمد ظاهر أسلمیار رحمه الله

هذا الكتاب تم تنزيله من موقع العقيدة

www.aqeedeh.com

العنوان البريدي: book@aqeedeh.com

بعض المواقع الإسلامية النافعة باللغة الفارسية

www.aqeedeh.com
www.islamtxt.com
www.ahlesonnat.com
www.isl.org.uk
www.islamtape.com
www.blestfamily.com
www.islamworldnews.com
www.islamage.com
www.islamwebpedia.com
www.islampp.com
www.videofarda.com
www.nourtv.net
www.sadaislam.com
www.islamhouse.com
www.bidary.net
www.tabesh.net
www.farsi.sunnionline.us
www.sunni-news.net
www.mohtadeen.com
www.ijtehadat.com
www.islam411.com
www.videofarsi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات ١
مقدمة الناشر ٥
حياة الـمؤلف بقلمه ٩
نسب المؤلف: ٩
الدراسة الابتدائية ١٠
الدراسة الحوزية: ١١
البرقعي والآخرون ١٣
كتاب الغدير للعلامة عبد الحسين الأميني التبريزي والبرقعي ٢٠
شيوخه: ٢١
أنا ودعبل الخزاعي ٢٩
إلى الشباب: ٢٩
مقدمة ٣١
أين أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم؟ ٣٥
هل يطلع الأنبياء والأولياء على زائريهم؟ ٣٧
الآيات القرآنية فيمن يدعو غير الله ٤٧
كلام علي عليه السلام في الأموات ٤٩
الزيارة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ٥١
هل تعود أرواح الأولياء إلى الدنيا؟ ٥٢

هل مهمة الإنسان مدح السابقين وذمهم؟ ٥٣
هل بناء الزيا رات سنة الأنبياء؟ ٥٥
تنبيه ٦١
الأحاديث المتعلقة بتعمير القبور وتجديد بنائها ٦٣
مسألة احترام الأموات وزيارة القبور ٦٩
من دفتر الذكريات ٧٣
دراسة آداب الزيارة ٧٥
الآيات القرآنية وجُمل الزيارات ٨١
الباب الثاني من أبواب زيارة رسول الله ﷺ ٨٩
باب زيارة الرسول ﷺ من بعيد ٩٢
باب زيارة السيدة الزّهراء عليها السلام ٩٣
باب زيارة أئمة البقيع ٩٥
الباب المحير (فضل النجف وماء الفرات): ١٠٢
باب فضل زيارة علي عليه السلام ١٠٥
باب الزيا رات المطلقة ١٠٧
ثواب الزيارة في عيد الغدير وسائر الأوقات وزيارة السيدة المعصومة: ١٤١
زيارة يوم السابع عشر من ربيع الأول ١٤٧
زيارة ليلة المبعث ويومه ١٥١
نظرة إلى أبواب زيارة الحسين ١٥٥
باب وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ١٥٧
باب فضيلة الصلاة في مزار الإمام الحسين عليه السلام ١٦٠
باب الزيا رات المطلقة ١٦٣
زيارة الـ٣١: جابر بن عبد الله ومقارنتها بروايات أخرى ١٦٨

الزيارة الـ٣٢ الـمنقولة عن صفوان ١٦٩
الزيارة الـ٣٣ الـمنقولة عن الشيخ مفيد ١٦٩
الزيارة الـ٣٤ الـمنقولة عن ابن طاووس ١٧١
الزيارة الـ٣٥ الـمنقولة عن ابن طاووس عن رجل مجهول ١٧٥
الزيارة الـ٣٦ الـمنقولة عن جابر الجعفر ١٧٦
الزيارة الـ٣٧ الـمنقولة عن الكفعمي ١٧٧
الزيارة الـ٣٨ الـمنقولة عن السيد الـمرتضى ١٧٧
الزيارة الـ ٣٩ وما بعدها ١٧٩
باب الزيارة في التقية وتجويز إنشاء الزيارة **١٨١**
الزيارة الجامعة: **١٨١**
مع الناس ١٨٦
نتائج شيوع هذه الخرافات: **١٩١**
مع القارئ: ١٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

أيها القارئ العزيز:

قد يحدث أن تقرأ موضوعاً ما، فيبدو أمام ناظريك في هالة من الغموض والإبهام ولا تقدر على سبر أغواره، أو تتلقف نبأ من بعيد، فيغد ومتعباً لك ومحيراً، فيجعلك في دوامة ريثما يتم التثبت منه، وخاصة إذا كان النبأ هاماً.

إن الصراع بين المذاهب والآراء العقَدية، والاتجاهات الفكرية، لم يزل مستمراً منذ عدة قرون، وقد دفع عجلة هذا الصراع إلى الأمام أكثر فأكثر، ووفر له وسائل وطرقاً للنشر والدعاية لم تكن متاحة من قبل الثورة التقنية الحديثة، والانفجار الاقتصادي الهائل، فلجأ كثير من هذه المذاهب والاتجاهات إلى هذه الوسائل المتوفرة، لنشر دعاياتها في نطاق أشمل وأوسع، فثارت من جرَّائه مئات من الشبهات، تعترض طريق أهل الفكر والبحث، ومنهم من يقف واجماً أمامها. ومن هذه المذاهب التي تحظى بنفوذ قوي ودعاية مكثفة، المذهب الاثني عشري الشيعي، الذي لا يمثل إلا خمسةً في المائة من مجموع أهل الإسلام، ولكنه يتمتع بنفوذ سياسي قوي، وإمكانيات اقتصادية رهيبة، فينشر من خلاله سيلاً من الشبهات، وطوفاناً من الدعايات. وبعض هذه الدعايات الهدف منها «الاستبصار» وهوعملية اهتداء أهل السنة بالمذهب الشيعي.

يدَّعي دعاة التشيع بتبجحٍ أن عدداً من شخصيات مرموقة من أهل السنة قد تركوا عقائدهم واعتنقوا المذهب الشيعي. هراء عريض دونه خرط القتاد.

يدَّعون أن فلاناً مصرياً أو أردنياً أو أفريقياً أو.... قد اهتدوا، وهؤلاء ليسوا من عامة الناس، بل من رجالات الفكر والبحث، والعجيب أن هذا الفتح العظيم يتم في ظل ما يسمى بعملية وحدة وتقريب المذاهب الإسلامية. هذا هو الإسلام الخالص الذي يدَّعونه غاصٌ بالتناقضات، وهذا غيض من فيض. إذا كان الهدف هو الوحدة، فما الداعي لعملية الاستبصار؟ وإذا كان الهدف هو الاستبصار، فماذا يعني شعار الوحدة والتقريب، وأين هذه الدعاوى الفارغة من الحقائق المطروحة على الساحة؟ وأين الاستبصار؟ بل وأين تشيع علماء السنة ووجهاؤهم؟ أفراد مجهولو الهوية مغمورون في المجتمع أخرجوا لهم سيناريوهاً بأنهم اهتدوا!!.

أناس في مجاهيل آسيا وأدغال أفريقيا يتشيعون، بل ويتنصرون سداً لجوعتهم وفراراً من آلام الحياة وكابوس الفقر المدقع، لكن أين علماء السنة وأفرادهم المبرزون الذين اهتدوا كما زعمتم؟ أما في المقابل، فنشاهد أن شخصيات كبيرةً وحقيقيةً يتركون الخرافات وراءهم ظهرياً، ويختارون طريق الحق عن علم وعقل، لكن أهل الاستبصار يحاولون الإبقاء عليهم في الظلمات، والحيلولة دون وصول أثر من آثارهم إلى الناس.

والحقيقة أن هؤلاء الناس الذين انتقلوا من المذهب الشيعي إلى الحق، ليسوا علماء فحسب بل دعاة كسائر دعاة أهل السنة إلى الوحدة الحقيقية.

وفي هذه العجالة، أسرد أسماء شخصيات بارزة غير العلامة البرقعي، الذين قد خلفوا آثاراً علمية[1].

١- آية الله السيد علي أصغر البنابي التبريزي

٢- العلامة السيد إسماعيل آل إسحاق الخوئيني الزنجاني

١- لأنكم تتعرفون عليه من خلال قلمه.

٣- الأستاذ حيدر علي قلمداران القمي

٤- آية الله شريعت سنكلجي الطهراني

٥- الدكتور يوسف شعار التبريزي

٦- المهندس محمد حسين برازنده المشهدي

٧- حجة الإسلام الدكتور مرتضى رادمهر الطهراني

٨- الأستاذ علي محمد القضيبي البحريني

٩- آية الله العظمى محمد بن محمد مهدي الخالصي العراقي

١٠-آية الله أسد الله الخرقاني

١١- الدكتور صادق تقوي

١٢- الدكتور علي مظفريان الشيرازي

١٣-علي رضا محمدي الطهراني

والرجاء من القارئ، أن يقرأ الكتاب بإمعان وروية وليحكم بنفسه ما الحق؟ وأين الباحث الحقيقي عن الحق؟ ومن الذين يحق لهم أن يسيروا في جادة الاستبصار؟

وهنا نتوجه بالنداء- وكلنا جد وإخلاص- إلى دعاة الشيعة ونطالبهم بالكف والامتناع عن كيل السب واللعن لصحابة رسول الله ﷺ، والاستنكاف عن الدعايات المغرضة لثني أهل السنة عن مبادئهم، اذا أرادوا الوحدة الحقيقية بين المسلمين، لكي تقدر الأمة على أن تقف صلبة راسية وتذود عن مقدساتها. لكنكم اذا أردتم باسم الوحدة والتقريب، أن تَحرفوا بعض السذج من أهل السنة عن مبادئهم وأصولهم، وتُبعدوهم عن السنة، وتسوقوهم إلى المذهب الشيعي الاثني عشري، فاعلموا أن المسلمين في نهاية الأمر يكتشفون خبايا نفوسكم، وستذهب مساعيكم الجبارة أدراج الرياح. فنتمنى من عقلاء الشيعة أن يدركوا الحقائق،

ويقفوا في صف واحد مع الـمسلمين، ويفكروا في الوحدة العملية الحقيقية، وعليهم أن يقفوا سداً منيعاً أمام عواطفهم الصبيانية، لأن مصلحة الإسلام العليا أهم من مصالح مذهب وطائفة، وأن الوحدة لن تتحقق بالسب والطعن واللعن، والدعوة إلى الـمذهب الشيعي.

أيها القارئ العزيز:

جدير بالذكر أن مؤلف هذا الكتاب، آية الله العظمى السيد أبوالفضل البرقعي القمي ونحن رأينا أنه من الـمناسب أن نتعرف على هذا العلاَّمة من خلال قلمه السيال، فاخترنا نُبَذاً متفرقة من كتابه «سوانح أيام» أو «الذكريات» وقد كتبه بقلمه. تتعرفون على شخصيته الفذة من خلال ترجمته، ونؤكد على مزيد من الـمعلومات حول هذه الشخصية الـمجهولة في إيران، أن تطَّلعوا على جميع مؤلفاته خاصة كتابه الـمشار إليه.

حياة الـمؤلف بقلمه

الحمد لله الذي أنعم عليّ بالتمييز بين الحق والباطل وهداني إلى سبيله، الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إلهي! أنت دللتني عليك، ولولا أنت لـم أدر ما أنت، والصلاة والسلام على رسوله الـمصطفى وأصحابه وأتباعه الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم لقائه. وبعد:

ألحَّ علي بعض الأصدقاء والذين يسيرون على منهجنا، أن أكتب أنا العبد الفقير أبوالفضل بن رضا البرقعي عن تاريخ حياتي، متضمناً أيضاً عقيدتي التي أؤمن بها، حتى لا يتمكن الأفَّاكون من بعد مماتي أن يفتروا عليَّ، لأن من تصدَّى لخرافات من تظاهروا بالتقديس، له أعداء كثيرون، إذا رأوا من يخالفهم في العقيدة لم يألوا جهداً في رميه بالكفر والفسق، مبتغين في ذلك الأجر والثواب. وقد اختلقوا أحاديث في كتب الحديث، إذا اطلع عليها إنسان له باع قصير في العلم يخالها صحيحة. على أي حال، لا أراني أهلاً وأنا ذرة تافهة أن يكون لي تاريخ حياة، ولكنني استجبت لإلحاح الأصدقاء فلم أمتنع عن إجابتهم، وعزمت أن أكتب شيئاً عن تاريخ حياتي بإيجاز، مع أنني أشرت إلى زوايا من حياتي في مؤلفاتي، ولكن لأهميتها أرى لزاماً عليَّ أن أُعرِّج عليها أيضاً.

نسب المؤلف:

اعلم أن الكاتب من أهل مدينة قم، وجدِّيَ الثلاثون دخلها واستوطنها. اسمه موسى الـمبرقع بن الإمام محمد تقي بن على موسى رضا عليه السلام وقبره مشهور، ولأن سلسلة نسبنا تصل إلى الـمبرقعي سمونا البرقعي، وتصل أيضاً إلى الإمام رضا فيسموننا برضوي أو ابن الرضا.

وهذا الاسم الأخير (ابن الرضا) مدرج في بطاقة هويتي. وشجرة نسبي موجودة في كتب الأنساب، وقد ذكرتها في كتابي المسمى بتراجم الرجال في باب الألف كالتالي:

أبو الفضل بن حسن بن أحمد بن رضي الدين، بن مير يحيي بن مير ميران بن اميران الأول، ابن مير صفي الدين بن مير أبي القاسم بن مير يحيي بن السيد محسن الرضوي، الرئيس بمشهد الرضا، من أعلام زمانه بن رضيِّ الدين بن فخر الدين علي بن رضيِّ الدين حسين بادشاه بن أبي القاسم علي بن أبي علي محمد بن أحمد بن محمد الأعرج بن أحمد بن موسى المبرقع، ابن الإمام محمد الجواد. رضي الله عن آبائي وعني وغفر الله لي ولهم.

إن أبا السيد حسن لم يكن معتنياً بالدنيا، إنما كان فقيراً ومن أزهد الناس، وكان في شيخوخته وقد نال منه الضعف والخوَر، يشتغل في فصل الشتاء في ظل الطقس البارد، وقد كان مرتاح البال، يقيم الليل صاحبَ عبادة، وكان متواضعاً وكريماً. أما جدي الأول أي والد أبي السيد أحمد المجتهد قد كان مجتهداً مكافحاً، وهومن تلاميذ الشيرازي صاحب الفتوى الشهيرة في تحريم التبغ، وقد كان جدي محطَّ نظره وقد ذكرتُ في تراجم الرجال أن جدي عند الوصول إلى رتبة الاجتهاد، انتقل من سامراء إلى قم، وأصبح مرجع الناس في أمور دينهم وحل قضاياهم الشرعية، أثاث بيته كبيت سلمان الفارسي، وحياته كحياة أبى ذر بعيدة عن التنميق والزخرفة، وما كان يطمع في مال الناس.

الدراسة الابتدائية

لم يكن أبي يملك من الدنيا شيئاً، فلم يكن باستطاعته تعليمنا، لكن حماس أمي ومحاولاتها دفعتني إلى المدرسة، فكانت ترسل شهرياً ريالاً واحداً كراتب للمعلم.

أمي (سكينة سلطان)، امرأة عابدة زاهدة أبوها الحاج الشيخ غلام رضا القمي، صاحب كتاب (رياض الحسيني). والحاج الشيخ غلام الواعظ والحاج الشيخ علي المحرر أخواها، وقد كتب الشيخ غلام حسين كتاب (فائدة الممات).

كانت أمي امرأة ذكية، وفي عام القحط وعند دخول الروس إيران في الحرب العالمية الأولى، أنقذت أولادها من القحط بتوفيق من الله، وقد كان لي من العمر آنذاك خمس سنوات.

وفي أيام طفولتي ما كنت أعبأ بالمعلم، وكنت أتعلم الكتابة والقراءة رويداً رويداً من الطلاب، ولم يكن في القديم فصل دراسي يجتمع فيه الطلاب ولهم معلم واحد، بل كانت دروساً خاصة، ولأنني ما كنت أدفع الراتب الشهري، فلم تكن لي دروس خاصة وكنت أتقدم في الدرس في ضوء دروس الطلاب، بل ما كنت أملك دفتراً ولا ورقة، وكنت أستعين بأوراق محلات البقالة وبيع العطور، وعليَّ أن أشكر الله عز وجل أنه لم تكن فصول على غرار الفصول الدراسية الجديدة اليوم، فصول جافة ومُكلِفة، ولا يُسمح للطالب بالدخول إلى الفصل إلا أن يكون في حوزته عدة دفاتر وكتب، وإلّا فكيف كنت أتعلم؟ لأنني ما كنت أقدر على تهيئة قلم واحد وورقة واحدة.

الدراسة الحوزية:

بعد أن أنهيت دراسة الفارسية والقرآن الكريم، نزل الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي – والذي كان محط أنظار الناس– مدينة قم بناءً على دعوة أهلها واستوطنها، وأنشأ لطلاب العلوم الشرعية حوزة علمية – وكان عمري آنذاك عشراً أو اثنتي عشرة سنةً – عزمت أن أشارك الطلاب دروسهم، فذهبت إلى المدرسة الرضوية في السوق القديم، وأردت تهيئة غرفة استعداداً لمواصلة دراستي الشرعية. السيد محمد صحاف – وهوابن خالة أمي – كان يتولى أمور المدرسة ويتصدى لإدارتها ويشرف عليها، لكنهم لم يعطوني غرفة لصغر سني

فلم يجدوا لي إلا مكاناً في مسافة متر واحد واقعاً في فناء المدرسة، وكان الفرَّاش يضع فيه السطل والمكنسة، فتفضل عليّ الفرّاش فنصب للمكان باباً مكسّراً، وأنا أيضاً أتيت بسجادة من البيت وجعلتها فرشاً لهذا المكان، فواصلت دراستي وكنت أقضى الليل والنهار في هذه الغرفة الصغيرة المتواضعة جداً، وما كانت تقيني من الحرارة والبرودة، لأنها كانت مليئة بالثقوب... قضيت سنتين في هذه الغرفة، اشتغلت تارة عند علاّف، وتارة عند تاجر، حتى أتمكن من تهيئة مبلغ لمواصلة دراستي، وما وجدت محفِّزاً من أهلي أو أقاربي ولا حتى من أهل قم، للمضي قدُماً في هذا الدرب.

أنهيت دراسة كتابَي "المغني "و"الجامي" في التصريف والنحو وحضرت الاختبار عند الشيخ عبد الكريم الحائري وبعض العلماء. حيث كان الطلاب يجتمعون عندهم للاختبار فاجتزته بنجاح. وبناء عليه، تم صرف مبلغ خمس ريالات لي شهرياً، ولكن المبلغ لم يكن لِيَسد حاجاتي الشهرية، فاستعنت ببعض الناس ليكلموا الشيخ عبد الكريم، فزاد المبلغ إلى ثماني ريالات، وعزمت أن اقتنع بهذه الريالات الثمانية وأواصل دراستي، وكنت أدفع أربع ريالات شهرياً للمخبز للحصول على قرص واحد ونصف من خبز الشعير، وكانت قيمة القرص الواحد من الخبز تعادل عشر ريالات، فكنت أدفع أربع ريالات ونصف للخباز شهريا، وريالين للإدام، وقد اشتريت أيضاً كمية من الخوخ المجفف، وقد وضعته في كيس في زاوية من الحجرة وكنت أضع مقداراً منه في الماء لسد جوعتي به، وأما المبلغ المتبقي والذي كان ريالاً والنصف، فكنت أنفقه في مصاريف الحمّام شهرياً، وكنت أتردد على الحمّام أربع مرات في كل شهر.

وكنت أواصل دراستي على هذا المنوال، وتمكنت من دراسة الفقه وأصوله، وكنت أتصدى لتدريس الطلاب المقدمات، إلى أن وصلت إلى رتبة المدرسين في الحوزة العلمية،

وكنت أُدرّس الفقه وأصوله، والصرف والنحو والـمنطق غيباً دون حاجة إلى الكتب.

البرقعي والآخرون

في أيام الشباب والدراسة، كانت تربطني صلات وثيقة بآية الله السيد كاظم شريعة مداري في مدينة قم، وكان من زملائي في الدراسة، وما كنت أتوقع أن يدوس الإنصاف تحت قدميه وقد كان من الذادِّين عن تأليف كتابي (درس من الولاية)، وقد كتب في الدفاع عني، وأثنى علي ومدحني، وأفتى بجواز ما كنت أقوم به من أمور شرعية، وعندما انتشر كتاب (درس من الولاية) لزمَ السكوتَ برهة من الزمن نتيجة فتواه في هذا السبيل، وقد نشرتُ هذه الفتوى في بطاقة، وكنت أعطيها كل من كان يأتي إلى مسجدي أو منزلنا. وقد كتب آية الله الحاج الشيخ ذبيح الله محلاّتي في استفتاء حول كتاب (درس من الولاية): "قد قرأت كتاب (درس من الولاية) لحجة الإسلام العالـم العادل البرقعي فعقيدته صحيحة، ولا ينشر الـمذهب الوهّابي.. أما كلام الناس عنه فتهمة، فاتقوا الله حق تقاته، هو (البرقعي) يقول أن هذا البيت غير صحيح:

«إذا فنيت الدنيا فَعَلِيٌّ يفنيها واذا قامت القيامة فَعَلِيٌّ يقيمها».

وأنا أيضاً أقول أن هذا البيت غير صحيح".

وقد كتب السيد علي مشيكني النجفي أيضاً:

«قد قرأت أنا علي مشيكني الكتاب الـمستطاب (درس من الولاية) وقد فرحت من محتواه الراقي الذي يطابق العقل السليم ومنطق الدين القويم».

وقد كتب السيد حجة الإسلام السيد وحيد الدين الـمرعشى النجفي:

"بسمه تعالى

العلامة البرقعي دامت بركاته العالية، إنسان مجتهد وعادل وإماميٌّ المذهب، وتأسياً بالمقولة الشائعة: "إن كتاب الإنسان دليل على عقله ومرآة عقيدته" فإنه قد كتب المطالب العالية جداً في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وسائر أئمة الهدى عليهم السلام، في كتاب "العقل والدين" وكتاب "تراجم الرجال" الذي طُبع جديداً، وكتبه الأخرى. أما ما أثير من ضجة من أناس بين مغرض أو عجول أو عصبي، لم يقرأوا كتاب "درس من الولاية" كاملاً، وفقدوا إيمانهم بمحاكمتهم الظالمة في حق الرجل، فويل لمن يؤذي ابناً من أبناء الأئمة عليهم السلام الذي قد تمت المصادقة على رتبة اجتهاده من قبل بعض المراجع العظام، ويفتري على فقيه افتراء عظيماً. قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

(خادم الشرع المبين السيد وحيد الدين مرعشى النجفي)

بتاريخ: ١٣٨٩هـ شهر ذي القعدة"

وقد كان آية الله الخوئي يعرفني جيداً، وأذكر عند ما كنت أحاضر في النجف وقد كنت وقتذاك مبتلىً بخرافات الحوزة، كان يحب محاضراتي، وكان يُقبّل فمي بعد نزولي من المنبر، تشجيعاً لي وإظهاراً لرضاه مني.

والسيد شاهروردي كان يشجعني أيضاً ويثني على خيراً. ولما أُنشئت في مدينة النجف أقسام الدراسات الفلسفية، واتجه بعض الطلاب لدراستها، طلب مني المراجع العظام في النجف إلقاء المحاضرات، لأن الطلاب في مدينة النجف – لعدم تعمقهم في القرآن والسُّنة – ما كانوا يعرفون مخالفتها للإسلام، فأعطى آية الله شاهرودي منزله للمحاضرة، وقد طلب مني أن أرتقى المنبر وألقي المحاضرة في بيان المسائل الاعتقادية، وقد استجبت لطلبه. فكنت أصعد المنبر وكان يُكرمني لبيان الحقائق للطلاب، ويثني علي ويشجعني كثيراً.

ولكن في الآونة الأخيرة عندما تصديت للخرافات، كل من كان يعرفني ويعرف سابقتي العلمية تركوني وحيداً ولزموا الصمت، بل وبعضهم قد ناصبني العداء وقام يخالفني.

لـما سقطت حكومة الشاه في إيران، وتولى الخميني الحُكم أردت أن ألتقي به، لأنه في أيام الشباب كنا زملاء زهاء ثلاثين سنة في الحوزة العلمية، وكان يعرفني جيداً، وقبل عودته إلى إيران واطلاعه على أوضاع العلماء عن كثب، وفي محاضرة له ألقاها بعد وفاة ابنه أكبر آية الله الحاج السيد مصطفى الخميني، والتي تم نشرها في الصفحة التاسعة من جريدة كيهان اليومية في سنة ١٣٥٩ش، في هذه الـمحاضرة - رغم أنه لـم يجرؤ على ذكر اسمي- ولكنه أشار إلي قائلاً:" لي شكوى من العلماء، يجهلون أموراً كثيرة لأنهم يملكون أذهاناً ساذجة، وقد وقعوا تحت مطارق الدعايات الـمغرضة، يراد منهم أن يغفلوا عن أمر عظيم ونحن مطالبون بإدراك أياد خفية تجبرهم على هذه الغفلة، هذه الأيادي الخبيثة تصنع شيئاً وتقيم حوله ضجة كبيرة، فالواجب على العلماء أن يفكروا بجد وتأنٍ في الـمسائل السياسية والاجتماعية ويتدارسوها، لكنهم يقضون أوقاتهم في أمور جزئية، مثلاً زيد كافر، وعمر ومرتد، وفلان وهّابي، عالم أمضى خمسين عاماً في سبيل الله، وقد أتعب نفسه في هذا الدرب، وفقهه أكثر وأحسن من هؤلاء بل هوأفقههم يقولون عنه: وهّابي هذا خطأ، لا تقاطعوا الأشخاص ولا تبعدوهم واحداً واحداً، لا تقولوا عنه وهّابي أو زنديق ولا ندري كيف هو! ولوفعلتم هذا من سيبقى لكم؟".

كتبتُ رسالة وبعثت بها واستلمتها زوجته من ابنتي، فأكرمتها وقالت لابنتي:"نحن نستلم جواب الرسالة من السيد (الخميني)، ونأتي بها إلى طهران". ثم جاءت السيدة ثقفي (زوجة الخميني) إلى طهران ونزلت عند بنتي ضيفة ولكنها لم تحمل في جعبتها جواباً.. وقالت: "إن السيد (الخميني) قال: إن أباك البرقعي شخص مجتهد وذ ورأي، ولكنه يفتقر إلى شعبية".

وعندما أُطلق سراح آية الله الطالقاني من السجن في أوائل الثورة، ذهبت إليه وأثناء الكلام اقترب مني برأسه وساررني قائلاً:" أنت على الحق، لكن ليس من المصلحة البوح بهذه الحقائق". ولكنه سيُسأل يوم القيامة: متى ترون المصلحة في بيان الحقائق؟

لا أدري هل وصل البيان إلى المهندس بارزكان أم لا؟ على أي حال عندما كنت أقضي فترة النقاهة في البيت، جاء المهندس بارزكان والدكتور صدر والمهندس توسلي لعيادتي في منزلي، قلت لهم:" هل رأيتم نتيجة التقليد؟ المقلد الذي يقلد الناس التقليد الأعمى، ولا يسألهم – وقد أقدم على هذه الجريمة– ما حجتكم على هذا الأمر الصادر؟ فأنتم وأصدقاؤكم يجب عليكم أن تتبرؤوا من هؤلاء".

أن ابني كان يعلم أن السيد موسوي الأردبيلي كان يعرفني جيداً، وفي أيام الشباب كنت أرتقى المنبر فكان يرتقيه بعدي، فبعث برسالة إليه، وقد بعث برسالة أيضاً إلى السيد محمد إمامي الكاشاني، الذي كان يتودد إلي قبل قيامي بمكافحة الترهات.

وقد بعث برسالة أيضاً إلى محمد محمدي ري شهري، الذي كان جاراً لابني مدة من الزمن وكانت غرفتاهما متجاورتين في المدرسة الحجتية، وكان يعرف ابني جيداً.

في إحدى الجُمع، ذهبت إلى منزل آية الله فيض للتعزية، وهوكان من أهالي قم ومن أقاربنا. وكان يدّعي المرجعية، فكان مجلس روضة ودعاء، وقد ذهبت عنده للتعزية والسلوان وكان يستقبلني بالبشر والترحاب ويحتفي بي، لكنني وجدته هذه المرة وقد تقطب جبينه كأنه معترض علي.. قلت: هل حدث شيء؟ لماذا أنت غاضب علي؟ قال: ما كنت أتوقع منك. قلت: ما هي القضية؟ قال: كتبتَ رسالة وهدّدتني فيها! وإذا قدمتَ غير البروجردي لمرجعية الناس افتضحنا في قم. قلت: لا علم لي بها وأقسمت لهم بأنها رسالة مزورة.. خرجتُ من

المجلس واجماً، فإن هناك يداً خفية تعمل لنصب مرجعية للتقليد، وليست المسألة كما أتصورها أنا بهذه السذاجة، وأدركت أن المرجعية قد صارت ألعوبة بيد اللاعبين.

ثم تبين أن يداً خفية نصَّبت البروجردي مرجعاً للتقليد، واستغلت وجوده في هذا المقام في سنة ١٣٣٨ ش.

عندما كان أحمد قوام رئيساً للوزراء، أراد آية الله كاشاني أن يتدخل في الانتخابات، ويقلل من وجود النواب المنتخبين من قبل البلاط الملكي، وقد كنت صديقاً حميماً لآية الله كاشاني وفي الصيف كنت أنزل في منزله في طهران. قال لي في السنة نفسها ١٣٣٨هـ ش: "استأجر سيارة للسفر إلى خراسان". ففعلت وتهيأنا للسفر، وكان الشيخ محمد باقر كمرايي مع شخصين آخرين موجودين معنا أيضاً، وأنا وكاشاني وأحد أبنائه وثلاثة آخرون سافرنا نحو مدينة مشهد، والدولة كانت تتوجس من سفرنا خيفة، ألا نختار نواباً في المدن التي في مسيرنا ونحرض الناس على انتخابهم في المجلس، لأننا نريد الخير لهم. وقد انطلقنا من طهران وتهيأت المدن لاستقبالنا. وأوصت الدولة زبانيتها في المناطق التي في مسيرنا إلى مشهد، أن ينتشروا ويعرقلوا السفر، ويبحثوا عن حججٍ يتشبث بها النظام لإرجاع آية الله كاشاني إلى طهران.

وعندما كنت في السجن، ورأى زبانية النظام رسالتي قالوا: كتبت جيداً، فذهبوا بها وجاوؤا في الغد، وقالوا إن الشاه أمر بإطلاق سراح آية الله (البرقعي) وحواريه.

في غرفتنا المجاورة في السجن كان يتواجد فيها أفراد من الحزب الشيوعي طلبوا مني المقابلة قلت لا بأس ليتفضلوا، وقد كان معي في الغرفة أشخاص من غير العلماء، فقالوا: ربما هذا اللقاء يسفر عن توجيه تهمة الانتماء إلى الحزب الشيوعي لنا.

قلت: أي تهمة هذه؟ لا تخافوا، دعوهم يأتوا. فجاوؤا واستبشروا بان هناك عالـماً شجاعاً قد تصدى لاستبداد الشاه، وكانت لديهم إشكالات حول الإسلام فأجبنا عنها جميعاً.

أنزلونا في قسم الـمدفعية، فودعت أصدقائي ونزلت في منزل كاشاني الذي كان مجتهداً شجاعاً متيقظاً، وقد كان يعيش في منفاه في لبنان، وأسرته كانت تقيم في طهران، وفرحوا برؤيتي. وفي ذاك الزمان كان أهل العلم بمعزل عن السياسة وشؤون الدولة، بل وكانوا يبتعدون عنها. وإذا دخل كاشاني ومثلي هذه الساحة (ساحة الـمكافحة والنضال ضد القهر والظلم) كانوا لا يحظون بقبول عند الناس، بل إن ايران وشعبه كانوا بمثابة الـمقبرة التي يدير أمورها النباشون، يفعلون بها ما يشاؤون. إن كاشاني قد كان منحصراً في دائرته، وقد لاقى في سبيل إيقاظ الشعب الإيراني السجن والتعذيب، لم يكن آنذاك لا جبهة وطنية ولاغيرها. ولم يكن يعرف "مصدق" إلا أفراد معدودون. وقد كان كاشاني يسعى أن ينتخب الناس النواب الحقيقيين للمجلس، فكان يفتي بوجوب تدخل الشباب في الانتخابات. وكتب إلي من منفاه في لبنان: "لا تجعل من مسجدك دكاناً كبقية العلماء، فأيقظ الناس ولا تكترث بما يردده عوام الناس: إن العالِـم الجيد هو الذي لا يتدخل في شؤون الناس، وينزوي في زاوية. واسعَوا لانتخاب "مصدق". وقد كان الناس لا يعرفون مَن "مصدق"؟ وكيف هو؟ أوصى كاشاني بضرورة انتخاب النواب الحقيقيين ومنهم –مصدق– وقد كان أتباع كاشاني يبيتون في الدوائر الانتخابية عند الصناديق خوفاً من حدوث التزوير في العملية الانتخابية وإبعاد "كاشاني" و"مصدق" من الانتخابات، فكنا نشجع الناس على انتخابهما حتى آتت هذه الـمساعي الحثيثة ثمارها، فتم انتخاب كاشاني و"مصدق" في الـمجلس من العاصمة طهران، واضطرت الدولة لأن تفرج عن كاشاني وتدعوه إلى إيران. وعندما علم الناس أن كاشاني يدخل إيران في طائرة ضجت الشوارع من مطار مهرآباد في طهران إلى منزله بالناس، وقد كنا نقوم بفعاليات

لاستقبال آية الله كاشاني بصورة جيدة.

لم تمض سنوات إلا وقد توفي رضاشاه في جزيرة "موريس"، وقد كان يتنزه فيها ويصور في مخيلته أناساً كانوا يترددون على تقبيل عتبات قصره، مجموعة من عبيد الهوى والـمتملقين، يُطرون عليه ألقاباً كالسيد الأعلى وأمثاله. وعندما توفي تم نقل جثمانه إلى إيران، وكان النظام يريد دفن جثمانه في مدينة قم، وشجع الناس للاحتفاء به. تمت دعوة علماء وكبار مدينة قم لاستقبال جنازة رضاشاه، وكان من المدعوِّين آية الله بروجردي مرجع التقليد والذي كان مرشحاً للصلاة على الجنازة، وكان بروجردي من علماء السلطان، وفي سبيل الحفاظ على منصبه كان مستعداً لفعل أي شيء، وكان حريصاً على إقامة صلاة الجنازة على الشاه. فكرت مع نفسي أنه لو تم الاحتفاء بجنازة الشاه في هذه الـمدينة لفسدت الأمور كلها، فشمرت عن ساعد الجد لمنع استقبال الجنازة، وقد تعرفت على طلاب من فدائي الإسلام وكان لي من العمر آنذاك ٣٥ سنة، وكنت من مدرسيّ الحوزة العلمية في قم، وهؤلاء الشباب من فدائي الإسلام الذين كانت أعمارهم تتراوح بين ١٥ و٢٥ سنة، كانوا يأنسون إليّ، وكان بيتي مأوىً لهم، وبعضهم كان يدرس عليّ، فاستشرتهم في الأمر وقلت لهم فكروا في الـمسألة.. قالوا: أُكتب بياناً ونحن ننشره. كتبت البيان، وهددت فيه من يصلي صلاة الجنازة على الشاه، أو يحضر في تشييع جنازته فإنه قد أقدم على مخالفة الدين، وسنقوم باغتياله.

تم نشر هذا البيان التهديدي، فكان له الأثر الإيجابي في الناس، فخافوا أن يُنال منهم أو يتم اغتيالهم، فسعوا باحثين عن ناشري البيان.

«فدائيو الإسلام» لم يكن لهم منزل معين في قم، بل كانوا منتشرين، وأكثرهم مقيم في طهران، ولم يكن يُتوقع منهم هذا التهديد، وكانوا لا يتوقعون أيضاً مثل هذا البيان شديد اللهجة من أبي الفضل البرقعي القمي.

ولم يكن عندهم فراغ ليبحثوا بجد وتأنٍ عن الفاعلين، فأذهانهم مشتتة. فتم نقل الجنازة ولم يتمكنوا من استقباله، كما أرادوا.

أقاموا مجلس العزاء في مسجد إمام مدينة قم، وأراد شخص باسم موسى الخوئي أن يشارك في مجلس العزاء، لكن أصدقاءنا قبضوا عليه، وأشبعوه ضرباً وشجوا رأسه وأدموه، ولما رأت الدولة أن الأمر قد انفلت، نقلت الجنازة من قم إلى طهران. أما ماذا حدث في طهران فلم أكن موجوداً فيها.

كتاب الغدير للعلامة عبد الحسين الأميني التبريزي والبرقعي

كتاب الغدير للعلامة عبد الحسين الأميني التبريزي قد قرأته قبل سنوات، وعندما كنت في السجن قرأته من جديد وأقول صادقاً ودون أي تعصب: الذين قالوا ما صنع الأميني في هذا المؤلف إلا إضافة بعض الأسانيد على حديث الغدير، صدقوا.

أجل... إن هذا الكتاب يستطيع أن يخدع السذج من الناس وغير المتخصصين، لكن لا قيمة له عند المحققين المنصفين، إلا أن يتغاضوا عنه عن تعصب، أو يُطروا على الكتاب بالثناء والتمجيد بغية أن يخدعوا عوام الناس. ولقد كان آية الله سيد أبوالحسين الأصفهاني مصيباً عند ما سئل عن ميزانية طبع الكتاب، عن المصاريف الشرعية فلم يوافق، وأفتى: "إن دفع مصاريف طبع الكتاب من الوجوه الشرعية أمر لا يرضاه الإمام عليه السلام". إن كثيراً من وثائق هذا الكتاب مأخوذة من المراجع غير المعتبرة، ولا تمت بصلة وثيقة إلى صدر الإسلام، وبالتالي لا قيمة لهذا الكتاب عند أهل التحقيق. وما أورده من دلائل أجيب عنها بشكل كامل ولكنه تغاضى عن كل هذا فأوردها من جديد. وأعتقد أن أهل التحقيق في قرارة أنفسهم يعلمون أنه لا يمكن أن يفيدوا المذهب الشيعي بحديث الغدير، لذلك فإن حماة الكتاب ومادحيه الذين قد أمسكوا بزمام الأمور في إيران، لا يسمحون بنشر كتب أمثال: "نصوص

الإمامة" للعالم المحقق السيد حيدر علي قلمداران، أو كتاب "الباقيات الصالحات" لأحد علماء الهند عبد الشكور لكهنوي، أو كتاب "تحفة الاثني عشرية" لعبد العزير الدهلوي بن ولي الله الدهلوي، أو كتاب "سيد الشجعان" للسيد عبد الرحمن سربازي، الذي خاطب به مؤسسة (في طريق الحق وأصول الدين) في قم، أو ترجمة كتاب "مختصر منهاج السنة النبوية للعبد الفقير، وأمثالها من الكتب التي أُلفت بالفارسية، لا يسمحون بنشر هذه الكتب بين الناس لأنهم مغرضون، ولو كانوا بريئين من هذا المرض وأرادوا الحق، لسمحوا بقراءة كتاب "الغدير" والكتب التي تمت الإشارة الهيا أعلاه، وقارنوا بينها وسألوا العلماء عن الحقائق، وميزوا بين الغث والسمين، والحق والباطل، واتبعوا أحسن الآراء. قال الله عزوجل: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾[الزمر: ١٧-١٨].

هم لا يفعلون ولا يسمحون لغيرهم، بل يجيبون بإطلاق الرصاص أو إلقاء القبض...

شيوخه:

١- السيد خوانساري عن الشيخ أبي القاسم الكبير القمي.

٢- الحاج الشيخ محمد علي القمر الكربلائي.

٣- السيد ميرزا أحمد السامراني.

٤- السيد محمد حجة كوه الكبرى.

٥- الحاج الشيخ عبد الكريم الحائرى.

٦- الحاج السيد أبوالحسن الأصفهاني.

٧- السيد شاه آبادي.

وعدد آخر من الذين تتلمذت على أيديهم، وكتبوا لي الإجازة أمثال محمد بن رجب على الطهراني السامرائي، مؤلف كتاب "الإشارات والدلائل فيما تقدم ويأتي من الرسائل" و"مستدرك البحار" وكتب لي إجازة في ذيل إجازة شيخه، وها هومتن إجازته للعبد الفقير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين وبعد: فيقول العبد الجاني محمد بن رجب علي الطهراني، عفى عنهما وأوتيا كتابهما بيمينهما:

قد استجازني السيد الجليل العالم النبيل، فخر الأقران والأماثل، أبوالفضل البرقعي القمي- أدام الله تعالى تأييده - رواية ما صحت لي روايته، وساغت لي إجازته، ولما رأيته أهلاً لذلك، وفوق ما هنالك، استخرت الله تعالى وأجزته أن يروي عني بالطرق المذكورة في الإجازة المذكورة، والطرق المذكورة في المجلد السادس والعشرين، كتابنا الكبير مستدرك البحار، وهو على عدد مجلدات البحار، لحبرنا العلامة المجلسي قدس الله سره، وأخذت عليه ما أخذ علينا من الاحتياط في القول والعمل، أن لا ينسَني في حياتي، وبعد وفاتي في خلواته، ومظانِّ استجابة دعواته، كما لا أنساه في عصر يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب الأصب، من شهور سنة خمس وستين بعد الثلاثمائة وألف، حامداً مصلياً مستغفراً.

١- الحاج الشيخ السيد بزرك الطهراني مؤلف كتاب "الذريعة إلى تصانيف الشيعة" والذي كتب للعبد الفقير الإجازة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ونبينا محمد المصطفى، وعلى أوصيائه المعصومين، الأئمة الاثني عشر، صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد: فإن السيد السند العلامة المعتمد، صاحب المفاخر والمكارم، جامع الفضائل

والمفاخر، المصنف البارع والمؤلف الماهر، مولانا الأجلّ السيد أبوالفضل الرضوي، نجل المولى المؤتمن، السيد حسن البرقعي القمي دامت أفضاله، وكثُرت في حماة الدين أمثاله، قد برز من نتاج قلمه الشريف، ما يغنينا عن التقريظ والتوصيف، قد طلب مني لحسن ظنه إجازة الرواية لنفسه، ولمحروسه العزيز الشاب المقبل، السعيد السديد، السيد محمد حسين، حرسه الله من شر كل عين، فأجزتهما أن يرويا عني جميع ما صحت لي روايته عن كافّة مشايخي الأعلام من الخاص والعام، وأخص بالذكر أول مشايخي، وهو خاتمة المجتهدين والمحدثين، ثالث المجلسيين، شيخنا العلامة الحاج الميرزا حسين النوري، المتوفى بالنجف الأشرف في سنه ١٣٢٠، فليرويا أطال الله بقائهما، عني وعنه بجميع طرقه الخمسة، المسطورة في خاتمة كتاب مستدرك الوسائل، والمشجرة في مواقع النجوم، لمن شاء وأحبّ، مع رعاية الاحتياط، والرجاء من مكارمهما، أن يَذكُراني بالغفران في الحياة وبعد الممات، حررته بيدي المرتعشة في طهران، في دار آية الله المغفور له الحاج السيد أحمد الطالقاني، وأنا المسيء المسمى بمحسن، والفاني الشهير بآقا بزرك الطهراني، في سالخ ربيع المولود ١٣٨٢ (الختم)

٢- عبد النبي النجفي العراقي الرفسي، مؤلف كتاب "غوالي اللآلئ في فروع العلم الإجمالي" وله مؤلفات أخرى أيضاً، وهومن تلاميذ ميرزا حسين الفايني، وقد كتب لي الإجازة التالية:

الحمد لله رب العالمين، الذي فضّل مداد العلماء على دماء الشهداء والصلاة والسلام على محمد وآله الأمناء، وعلى أصحابه التابعين الصلحاء، إلى يوم اللقاء. أما بعد:

فإن السيد الفاضل، جامع الفضائل، وقدوة الفضلاء والمدرسين، ومعتمد الصلحاء والمقربين، وعماد العلماء والعالمين، معتَمد الفقهاء والمجتهدين، ثقة الإسلام والمسلمين، السيد أبا الفضل القمي الطهراني المعروف بالعلامة الرضوي، قد أمضى سنوات عدة في

النجف الأشرف في الحوزة العلمية، وحضر دروس العبد الفقير، وكذا في دروس الحوزة العلمية في مدينة قم، ودروس العلوم الشرعية، والمعارف الإلهية والمسائل الدينية، فكدّ وجدّ واجتهد ووصل بحمد الله إلى رتبة الاجتهاد ونالها، وله أهلية الاستنباط على الطريقة المعهودة بين الأصحاب رضوان الله عليهم، وأجزت له رواية الحديث عن تسعة طرق إلى المعصومين عليهم السلام، وسمحت له بإصدار الفتاوى، وله الحق في الحقوق المالية التي يستحقها البعض بإذن المجتهدين وخصوصاً الإمام عليه السلام، وكل هذا مشروط بشرط الاحتياط والتقوى، وقد صدر بتاريخ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٧٠هـ.

٣- وقد كتب لي آية الله السيد أبوالقاسم الكاشاني الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله وعلى آله الطاهرين المعصومين، وبعد:

فإن جناب العالم العادل، حجة الإسلام والمسلمين السيد أبوالفضل العلامة البرقعي الرضوي، قد صرف أكثر عمره الشريف في تحصيل المسائل الأصولية والفقهية، حتى صار ذا قوة قدسية من رد الفروع الفقهية إلى أصولها، فله العمل بما استنبطه واجتهاده، ويحرم عليه التقليد فيما استخرجه، وأوصيه بملازمة التقوى، ومراعاة الاحتياط، والسلام عليه وعلينا وعلى عباد الله الصالحين.

الأحقر أبوالقاسم الحسيني الكاشاني

٤- وقد كتب لي السيد أبوالحسن الأصفهاني، الإجازة التالية عند عودتي من النجف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين،

واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى يوم الدين، وبعد:

فإن جناب الفاضل الكامل، والعالم العادل، مروِّج الأحكام قُرّة عيني الأعز السيد أبوالفضل البرقعي دامت تأييداه، ممن بذل جهده في تحصيل الأحكام الشرعية، والمعارف الإلهية، برهة من عمره وشطرا من دهره، مُجداً في الاستفادة من الأساطين، حتي بلغ بحمد الله مرتبة عالية من الفضل والاجتهاد، ومقرونا بالصلاح والسداد، وله التصدي فيها، وأجزته أن يأخذ من سهم الإمام عليه السلام بقدر الاحتياج، وإرسال الزائد منه إلى النجف، وصرف مقدار منه للفقراء والسادات وغيرهم، وأجزته أن يرويَ عني جميعَ ما صحت لي روايته، واتضح عندي طريقه، وأوصيه بملازمة التقوى، ومراعاة الاحتياط، وألا ينسَاني من الدعاء في مظانِّ الاستجابات، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين. ٢٢ ذي لحجة سنة ٦٢ ش.

أبوالحسن الموسوي الأصفهاني

٥- وكتب السيد شهاب الدين المرعشي، المعروف بالسيد النجفي، صاحب المؤلفات في الأنساب، الإجازة الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أساغ من نعمة وأجاز، والصلاة والسلام على محمد وآله، مجاز الحقيقة وحقيقه المجاز، وبعد:

فإن السيد السند والعالم المعتمد، شمَّ سماء النبالة وضحيها، وزين الأسرة من آل طه، علم الفخار الشامخ، ومنار الشرف الباذخ، قاعدة المجد المؤثَل، وواسطة العقد المفصَّل، جناب السيد أبوالفضل ابن الشريف العابد، السيد حسن الرضوي القمي السيداني، دام علاؤه وزيد في ورعه وتقاه، أحب ورغب في أن ينتظم في سلك المحدثين، والرواة عن أجداده

الـميامين، ويندرج في هذا الدرج العالي، والسمط الغالي، ولما وجدته أهلاً وأحرزت منه علماً وفضلاً أجزت له الرواية عني، بجميع ما صحت روايته، وساغت إجازته، وتم سنده وقويت عنعنته، عن مشايخي الكرام أساطين الفقه وحملة الحديث، وهم عدة تبلغ الـمائتين من أصحابنا الإمامية مضافاً إلى مالي من طرق سائر فرق الإسلام، الزيدية والإسماعيلية والحنابلة والشافعية والـمالكية والحنفية وغيرها، ولا يمكنني البسط بذكر تمام الطرق، فأكتفي بتعداد خمسٍ منها تبركاً بهذا العدد، وأقول ممن أروي عنه بالإجازة والـمناولة والقراءة والسماع والعرض، وغيرها من أنحاء تحمُّل الحديث إمام أئمة الرواية، والجهبذ الـمقدام في الرجال والدراية، مركز الإجازة، مسند الآفاق علاّمة العراق، أستاذي ومن إليه في هذه العلوم استنادي وعليه اعتمادي، حجة الإسلام آية الله تعالى بين الأنام، مولاي وسيدي أبومحمد السيد حسن صدرا لدين الـموسوي، الـمتوفى سنة ١٣٥٤..... هذا ما رمت ذكره من الطرق وهي ستة فلجناب السيد أبي الفضل، ناله الخير والفضل، أن يروي عن مشايخي الـمذكورين بطرقهم الـمتصلة الـمعنعنة إلى أئمتنا، إلى الرّسول وسادات البرية، مراعيًا للشرائط الـمقررة في محلها، من التثبت في النقل ورعاية الحزم والاحتياط وغيرها، وفي الختام أوصيه دام مجده، وفاق سعده وجدّ جدّه أن لا يدع سلوك طريق التقوى والسداد، في أفعاله وأقواله، وأن يصرف أكثر عمره في خدمة العلم والدين، وترويج شرع سيد الـمرسلين ﷺ، وأن لا يغتَّر بزخارف هذه الدنيا الدنية وزبرجها، وأن يكثر من ذكر الـموت، فقد ورد أن أكيس الـمؤمنين أكثرهم ذكراً للموت، وأن يكثر من زيارة الـمقابر، والاعتبار بتلك الأجداث الدواثر، فإنه الترياق الفاروق، والدواء النافع للبعد عن الشهوات، وأن يتأمل في أنهم من كانوا وأين كانوا، وكيف كانوا، وإلى أين صاروا، وكيف صاروا، واستبدلوا القصور بالقبور، وأن لا يترك صلاة الليل ما استطاع، وأن يوقت لنفسه وقتاً يحاسب فيه نفسه، فقد ورد من التأكيد منه ما لا مزيد عليه، فمنها قوله:

«حاسِبوا قبل أن تُحاسَبوا». وقوله: «حاسب نفسك حسبة الشريك شريكه». فإنَّه -أدام الله أيامه، وأسعد أعوامه- إن عيَّن لها وقتا لم تضع أوقاته، فقد قال: «توزيع الأوقات توفيرها». ومن فوائد المحاسبة أنه إن وقف على زلّة في أعماله لدى الحساب تداركها بالتوبة وإبراء الذمة، وإن اطَّلع على خير صدر منه حمد الله وشكر له، على التوفيق بهذه النعمة الجليلة وأوصيه حقق الله آماله، وأصلح أعماله، أن يقلل المخالطة والمعاشرة لأبناء العصر، سيما المتَّسمين بسِمة العلم، فإن نواديهم ومحافلهم مشتملة على ما يورث سخط الرحمن غالبا، إذ أكثر مذاكرتهم الاغتياب، وأكل لحوم الإخوان، فقد قيل إن الغيبة أكل لحم المغتاب ميتا، وإذا كان المغتاب من أهل العلم، كان اغتيابه كأكل لحمه ميتاً مسموماً، فإن لحوم العلماء مسمومة. عصمنا الله وإياك من الزلل والخطَل، ومن الهفوة في القول والعمل، إنه القدير على ذلك، والجدير بما هنالك، وأسأله تعالى أن يجعلك من أعلام الدين، ويشد بك وبأمثالك أزر المسلمين آمين آمين، وأنا الراجي فضل ربه، العبد المسكين أبوالمعالي وشهاب الدين الحسيني الحسني المرعشي الموسوي الرضوي الصفوي، المدع وبالنجفي، نسَّابة آل رسول الله ﷺ، عفى الله عنه وكان له، وقد فرغ من تحريرها في مجالس أخرها، لثلاث مضين من صفر ١٣٥٨ ببلدة قم المشرّفة، حرم الأئمة.

٦- الشيخ عبد الكريم الحانري.

٧- آية الله سيد محمد كوه كمري قد كتب أيضا إجازة لي.

والشهادتان قد سلَّمتُهما لوزارة الثقافة والإعلام وإنهما موجودتان في الوثائق المحفوظة فيها ووقد أصدرت الوزارة المذكورة مصادقة على الشهادتين، وأنا أنقلها هنا:

٨- وزارة الثقافة:

بناء على البند الأول من المادة الثانية والستين من قانون الإصلاح المُصدق عليه في ١٣٢١هـ ش. وبناء على قانون تقييم شهادات الاجتهاد الصادرة في ١٣٢٣هـ ش، من اللجنة العليا من الوزارة فإن شهادة الاجتهاد المتعلقة بالسيد أبي الفضل أبي الرضا البرقعي حامل بطاقة الهوية رقم ٢١٢٨٥ الصادرة عن قم المولود في سنة ١٢٨٧هـ ش. في المجلس الرابع والخمسين بعد المائة السابعة من جلسات المجلس العالي في وزارة الثقافة بتاريخ ٧/ ٨/ ١٣٢٩هـ ش تقررت المصادقة على شهادة الاجتهاد.

وزير الثقافة

الدكتور شمس الدين

وتجدر الإشارة أن الدولة في القوانين المشروطة، لم يكن لها الحق في أن تعترض على المجتهدين، ولكن رغم ذلك أوجدت لي مشكلات كثيرة.

وأختم كلامي بتذكير القارئ العزيز بالنقطتين الأساسيتين اللتين هما خلاصة الإسلام:

١- تعظيم الخالق عز وجل

٢- وخدمة المخلوق.

وأسأل الله عز وجل أن يوفقني للقيام بهذين الأمرين، وهنا أنقل أبياتاً شعرية من آخر كتاب "دعبل الخزاعي وقصيدته التائية" وفيها وصف حالي وأتبعتُها بأبيات خاطبت فيها الشباب وقد نظمتُها أثناء سفري إلى مدينة زاهدان وأختم بها كتابي راجياً من القراء الأعزاء الدعاء.

والسلام على من اتبع الهدى.

أنا ودعبل الخزاعي[١]

«لقد أُعطي الإمام دعبل الخزاعي ذهباً فتلقى بذلك شكراً من ذي وجاهة.

ولقد زبرت مئات الكتب والقصائد بياناً للعقائد، ولكنني لم أتلق شكراً، وما رأيت عطاءً إلا طعناً وعذلاً ونقداً.

إن دعبل الخزاعي كان خائفاً من ذوي الوجاهة وأنا خائف من الخرافات والترَّهات.

لقد كان بكاؤه على أهل الدين وأنا بكائي على أصل الدين.

إن الخزاعي قد أفشى سره عند الإمام، ولكنني لا آمن على نفسي من ذي وجاهة ومقام.

إن قصائده وافقت الأصول، أما الهدف الذي يرميه المادحون فهو المال فحسب.

إن الخزاعي قد أضمر الخوف ثلاثين سنة، ولكنني من ستين سنة والخوف يحيط بي.

يا إلهي أنت الشاهد على حزني وهمِّي، ولا مأوى غيرك،

فالطف بي يا إلهي، إني نادم لأني أصبحت مرآةً للعمى.

لقد استبد بي البلاء ونال مني الخوَر.

إن زمننا زمن الكفر والطغيان، ولا يحمل في جعبته غير الحزن والعصيان، لا أنيس لي في شيخوختي ولا معين ولا جليس، فارحمني يا إلهي وأمتني على الراحة يا إلهي، وأنزل شآبيب رحمتك على البرقعي».

إلى الشباب:

"أيها الشباب الذين كلامكم حلو، وسلوككم روعة وبهاء، وأنتم إيمان وسلام.

١- "أنا ودعبل الخزاعي" و"إلى الشباب" قصيدتان للبرقعي نظمهما بالفارسية وقد حبذت نقلهما إلى العربية نثراً.

وكأن وجوهكم أمثال الأزهار، يفوح منها الشذى الطيّب.

تذكروا المغمورين من أهل الدار، وعدّوا البرقعي من محبي الله عز وجل بعد وفاته، وإذا ذكرتموه بين فينة وأخرى، فارفعوا أكف الضراعة للدعاء له.

إن البرقعي كان خادماً لكم، وارتحل فلا تنسوا خدمته لكم.

وقد أُوذي من الناس، وامتلأ قلبه حزناً ودماً من جرح القلم واللسان والفرية والبهتان، ولكنه لم يمكث إلا قليلاً، ثم ذهب إلى محكمة العدل الإلهي".

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المالك ديان الدين، مجيب الداعين والمضطرين، ومغيث المهمومين، وصريخ المكروبين، وهادي الضالّين، وصلى الله على رسوله وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

من البدع التي تحمل في طياتها آلافاً من البدع، وقد أبتلى بها كثير من الناس، وأفنوا فيها أعمارهم وأموالهم: زيارة القبور، وقبل الدخول في الموضوع، أود أن أوضح بعض المسائل.

أولاً: أين تستقر أرواح الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء؟ هل هي في أعماق القبور أم فوقها أم حولها؟ وهل يعلمون زيارة الزائرين لهم أم لا؟

ثانياً: لو أنهم لا يمتّون بِصلة إلى قبورهم، وأن أرواحهم في عالم آخر، هل يعرفون زائري قبورهم أم لا؟

ثالثاً: لو افترضنا جدلاً أنهم يعرفون زائريهم، هل يستطيعون أن يرجعوا إلى الدنيا ويقضوا حاجاتهم؟

رابعاً: هل علمهم بزائريهم يرفع عنهم البلاء والكرب والحزن والشدة، وهل يفرحون بالثناء عليهم، وذكر فضائلهم في كتب الزيارات؟

وهل يرغبون في أن يقف الناس أمام قبورهم خاشعين، ويثنون عليهم ويمجدونهم ويتملقون؟ هل من يفتقر إلى التقوى والورع والصبر، يمكن أن يستفيد من تقواهم وورعهم وصبرهم إذا تحدث عنها؟

ومن لا يقدر على أن يضحي بماله ونفسه في سبيل الله، هل يتمكن من المضي قدماً في هذا الدرب المبارك؟ إذا تحدث عن جهادهم واستشهادهم، ومن لا يفهم الدين فهماً كاملاً ويجهل

القرآن الكريم هل يفيده إطراؤه على علم وفقه الأكابر، وذِكر أمرهم بالـمعروف ونهيهم عن الـمنكر؟

خامساً: هل مهمة الناس محصورة في الـمدح والثناء باسم الدين؟

سادساً: هل بناء القبور وتزيينها وزخرفتها، ورفع القُبب ووضع أكاليل الزهور عليها وإحداث الفناء، ووقف البيت والبستان والأرض والدكان، ووقف أرباحها محافظةً على القبور، هل كل هذا من سنن الأنبياء والأولياء، أم من سنن الظالـمين والـمتكبرين والناهبين؟

هذه الـمطالب سوف أقوم إن شاء الله بتحليلها، وتمييز الحق منها من الباطل، وأدرس أسانيد ومتون الروايات الواردة في زيارة القبور، وأتصدى لغربلتها. والهدف من وراء هذا كله، فصل الخرافات عن حقيقة الدين لكى لا تُلصق هذه الخرافات والترهات بالدين، وتُقدم باسمه للناس.

وأرى لزاماً عليّ، أن أذكر أنني كنت ومازلت من أتباع إمام الـمتقين أمير الـمؤمنين علي عليه السلام، وقبلت أصول الدين وفروعه منه. ولكنني أناصب العداء لأولئك الناس، الذين باسمه وباسم محبة أهل البيت دمروا الإسلام، أصوله وفروعه بالخرافات، ولا أعدُّهم من محبي علي عليه السلام.

وفي كتابي هذا لا أعتمد إلا على القرآن والسنة والأدلة العقلية، وبالنسبة للأحاديث فأعمل بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة، أي أن الأحاديث الـمخالفة للقرآن أضرب بها عرض الحائط، وأن كل حديث وافق القرآن فعلى الرأس والعين.

إن الله عز وجل قد أنزل القرآن ميزاناً، لنعرف به مدى صحة الـمسائل من سقمها، وفرقاناً يفرق به بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وفي سورة الشورى سماه الـميزان قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧].

وفي سورة الطارق سماه الفصل لأنه يفصل بين الحق والباطل قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ [الطارق: ١٣].

وسماه أيضاً في سورة الفرقان أحسن التفسير: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقد سماه الهدى والبيان قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. و ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٨].

وأما الأحاديث التي تدل بصراحة على أن القرآن هو الـميزان فإنها متواترة ومشهورة لا تحتاج إلى البيان ولكننا نكتفي بسرد ثلاثة منها:

١. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه». [وسائل الشيعة ١٨/ ٧٨].

٢. نقل الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف». [وسائل الشيعة ١٨/ ٧٨].

٣. وقد روي عن الإمام رضا عليه السلام أنه قال: «إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها». [أصول الكافي ١/ ٩٦]، أي أن الروايات الـمخالفة للقرآن غير مقبولة.

وبناء على ما مضى، فإذا أثبتنا بالأدلة والبراهين أن هذه الزيارات والنذور مخالفة للقرآن، فالواجب على الـمولعين بالخرافات أن يمتنعوا عن توجيه أصابع التهم إلينا، ويردوا علينا بالدليل والحجة، ولأننا نرى أن جهاد الخرافات والتصدي لها من الواجبات الـمحتّمات، فلن نعبأ بتهمة وإيذاء، لأن الأمر كلما زادت أهميته زاد أجره، وأن ما يقوم به بعض الـمتظاهرين بالعفة والقداسة، نُعدُّه من عبادة الأصنام. وبناء عليه نرى التصدي لهو مكافحته من الجهاد في

سبيل الله، لأنهم بما يزاولون يهدمون به أصول الإسلام. وقد سبقني في هذا الدرب الأخ المجاهد والمحقق الكبير الأستاذ حيدر علي قلمداران:، الذي ألّف كتابه القيم المفيد في موضوع الزيارة، وقد نقلتُ مطالب منه في الطبعة الأولى من الكتاب ولكنني ضربت صفحاً عن ذكر اسمه، خوفاً من الخطر الذي كان يتهدده من قبل الخرافيين، أو تعرضه للمساءلة من مسؤولي النظام، والآن وقد توفي الأخ المجاهد رحمه الله، ولم يبق للعبد الفقير إلا أيام. فبعد الخروج من السجن، بذلت قصارى جهدي في اختصار الكتاب وإصلاحه، وتتميماً للفائدة وتكميلاً لكتاب الأخ المجاهد قلمداران، نقلتُ بعض مطالب كتابي وأدرجتها في كتابه في الهوامش، وبقيةُ المطالب رأيتها مناسبة أن تضاف في كتابي (عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول) وفي الطبعة الثانية لكتابي هذا، اكتفيت بالمطالب التي لم يتم التعرض لها في كتاب الأخ قلمداران ومن الممكن أن كتابي هذا يحوي مطالب قد تعرض لها الأخ. على أي حال أرجوأن يحقق الكتابان الهدف المرجو، ويفيدا الباحثين عن الحق، وأسأل الله عز وجل أن يتغمد أخانا برحمته. وأرجوله الأجر والثواب. ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

خادم الشريعة المطهرة

(سيد أبوالفضل ابن الرضا البرقعي القمي)

أين أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم؟

قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

فان الآية الكريمة تنص على أن الروح لها مكان وزمان، ولا يتجرد عنهما، ومكان الروح هو الجسم الدنيوي للإنسان، أو القالب البرزخي، وأن البدن مركب للروح، وهذا الأمر واضح ولا يحتاج إلى برهان، وإن هذه الروح محدودة، وإن صفاتها من العلم وغيره محدودة أيضاً، لأن حدود العوارض هي حدود المعروض فلا تزيد عنها، فإن الروح كائن حي لا تعلم كل شيء فعلمها منوط بتحصيل العلم، أو الوحي الذي قال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

هذه حالتها في الدنيا، وإذا انفصلت عن البدن بعد الوفاة، ودخلت في القالب المثالي البرزخي لا تخرج عن حقيقتها، فالصالحون والمجتهدون ينتقلون إلى عالم أرفع وأحسن من هذه الدنيا وإلى قالب ألطف، قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: ٨٩]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل‌عمران: ١٦٩-١٧١].

إن هذه الآيات تحوى مسائل يتخلص الإنسان عبرها من الأوهام والخرافات فجملة: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ تدل على آيات أخرى أمثال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦].

وقال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣].

إن المؤمنين عند الله إذا انتقلوا من الدنيا الفانية، ينعُمون بنِعم لا يعلم كيفيتها إلا الله وينالونها، وإن الكفار والفجار يصيبهم آلام وعذاب. وإن آية ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ يدل على أنهم عند ربهم لا عند المخلوقين ولا في قبورهم. وعلينا أن نفهم أين هم عند ربهم؟ ورد في سورة الأنعام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهو وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وقال الله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

فكلمة "عند ربهم" لا تدل على أنهم عند المخلوقين، أو في قبورهم أو في الدنيا، قال الله: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

ولا شك أن الرزق الذي يُرزقون ليس طعاماً من الدنيا، بل هو رزق وعده الله ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ رزق العالم الأبدي لا الدنيا الفانية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل‌عمران: ١٧٠].

وما آتاه الله لهم من فضله ليس الدنيا الفانية، لأنهم قد عاشوها وملكوها فصرفها الله عنهم وآتاهم أحسن وأوسع منها، أما الذين يغفلون عن القرآن يظنون أن الشهداء مرتبطون بهذه الدنيا، وأن جملة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾ تدل على أن الشهداء يرحلون إلى عالم آخر، والذين لم يلحقوا بهم من خلفهم بعيدون عنهم غير ملتحقين بهم ولو أنهم (الشهداء) في هذه الدنيا، وعند الذين من خلفهم ما استقامت هذه الجملة، فإنهم ينفصلون عن أهل الدنيا وإن الله يتغمد برحمته المؤمنين جميعاً، وينالهم نعم الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل‌عمران: ١٧١].

هل يطلع الأنبياء والأولياء على زائريهم؟

ثبت بالنصوص القاطعة والحجج الواضحة، أن الأرواح بعيدة عن الدنيا في عالم البرزخ. فنُعرِّج الآن على ما يدعيه الخرافيون، أن الشهداء أحياء ولكنهم في عالم آخر، ويطَّلعون على أحوالنا. هذا زعم وهراء وغير صحيح، لأن حياتهم لا ترتبط بعلمهم عن أحوالنا، لأنه لا يلزم من ينعم بنعمة الحياة، أن يعلم كل شيء، فإن رسول الله ﷺ في حياته، لم يكن يعلم أحوال جيرانه إلا أن يخبره الله عز وجل عنهم، كما في حادثة بئر معونة. قُتل عدد من أصحابه وما كان يعرف عنهم شيئاً، وفي طريق العودة من غزوة بني المصطلق، تأخرت عائشة رضي الله عنها عن القافلة، وبقيت بعيدة عنها لأنها نزلت عن هودجها، وما كان النبي ﷺ يعلم عنها شيئاً، فقد ناقته ولم يكن يعلم مكانها، وفي غزوة أحد أصيب بحجر، وشُجت به جبهته وسنه وشفته، ولوكان يعلم الغيب لتفادى هذا الحجر الكبير وسلم منه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

فالنبي ﷺ ما كان يعلم ما يُضمره بعض الناس من نوايا سيئة، بل كانت أقوالهم تعجبه لأنهم كانوا يتظاهرون بها. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤]. فالرسول ﷺ ما كان يعلم كل شيء، فالشهداء أيضاً وهم دون مرتبة النبوة، في حياتهم البرزخية لا يعلمون كل شيء، والحياة الدنيوية لا تستلزم العلم بالأشياء، واطِّلاع الأموات على أحوال الأحياء يحتاج إلى دليل وبرهان.

إن جملة ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تدل على أن الشهداء لا يعلمون كل شيء، وأنهم ينزلون منزلاً لا خوف فيه ولا يراودهم فيه حُزن، ولو كانوا مطلعين على أحوال العصاة

لحزنوا واغتموا، ولو علموا آلام ومصائب زائريهم لامتلأت قلوبهم غماً وحزناً، ولو افترضنا جدلاً(ونعوذ بالله من هذا) أن النبي ﷺ أو عيسى عليه السلام أو مريم عليها السلام أو الإمام رضا عليه السلام، اطلعوا على آلام ومصائب وأحزان زائريهم لحزنوا، وانقلبت دار السلام إلى دار الحزن والبلاء، ولكن الناس يرفعون هؤلاء إلى منزلة رب العزة، فيدعونهم ويعبدونهم بالاستعانة والاستغاثة وتفريج الكربات، منهم من يأتي إلى قبورهم ويقول إن ابني تحت وطأة التعذيب، ويقول الثاني أن العد والكافر قد صال في بلادنا وجال، وأعمل فينا السيف، ويقول الثالث أن ابني مصاب بالسرطان، ويقول الخامس أنا مصاب بالمرض النفسي، ويقول السادس سرقوا مالي في الزيارة وأنا مسكين معدم، ويقول السابع إن المؤجر أو مالك البيت يؤذيني يومياً، ويريد أن يطردني منه، وهكذا آلاف المصابين والمرضى والمظلومين يتأوهون، وعلى النقيض من ذلك صنف أخر من الناس، ولهم مشارب شتى وحاجات متنوعة يختلفون عن الصنف الأول، منهم من أتى إلى زيارة القبور يروم سرقة، ومنهم من يقصد فاحشة، ومنهم من ارتقى المنبر يناول الناس أحكاماً مغايرة لأحكام الإسلام، ومنهم من هو ملك أو وزير دخل المزار، و هو مرتكب للجرائم، ومنهم من هو متلبّس بالخيانة، وآكل أموال المستضعفين بغير حق، أو مغتصب لأراضي الفقراء وهلم جراً، آلاف من الخيانات، وصاحب القبر لو علم كل هذا، لاستبد به الغم وتحولت راحة البرزخ إلى حزن وألم.

ثم تلاحظون أن رجالاً قد اختلقوا أدعية للزيارة، ناسبين إياها إلى إمام من الأئمة، يقول فيها مخاطباً صاحب القبر: «أشهد أنك ترى مقامي وتسمع كلامي وترد جوابي» وهو لا يسمع جواب صاحب القبر، وبهذا يفتري ويأتي بشهادة الزور.

ونحن في هذا المختصر نُثبت أن أولياء الله بعد وفاتهم، لا يعلمون عن الدنيا شيئاً، ويعيشون في عالم آخر، لا يعرفون عن أحوال العباد شيئاً. قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ

ٱللَّهُ مِن فَضْلِه ويَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّه وفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل‌عمران: ١٧١].

أي أن الله عز وجل في مقابل استبسالهم في سبيل الله، وتضحيتهم بالغالي والنفيس من الدنيا يعطيهم مقاماً في الجنة أجراً ومثوبة لهم، وهذا المقام أحسن من مقام الدنيا بمئات الدرجات ولا يريدون أن يعودوا إلى آلام الدنيا، وأحزانها وأتراحها ويغرقوا فيها.

فتبين أن (عند الرب) هو المكان الذي تطلبه آسية امرأة فرعون ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

فعند الله عالم غير الدنيا الفانية، لو قال أحد إن الله في كل مكان وإن المقصود من (عند الرب) أيضاً كل مكان، نقول لو كان كذلك لكان كل كافر ومنافق وظالم إذا توفاهم الله عند الرب، ولو كانوا في العذاب، لأن الله له الجنة والنار ويحيط بهما، فإذاً لا معنى لهذه الخصوصية للشهداء بأنهم عند ربهم، وبناء على ما نص الله عزوجل، فان أرواح الأنبياء والصالحين والشهداء لا تعلم عن الدنيا شيئا، ولا يوجد دليل على أن أرواحهم مستقرة في قبورهم، أو ما حولها. وإن القرآن الكريم ينص على أن للإنسان مؤمناً كان أو كافراً حياتين فقط، الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، وأما البرزخ وما يُطلق عليه عالم القبر، فعالم صامت ومدهش وبعيد عن الدنيا، حياة لا كحياة الدنيا، لا حراك فيها أي أن هذه الحياة في الحقيقة محطة الانتظار يرحل عنها الإنسان إلى يوم القيامة، وحائل بين الحياتين الكاملتين فإن الحياة التي ورد ذكرها في النصوص بعد حياة الدنيا حياة ناقصة قبل قيام القيامة، وأنها تعم الصالح والطالح، وإذا بُعثوا من قبورهم وحُشروا في يوم القيامة، تبدت لهم حياة البرزخ كأن لم تكن، ولم يفهموها فهما كاملاً، وكأنها رؤيا عابرة، وكأنهم بُعثوا من بعد موتهم مباشرة، أو بعد مسافة زمنية قصيرة. وينبغي أن ندقق النظر في القرآن الكريم، إن الله عز وجل يذكر جميع المراحل حيناً،

ويحذف الفواصل حيناً، ويذكر المراحل على سبيل الإجمال، يعنى ابتداءها وانتهاءها، يقول الله عز وجل: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

وأما في موضع آخر فيُفصِّل مراحل خلق الإنسان مرحلةً مرحلة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٥].

فإن هذه الآية بيان وتفصيل للآية الأولى.

ويقول الله عز وجل أيضا في حركة السحاب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣].

ويقول مفصلاً في سورة الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨].

وإن الله عز وجل في القرآن الكريم، يتعرض لذكر الجنة وجهنم بعد وفاة الإنسان، دون إشارة إلى عالم البرزخ، قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]. كأنهم بعد غرقهم مباشرة سيقوا إلى نار جهنم، لكن تفصيل الآية ورد في سورة غافر قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

وهذا النص القرآني يدل على أن فرعون وجنده قبل دخولهم النار يوم القيامة، يتعرضون لأنواع من العذاب. فيُستفاد من هذه الآيات أن هناك جزاءين، جزاء في البرزخ وجزاء في يوم القيامة بعد الحياة الدنيوية، وأن الحياة الأخروية حياة كاملة وافية للإنسان، أما الحياة البرزخية فهي حياة ناقصة تحمل في طياتها آلاما وأفراحاً، ولم يتعرض القرآن الكريم لتفاصيلها، إنما ركز على الحياة الأخروية وتفاصيلها، لأن الحياة في البرزخ حياة عابرة، ولو طالت لآلاف السنين، لأن بعدها الحياة المتجددة في الإنسان، وإنها تظهر كيوم أو أقل. أو تشبه الرؤيا المحزنة،

أو السارّة أو الرؤيا التي سافر فيها الرائي وعاين المناظر المتعددة، ولكن بعد الاستيقاظ من النوم يشعر بقصر نومه.

قال تعالى عن حالة المبعوثين في يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ [الإسراء: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦].

ومن الآيات الصريحة المتعلقة بعالم البرزخ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هو قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمن: ٩٩-١٠٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠].

هذه الآيات تدل على أن جسد الميت في الدنيا، وأن الروح ليس لها وجه وظهر. ولا شك أن المراد هو القالب البرزخي للميت قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس: ٢٦].

فالجنة التي دخلها لو كانت جنة الآخرة لعلمها قومه، فتبيّن أن هناك نوعاً من الراحة أو العذاب بعد الممات في عالم البرزخ، وأن الإنسان لا يملك فيه حياة كاملة، وأنه بمثابة الطفل

الكامل في رحم أمه قبل الخروج إلى الدنيا، وأن الطفل في هذه المرحلة من حياته لا يملك حياة كاملة، فالإنسان في عالم البرزخ لا يتمتع بحياة كاملة ووافية، وهو يقضي مرحلة ما قبل الخروج إلى يوم القيامة، وإن عالم البرزخ لا يختص بالصالحين والشهداء فحسب، بل يشمل المجرمين والكفار أيضاً، وإنهم جميعاً في عدم صلتهم بالدنيا سواء، لذا فإن المجرمين ليسوا وحدهم غير مطلعين على الدنيا فقط، بل الشهداء والصالحون لا يعلمون عن الدنيا شيئاً، وأما الأخبار التي يطلع عليها الأنبياء والشهداء والصالحون، فهي عن طريق اتصال أرواحهم بأرواح الناس الطيبة قلوبهم الذين يتوفاهم الله عز وجل، لأنه لا توجد في عالم البرزخ حياة كاملة، والحياة التي فيه حياة تفتقر إلى كثير من صفات الحياة، كالحواس الباصرة والسامعة مثلاً، وإنهم يعيشون في عالم لا يعلمون شيئاً عن الدنيا، وأن البشر صالحهم وطالحهم يفتقرون إلى السمع، والقرآن ينص على أن الأموات إلى أن يُبعثوا يفتقرون إلى السمع: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: ٣٦]. وفي هذه الآية شبه الله الكافرين بالأموات، لأن الأموات لا يسمعون، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. [النمل: ٨٠ والروم: ٥٢].

وإن المنصوص عليه في القرآن الكريم، أن كل مخلوق لا يملك حياة كاملة بعد الوفاة، وإنه لا يعلم شيئاً عن الدنيا، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء والأولياء قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

ومما لا شك فيه أن هذه الآيات تشمل الأنبياء والأولياء، لأنهم لا يخلقون شيئاً بل هم مخلوقون، ولا يعلمون شيئاً عن يوم القيامة. وقد شبه الله عز وجل البعث في يوم القيامة والخروج من الأجداث ببعث النبات في الدنيا، كما أن الشجر والنبات في فصل الشتاء في

صمت وسكون، وإلى حلول فصل الربيع لا حراك فيه، فإن الأموات أيضاً في عالم البرزخ في صمت مطبق في صالة الانتظار، إلى أن يُبعثوا في يوم القيامة وتتحرك أجسادهم، ويهرعوا إلى محكمة العدل الإلهي. قال تعالى: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

فعلمنا أن الأرواح في عالم آخر. لنفترض جدلاً أنهم يطّلعون على حاجات زائريهم، فهل يحضرون فوراً ويعودون إلى الدنيا، ويلبون حاجاتهم أم لا؟ من الواضح انب القرآن والعقل يحكمان بأن الأنبياء والأولياء يجهلون ما يجري في الدنيا، بل ولا يعرفون شيئاً عن أبدانهم فضلاً عن أحوال الآخرين قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

في هذه الآية إن نبي الله عليه السلام قد رحل عن الدنيا، وتوفي مئة عام وما كان يعلم عن بدنه ومركبه ومدة وفاته شيئاً، ولاشك أن مقام النبوة أرفع من مقام الولاية، لأن كل إمام ومأموم مكلف بنص القرآن أن يؤمن بالأنبياء، ومنهم عزير عليه السلام وإلا يخرجون من دائرة الأيمان قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فبناء على هذا فالشهداء والأئمة والصالحون كلهم مكلفون بالإيمان بالرسل، وهذه هي موارد الإيمان وأصول الإسلام التي يجب الإيمان بها.

فهذا نبي من أنبياء الله، ارتحل عن الدنيا، ولم يعرف شيئاً عن بدنه، ومدة وفاته، فكيف يطّلع على أحوال الآخرين؟ ومما لا ريب فيه أن كل كلام يخالف آيات القرآن مردود غير مقبول.

إن سيدنا يعقوب عليه السلام ما كان يعرف شيئاً عن حال ابنه يوسف عليه السلام، بل وأمضى زمناً في حزن عميق وكذلك سيدنا نوحاً عليه السلام لما نالوا من أتباعه، وأرادوا منه ردهم، أجاب ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢].

وعند ما أتى ملائكة العذاب إبراهيم عليه السلام فأنكرهم، وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥].

وموسى عليه السلام ما كان يعلم أن أخاه هارون عليه السلام غير مقصر في عبادة قومه البقرة، حتى أخبره هارون عليه السلام بهذا. ولم يعلم موسى عليه السلام أن رفيق سفره قد نسي الحوت، وأنه عليه السلام رغم أن عصاه تحولت إلى حية تسعى، فكان يخاف في يوم المبارزة أن يخدع السحرة الناس، وما كان يعلم أن عصاه تتحول إلى حية تلتهم ما يأفكه السحرة. وأن سليمان عليه السلام ما كان يعلم شيئاً عن أخبار مملكة سبأ حتى جاءه الهدهد بخبرها. وأن أصحاب الكهف قد رقدوا ثلاثمائة وتسعة (٣٠٩) أعوام ولما استيقظوا ما كانوا يعلمون مدة رقودهم، فتساءلوا وقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] فهولاء لا يعلمون شيئا فكيف يطلعون على أحوال الناس؟ لو قالوا أن آية: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] تدل على أنهم نيام أي أنهم لم يموتوا بل ناموا، لقلنا إن القرآن الكريم يقول عن الأموات: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون: ١١٣].

ويُطلق أيضاً على قبر الإنسان المرقد أي محل النوم، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال ﷺ: «النوم أخو الموت». وقد ورد أيضاً عنه ﷺ: «كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تحيون». وكل هذا يدل أن في النوم تعود الروح مسرعة إلى الإنسان بينما في الموت لا تعود إلا متأخرة، وفي عالم البرزخ الإنسان الصالح كالذي نام نومة هادئة، والإنسان الطالح كالذي يتعرض للكابوس المفزع المخيف. قال ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

فالحياة الناقصة وشبه الكاملة في البرزخ لا تدل على إطلاع الأموات على أحوال أهل الدنيا، وإن الآيات القرآنية تدل على أن الرسل عليهم السلام بعد وفاتهم، لا يعلمون شيئاً عن الدنيا وأممهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾[المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[المائدة: ١١٦]، وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، فإن عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، لكنه بعد وفاته قد انقطع عن أمته انقطاعاً، فكيف يمكن أن يطّلع الإمام وأبناؤه بعد وفاتهم على الدنيا وأتباعهم؟فالذين يدعون الأنبياء والأولياء كأنهم لا يعلمون عن آيات القرآن شيئاً، لأن الله عزوجل عدَّ من المشركين من يدعو غير الله، فنذكر الآن آيات من القرآن تدل على هذا.

---

١ – بحار الأنوار ٦/ ٢٨٤ والتاج الجامع للأصول، ١/ ٣٧٦–٣٧٧. هذه الرواية رواها الفريقان–السنة والشيعة– وهي توافق الآية ٤٦ من سورة «غافر» المباركة وآيات أخرى من القرآن الكريم.

الآيات القرآنية فيمن يدعو غير الله

لقد ذكرتُ في ثلاثةٍ من مؤلفاتي، وهي "أحكام القرآن" و"قبس من القرآن" و"أدعية من القرآن" بأن الله عز وجل يحكم على من يدعوغيرالله بالشرك، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤]

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فالخلاصة: إن دين الإمام والـمأموم ودين الرسول وأمته واحد، فإن الأئمة والأولياء مهما نالوا من درجات عند الله عز وجل لا يدعون غيره، فالواجب على أتباعهم أيضاً، أن لا يدعوا غير الله عز وجل، ولا يشركوا به شيئاً لأن الأنبياء والأئمة كلهم مخلوقون، وبعد وفاتهم يجهلون أحوال الدنيا، ولا يعلمون عند قيامهم من قبورهم وحشرهم في يوم القيامة شيئاً عن أحوال الدنيا، كما نص على ذلك القرآن الكريم. ولو علموا أحوال وآلام أهلها لاغتمُّوا، لأن الله عز وجل نقلهم إلى دار السلام، ليعيشوا في راحة واطمئنان لا في غموم وأحزان. قال تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل‌عمران: ١٧٠].

فالإنسان بسمعه الدنيوي يسمع أصوات أهل الدنيا، فإذا امتلأ سمعه بالتراب أو تبدل إليه فَقَدَ سمعه الدنيوي، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠].

فرسول الله وخاتم الأنبياء ﷺ، يعجز عن إسماع الأموات، فكيف بغيره يتمكن من هذا؟ فمادام الموتى يعجزون عن مخاطبة الرسول ﷺ، فكيف يقدرون على أن يَسمعوا من الآخرين ويردوا عليهم؟ فالواجب ألا نعبأ بالكذابين من الرواة، الذين اختلقوا روايات في زيارة القبور تخالف القرآن جملة وتفصيلاً، فهؤلاء يدعون الشخص أن يقف أمام القبر خاشعاً، ويقول:" أيها الإمام أنت تسمع كلامي وترد علي" والله إنه من العجب أن نرى أناساً تركوا القرآن ورآء ظهورهم، ولجأوا إلى كتب زيارة القبور المخالفة للقرآن والدلائل العقلية. زيارات اختلقها أهل الغلو، فكيف يردون على الدلائل؟ الأنبياء عليهم السلام بشر كسائر الناس إلا فيما اختصهم الله سبحانه وتعالى به من دون الناس، وهو الوحي الذي اختصوا به. فان الحياة بعد الوفاة إذا انفصلت الروح عن البدن فإنها حياة لا دنيوية ولا أخروية، إنما هي الحاجز بين الحياتين ولا تحتاج المسألة إلى تفصيل أكثر: قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

وهناك آيات أخرى تدل على المسألة المذكورة، لأن في الدنيا حياة وفي الآخرة حياة وبينهما حياة بمثابة البرزخ، فهي حالة أخرى كالنوم والإغماء مثلاً، كما أن قطعة أرض بين النهرين تسمى حاجزاً أيضاً.

كلام علي عليه السلام في الأموات

قراءة كلمات الإمام علي عليه السلام تدل على أن هناك عالماً خالياً عن حركات الحياة، قد انقطعت علاقته بالدنيا كلياً، ولا يعرف عن وقائعها شيئاً. قال علي عليه السلام: «**تحمله حفدة الولدان وحشدة الإخوان إلى دار غربته ومنقطع زورته**». [نهج البلاغة/ ٨٣] وقال: «فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً ولا يبالون مندبةً، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون». [نهج البلاغة/ ١١١] ولما حضرته الوفاة قال لبنيه: «أنا بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم». [نهج البلاغة/ ١٤٩] كأن المتظاهرين بالتشيع لا يقبلون كلمات الإمام ويرونه حاضراً لديهم ويذهبون إلى زيارته أحياناً! قال علي عليه السلام: «أصبحتْ مساكنهم أجداثاً، وأموالهم ميراثاً، لا يعرفون من أتاهم، ولا يحفلون من بكاهم، ولا يجيبون من دعاهم». [نهج البلاغة/ ٢٣٥]، وقد وقف عليه السلام على قبر فاطمة الزهراء عليها السلام يبكي وهو ينشد:

مالي وقفت على القبور مسلماً قبر الحبيب فلم يردَّ جوابي
أحبيبُ مالكَ لا تردُّ جوابنا أنسيت بعدي خلةَ الأحباب

فالإمام يؤكد على أن فاطمة عليها السلام لا ترد. فكيف يتوقع المتظاهرون بالتشيع الرد من الأموات؟ ويقفون أمام مرقد الإمام أو أبنائه، ويقولون: أشهد أنك ترد جوابي، وقد ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه زار قبر الحسين في اليوم الأربعين من شهادته يسلم عليه وينادي كما ورد في كتب الحديث ثلاث مرات، ثم يقول: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم يضيف: «**وأنى لك بالجواب، وقد جحظت أوداجك، وفرق بين يديك ورأسك**» فهل جابر لا يعلم كما يعلمه

الـمتظاهرون بالتشيع، فهو يقول: إن الحسين لا يرد سلامه، فهل كلام الإمام علي عليه السلام إن الزهراء لا ترد جوابه، صحيح أم خطأ؟ لا شك أنه صحيح.

عندما قبض الكوفيون على مسلم بن عقيل، ونقلوه إلى دار الإمارة وأرادوا قتله، قال: عندي وصية وقال لعمر بن سعد: ووصيتي أن الإمام الحسين لا يعلم عن الكوفة شيئًا، فأخبروه ألّا يقترب منها.

فالسؤال: هل مسلم وهو نائب الإمام الخاص لا يعلم أن الإمام يعلم كل شيء، فهل الـمتظاهرون بالتشيع يعلمون أكثر من مسلم؟ إذا رجعنا إلى أدعية الأئمة في الصحيفة السجادية والصحيفة العلوية، قلما وجدنا فيها شيئاً يخالف القرآن، فالأئمة كانوا يخافون على أنفسهم من يوم القيامة، ويطلبون من الله السلامة من ذلك اليوم العظيم، ولـم يشيروا فيها لا من بعيد ولا من قريب إلى حياتهم البرزخية، أو اطِّلاعهم على أحوال أهل الدنيا. فالـمسؤولية تقع على كاهل الرواة الكذابين، الذين اختلقوا أدعية الزيارة، ونسبوها إلى الأئمة دون الرجوع إلى القرآن الكريم.

الزيارة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

ما نجده من تفاصيل في كتب الزيارات، لم تَرد في شريعة من شرائع الأنبياء والكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن، وهذه الأحكام التشريعية التي نجدها، غير موجودة أصلاً في أي شريعة صحيحة. لقد ارتحل عن الدنيا ١٢٤ ألف نبي، ولم يُذكر لهم في الكتب السماوية قبة أو زيارة أو أحكام زيارة قبورهم، والإسلام دين الأنبياء جميعاً. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣].

ونجد بعد قراءة متأنية لهذه الأديان، أنه ليس ثَمة أحكام تشريعية لزيارة قبور الأنبياء، قال عليّ عليه السلام بعد تلاوة سورة التكاثر: «يا له مراماً ما أبعده، وزوراً ما أغفله، ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة، لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة، إلى أن قال: سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً، وبالسمع صمماً وبالحركات سكوناً». [نهج البلاغة/ ٢٢١].

وقد راجت في زمننا بدع كثيرة بين الناس، ومنها بناء القبور وتزيينها، والنذر لها ووقف الأموال عليها، وإن مصاريف هذه القبور ونفقاتها، تُؤخذ من هذا الشعب الفقير. وقد نهى الله عن هذا العمل ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾ [النحل: ٥٦].

ويجب أن يعلم الناس أن من ارتحل عن الدنيا، فلا يحتاج إلى نذركم ووقفكم، وما يُنفق في بناء هذه القبور، أو شراء الأغلال فكله تبذير وإسراف، ولا يرضاه الشرع، والإسلام لا يقر بالوسائط بين الناس وبين ربهم، فعلى الناس أن يدعوا الله عز وجل دون الوسائط، وقد نهى الله

عز وجل عن عبادة القبور والأحجار، بل وقد ألغى عبادة غير الله عز وجل أصلاً، لكن نرى مع الأسف الشديد، كما أن النصارى واليهود يدعون المسيح ومريم عليهما السلام لقضاء حاجاتهم، فإن المتظاهرين بالإسلام أيضاً يدعون الرسول ﷺ والأئمة والأولياء لقضاء حاجاتهم، فليعلم الناس أن الإسلام قد نهى عن الكتابة على القبور، وتجصيصها والصلاة إليها والذبح لها، بل وقد أمر بتسوية القبور، وسوف أذكر بعضاً من الأحاديث في هذا الباب في كتابي هذا، وقد ذكرت قسما منها في كتاب (جامع المنقول في سنن الرسول ﷺ).

هل تعود أرواح الأولياء إلى الدنيا؟

يتوافد إلى قبور الأئمة أناس ويطمعون في شفاعتهم وقضاء حاجاتهم، هل يظنون أن الأئمة يعودون إلى الدنيا الفانية في كل لحظة يُدعون، ويُصغون إلى حاجاتهم؟ لا شك أن هذا الظن السيّء منبعه الجهل، لأن كل من رحل عن الدنيا فلا يعود إليها، وخصوصاً أئمة الدين الذين كانوا لا يحفلون بمباهج الدنيا وزينتها قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وبناء على هذا فإن أرواح الأنبياء والأولياء، لا تعود إلى الدنيا بطلب من هنا أوهناك، وإنها غير مطيعة لأحد من البشر، ومن يدعي من أصحاب المحلات بأنهم قادرون على استحضار الأرواح، فإنهم كاذبون في دعواهم أولاً، وغير متسلطين على أرواح الأنبياء والأولياء ثانياً، بل أرواح هؤلاء أقوى من أن يتسلط عليها هذه الشرذمة من الناس، وثالثاً يمكن القول أن ما يقومون به، هو استحضار أرواح الشياطين المرافقة للإنسان، لأن كل إنسان عندما يولد، معه شيطان يريد أن يوسوس له ويتمكَّن منه، وإذا مات الإنسان بقي شيطانه، ولأنه يعلم عن

الإنسان بعض أموره، فاذا تم استحضاره قال عن الـميت أشياء، وهم يظنون أن ما تم هو استحضار روح الـميت لا غير.

هل مهمة الإنسان مدح السابقين وذمهم؟

يقول عليٌّ عليه السلام في وصف أهل الإيمان: «عظُم الخالق في أنفسهم، فصغُر ما دونه في أعينهم». [نهج البلاغة/ ١٩٣]، أي أنهم يعتقدون بأن الله عز وجل يراقب أعمالهم وينظر إليها، ولا يلتفتون إلى مدح الناس وثنائهم ولا يعبؤون به، بل كانوا ينهون عن إشادة الناس بهم ومدحهم، ويبرؤون من كل هذا ولا يغترُّون به، لأنهم كانوا يخافون من الاغترار بهذه الـمدائح. وقد قال عليّ رضي الله عنه رداً لمن مدحه: «فلا تثنوا علي بجميل ثناء، لإخراجي نفسي إلى الله سبحانه، وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ من أدائها» وأضاف: «فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى». [نهج البلاغة/ ٢١٦].

فان علياً عليه السلام هو الإمام الهمام الذي عندما أتى الإيرانيون في الـمدائن لاستقباله وتكريمه واحترامه ذمهم، ولم يرض أن يخضع له أحد، لأنه ما كان يعدُّ نفسه معصوماً. فهل يرضى اليوم أن يكيل الـمداحون مدائح، ويبالغون في مدحه ووصفه، ويُضفون عليه الصفات الإلهية؟ فعلى أي حال حسنات السابقين وسيئاتهم لا تمت بصلة إلى اللاحقين، فعليهم ألا يشتغلوا بمدحهم أو ذمهم، بل الواجب عليهم أن يشتغلوا بأعمالهم التي كُلفوا بها قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤].

وبناء عليه فلا يجوز لعن السابقين في هذه الزيارات، أو كيل الـمدائح والـمباهاة بهم، فإن

هذا عبث ولغ ولا يرضاه الشرع. قال رسول الله ﷺ: «**احثوا في وجوه المدّاحين التراب**» [وسائل الشيعة ج١٢- ص١٣٢]، فماذا يستفيد الذي لا يجاهد من الثناء على المجاهدين؟ والذي لا يمتنع عن عبادة الدنيا وشهواتها، ماذا يفيده مدح الأنبياء والأولياء؟ هل مهمة مسلمي الصدر الأول من الإسلام الالتزام بأحكام الشريعة، ومهمتنا الإطراء والتمجيد؟ هل الإسلام يملك مشروعين متناقصين؟ الذين يدَّعون محبة النبي ﷺ وأهله أو الإمام، لا يلتزمون بما التزموه هم بل يعملون وفق أهوائهم، ويختلقون كتباً في كيل المدائح، وينسبون معجزات موهومة إليهم. هل يظنون بأن الأئمة كانوا يفعلون في حق النبي ﷺ أو إمامهم، كما يفعلون هم؟

أو يعتقدون أن مهمة الإمام تختلف عن مهمة المأموم؟ أليست عقائد المسلمين وأعمالهم واحدة؟ هل يختلف دين الإمام عن دين المأموم؟ ما هي أصول الدين عند عليٍ عليه السلام؟ هل أصول دينهم غير أصول ديننا؟ هذه أمثلة لا يملك شعبنا جواباً عليها، إن شعبنا عندما ترك الجهاد والعدل وراء ظهره، واشتغل بالبكاء والعويل لمجاهدي الإسلام الأوائل، أصيب بالذل والهوان والنكسة، وتخلّف عن ركب الأمم المتقدمة. هؤلاء يظنون أن الإسلام عبارة عن الثناء على الرسول ﷺ أو الإمام، هل يخدعون الله أم انفسهم؟ ويعتقدون أن الإمام حاضر ويرضى عن هذه البدع؟ وهل يُعقل أن إماماً في حياته كان يكره أن يُمدح ويُثنى عليه، يأمر بعد وفاته أن يقام عند قبره وتكال له المدائح؟ هذا حال المتظاهرين بالتشيع، إنهم بعد ألف سنة يظنون أن الإمام يرضى عن مدائحهم، فينفقون وينشدون أشعاراً غير موثوقة، ويرفعون شعارات فضفاضة فارغة من المحتوى.

هل بناء الزيارات سنة الأنبياء؟

إن الملوك المتكبرين الغاشمين الغافلين عن الدين، قد بنوا هذه المراقد والقبب والأضرحة من الأموال المنهوبة، وقد استمالوا الناس وبهروا عيونهم بمَلئِ هذه المراقد بالحلي والجواهر الثمينة، وبهذا قد أبعدوا الناس من المساجد. هؤلاء الملوك أمثال الصفويين والقاجاريين الذين لم يكن لهم إلا الفساد والقتل، ونهب الأموال وخدمة الأجانب وترويج الخرافات، وبسببهم تخلّفت إيران عن ركب الأمم المتقدمة، وسقطت في حضيض من التخلف والركود. إن هؤلاء الملوك كانوا يجمعون الأموال من الرشاوى والضرائب والأتاوات، ولاستمالة قلوب الناس كانوا يبنون مقابر الأئمة، ويشيِّدون عليها القبب العالية، وكان كل هذا تبذيراً وإسرافاً وتنطعاً في الدين، في زمنٍ ما كان الناس يملكون كوخاً في القرى البعيدة التي كانت تفتقر إلى المياه، وأكثر بيوتها منهارة وأهلها يعيشون في البطالة.

فأنفق هؤلاء الأوباش الملايين في سبيل بناء المقابر، واشتروا لها الأحجار الكريمة من الرخام الأبيض والأحجار المنقوشة والفضية والذهبية. ومن هؤلاء السفاحين الشاه صفي حفيد الشاه عباس الذي أراق دماءً كثيرةً من وزرائه وأولاده وأقاربه وعندما توفي دفنوه في اتجاه القبلة من مرقد السيدة المعصومة، وبنوا حيطانه وزينوها بالرخام الأبيض. وقبر الشاه عباس الثاني بجوار قبر الشاه صفي، وتم بناء مقبرته بالرخام الأبيض العالي، ووضعوا على مقبرته صناديق من الذهب والماس، وقد بالغ الشعراء في الثناء عليه، ورفعوا منزلته من منزلة النبي ﷺ... وكان الملوك يظلمون والمداحون والشعراء والأدباء والمتعالِمون كانوا جميعاً يطرونهم ويطهِّرونهم تطهيراً، طمعاً في جمع المال. وما نشاهده الآن من أبنية وأروقة وقبب ومآذن، بناها الملوك الظالمون والوزراء الخونة، فالشاه البهلوي الذي ما كان يؤمن بدين أصلاً، بنى لمقبرة الرضا عليه السلام باباً. والأتابك الأعظم وابنه أمين السلطان اللذين استلما

مبلغ ٤٠٠ ألف جنيه من انجلترا دون الرجوع إلى الشعب ورضاه، وأوقف سريان مفعول اتفاقية التبغ حتى ثار الشعب عليه وتمكن من إبطال ما أراده ذلك الوزير الظالـم، هذا الوزير الخائن بنى حوشاً كبيراً للسيدة الـمعصومة في قم، وأنفق على قبرها ١٠٠ ألف تومان قبل أن يموت، ثم جاء أديب فأجلسه بجوار خليل الرحمن عليه السلام –نعوذ بالله– وادّعى أن الوزير جدد بناء مقبرة السيدة الـمعصومة، كمـا أن إبراهيم عليه السلام جدد بناء الكعبة، يقول: "فإن الأرض أصبحت مظنة حسدِ السماء لبناء الخليل ولبناء الأمين، فالخليل ببنائه صار خليلاً للرحمن، وصار الأمين سلطاناً ببنائه الـمتين". فالشاه عباس مثلاً كم سفك من الدماء، فهجم على مدينة هرات الإسلامية وحاصرها أربعة أشهر ثم اقتحمها بجنده من قزلباش، وقتلوا حوالي أربعين ألفاً من مسلمي هرات، ثم أمر بنهب الـمدينة فنهبوا ما فيها من ذهب وفضة ودينار وجمعوها، وجاؤوا بها في أكياس كبيرة إلى الشاه. جاء في كتاب (عالـم آراي عباسي): "أن هذه الأحمال الكبيرة قد حملتها النوق والخيل، ونقلتها من هرات إلى مشهد، ثم اجتمع علماء وكبراء الـمدينة واستشارهم الشاه في مصاريف هذه الأموال الـمكدسة، قالوا: نصنع ضريحاً من الذهب والفضة وقبة مزينة ومئذنة عالية، فأمر الشاه ببناء القبر والقبة والـمئذنة من الأموال الـمنهوبة، وأمر بنحت اسمه حول الـمرقد"[1]. فالشاه الذي قتل أربعين ألفاً من الـمسلمين، كيف

١– راجع كتاب "سفريات إخوان تشرلي" وقد قال لهم الشاه: "أنا نصراني تقريباً" وشرب عندهم الخمر. هذا الشاه الذي اصطحب معه ٦٠٠٠ آلاف جندي للذهاب إلي زيارة الأمام راجلاً لخداع الناس إلى مشهد وبرفقته نساؤه، واستغرقت رحلته ستة أشهر لأنه كان يستريح كل منزل وتقام الخيام وأراد أن يصلح شموع المزار بالمقراض وذكره آية الله زمانه بأن المرقد مهبط الملائكة ويحتاط ألا يقرض أجنحتهم. فأمثال هؤلاء شيدوا مراقد الأئمة وأضرحتهم لخداع الناس!! فاعتبروا يا أولي الأبصار.

يعتبرونه من أهل الجنة؟ ألـم يقل الله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ولَعَنَه وأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

فالسؤال هو أن الحجرة التي لبناتها من الـمال الـمنهوب، الصلاة فيها باطلة، فكيف تصح الصلاة في مزارات وأروقة مصنوعة من الأموال الـمسروقة الـمنهوبة؟ فلماذا يقيم العلماء فيها الصلاة؟ أم في حكم الشرع ثَمة فرق بين الـمزارات والـمساجد؟ فالـمقبرة الـمذهبة للسيدة الـمعصومة قد بناها فتح علي شاه، والـمزار الـمذهب لسيدنا عليّ قد بناه في النجف نادر أفشار من الأموال الـمنهوبة في حملاته العسكرية لشمالي العراق، فهل يرضى الله عز وجل والأنبياء والأولياء عن هذه القصور والـمزارات، أم ترضى عنها الشياطين والـملوك؟ فهل يحق لكل ملك ووزير وهو الـمكلف أصلاً ببناء الوطن، وصرف الضرائب في وجوه التنمية في مختلف الأصعدة، وتهيئة الـمناخ الـمناسب للشباب وتوفير فرص العمل، فهل يحق له أن يشتغل بهذا العبث واللغو؟ في الوقت الذي كانت أروبا تتعمق في التحقيقات العلمية، وتسبر أغوارها وتصنع الـمدافع والطائرات، هل كان يناسب الـملوك في إيران أن ينفقوا ثروات الشعب في بناء القبب والـمزارات؟ وإيران بحاجة إلى بندقية من أوربا، وهل هؤلاء الـملوك والعلماء كانوا من متبعي العقل والشرع أم الأهواء؟

وهل ما ارتكب هؤلاء الـملوك والعلماء من الخيانات والجرائم كل هذا مغفور لهم؟ لأنهم قد احترموا الأئمة وأبناءهم ومجدوا أصحاب السمو، أمثال عبد العظيم وحمزة وجعفر وقاسم ويحيى، وهل كل هذا يكفر عن سيئاتهم؟ إذا سألت هذا السؤال للشيخية والصوفية والمادحين وأهل الروضات والخادمين والفراشين لقالوا نعم. أما القرآن فيقول لا. فالآن لكم الخيار تتبعون القرآن أم الخرافات؟

أحمد بن موسى الـمعروف بشاه جراغ الذي ادعى الإمامة دمّر مدينة شيراز، وخرج مع أبي

السرايا وقتل خلقاً من الناس، بنَوا له مزاراً وافتعلوا له كتاباً في زيارة قبره وشغلوا أناساً به، ولأنه صاحب مزار وقبر، فهو من أئمة الدين.

فهؤلاء الملوك الظلمة أرادوا إبعاد المسلمين عن حقائق الدين، فنشروا بينهم الخرافات ليحولوهم إلى مراكب يركبونها، وساعدهم في هذه المهمة القذرة المتعالون، وعطّلوا أحكام الإسلام الضرورية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار ووحدة المسلمين والمساواة والأخوة، وروّجوا خرافات من أمثال أن زيارة الإمام لها أجر مائة ألف أو ألف حجة مع الرسول ﷺ. بينما الرسول ﷺ لم يحج إلا حجة واحدة، أما الزائر الفلاني حج ألف حجة وبذلك أراد الكذابون والمفسدون والمغالون، أن يستأصلوا شأفة الإسلام ويسخروا من شعائره ويوهنوا أساسه، فاختلقوا مثل هذه البدع ليشغلوا من عنده خوف من يوم القيامة والحساب والجزاء، بهذه الأعمال العبثية وينقذوا أنفسهم من العذاب بهذه الترهات، ويغتروا بهذه اللطامات والحسنات الموهومة ويتجاسروا على المعصية، ولا يكلفوا أنفسهم بتعلم حقائق الدين الإسلامي، وبذل النفس والمال في الجهاد في سبيل الله، ويقتنعوا بما هو سبب في نكستهم ونقمتهم وانحطاطهم، ويأملوا بأن الأئمة في يوم القيامة سيحمونهم، وبهذه الروايات الساقطة الكاذبة قلّلوا من عظيم شعيرة الحج، التي هي وسيلة ارتباط المسلمين بعضهم ببعض، وارتفعت منزلة مجالس التعزية وزيارة المراقد. فهذه السياسة الاستعمارية قد أدت مفعولها، فاليوم مثلاً إن أعظم عمل عند شعبنا زيارة القبور وإقامة مجالس التعزية، وقد زادتهم هذه الخرافات إضافة جمل شركية من إشراك وزير أو إمام مع الله، وجعلِ الأئمة عينَ الله الناظرة ويدَه الباسطة، وأنهم في يوم القيامة يملكون محاسبة أهل مذهبهم. فليُعلم أن الإسلام الحقيقي هو سبب اليقظة والعزة والشهامة، وأنه يسّد الأبواب في وجه السلاطين الظلمة، فلذا كانوا يتوجسون منه خيفة، فأبعدوا الناس عنه وأجبروهم أن يعبدوا القبور ويزورا المقابر

ويدعوا أصحابها بدل عبادة الله وحده. وقد بدأ بناء هذه المشاهد والمقابر في زمن العباسيين، وكانت القوافل تتجه لزيارة قبور الأولياء والصلحاء، أما البناء على القبور فبدأ ببناء القبر من الطين ثم الآجر ثم وثم.. إلى أن ناطحت السحاب، وكان الرجل الفقير يكد سنة كاملة وما يجمعه من كده كان ينفقه في زيارة القبور، ينثره بين الأضرحة أو يسلمه في إيجار بيت أو.... تحت عناوين شتى، وهكذا السلاطين الظلمة والمتظاهرون بالدين، افرغوا جعبة الناس السذج من المال وأغرقوهم في الخرافات، ومن يتصدى لهم بالقول والكتابة فهو كافر واجب القتل في قاموسهم وفي نظر بعضهم ملعون ومطرود.

تنبيه

لـم تكن هذه القبب والـمراقد والـمزارات في عهد عليٍّ عليه السلام وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كمـا نص على ذلك الأستاذ قلمداران في كتاب "الزيارة". وعندما ذهبت عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد ٣٠ سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لزيارة قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر، أنكر عليها الصحابة لأنها أقدمت على عمل نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ودفنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة عائشة التي توفي فيها، ولم يُؤثَر عن أحد من الناس أنه جاء أحد إلى عائشة واستأذنها في زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بقيت عائشة على قيد الحياة خمسين عاماً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيتبيّنُ لنا أن زيارة القبر لم تكن أمراً معمولاً به.

يقول أبوعمر وعامر بن شراحيل الكوفي الـمتوفى سنة ١٠٤هـ- وهومن التابعين-:" لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم".

فبدعة زيارة القبور شاعت في أوساط الـمسلمين بعد قرون، لأنهم قد احتكّوا بطوائفَ مختلفةٍ كاليهود والنصارى، وعُبّاد النار والـمجوس والبوذيين والأقباط، وشاهدوا بأم أعينهم مقابر للفراعنة وكورش ودراويش والأهرامات، فشاعت فيهم هذه البدعة، بل وسموا أبناء الأئمة بالشاه محاكاة للكفرة، أمثال أصحاب السمو: حمزة وجعفر وجلال الدين وإبراهيم وفلان وفلان و... فتحركوا لزيارة مراقدهم، والـمشرفون عليها لم يألُوا جهداً في تحريضهم على التمسك بهذه البدعة الشنيعة، وأضحت مراقد الأئمة أماكن للمتسولين والعاطلين عن العمل، فكانوا يجمعون ولم يزَلوا كمية كبيرة من النذور، من الذهب والفضة والأشياء الثمينة، ثم يبيعون بعضاً منها في الـمراقد نفسها بأثمان باهظة. وساعدهم على ترويج هذه البدعة الشنعاء أعداء الإسلام من الـمتظاهرين بالتقوى والورع، فافتعلوا لهم أحاديث لنشر هذا

العبث واللهوبين السذج من الناس فرفعوا منزلة الزيارة من منزلة مائة ألف حجة ووضعوا في هذا المسار المعوج كتباً في فضل الزيارة، والغالون والكذابون والمختلفون نشروها بين الناس، وفئةٌ من المتعالمين الذين لا يعرفون الصحيح من الأخبار من سقيمها من الأحاديث المكذوبة، تبنوها من باب المستحبات واستدلوا بأن هناك مندوحة في قبول المستحبات، فأرضوا بهذا الفعل الشيطان، وأغرقوا الناس في الشرك والخرافات، بل واختلقوا أحاديث في فضل بناء الزيارات، وقد نقدها الأستاذ قلمداران في كتاب "الزيارة" وكشف عوارها.

وقبل التعرض لهذا الموضوع نتعرف على آراء الأئمة في بناء الزيارات.

الأحاديث المتعلقة بتعمير القبور وتجديد بنائها

لا نستطيع أن نورد جميع الروايات في ذم بناء القبور وزخرفتها، لأن هذا يحتاج إلى تفصيل طويل، لكننا نكتفى بجزء يسير منها يفيد أهل العدل والإنصاف والباحثين عن الحق ويوقظهم، وبه تقام الحجة[1].

١- روى الشيخ صدوق ومؤلف (وسائل الشيعة) «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً، فإن الله تعالى لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وسائل الشيعة ج م - باب ٦٥ - ص ٨٨٧. وبناء على هذا الحديث فكل الأحاديث الواردة في كتاب الزيارة، والتي تدل على اتّخاذ قبر الإمام قِبلة فإنها من صنيع المتشبهين باليهود، لأنهم وضعوا هذه الأحاديث ونسبوها إلى الأئمة.

٢- نقل المحدث النوري في المستدرك والوسائل عن العلامة الحلّي، بأنه روى في كتاب النهاية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نهى النبي أن يجصص القبر أو يبنى عليه أو يكتب عليه لأنه من زينة الدنيا فلا حاجة بالميّت إليه». [مستدرك الوسائل، الطبعة الحجرية ١/ ١٢٧].

٣- وروى المحدث النوري أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا قبوركم مساجدكم ولا بيوتكم قبوراً». [مستدرك الوسائل ج١، باب ٥٥ من أبواب الدفن، ط ١٣٢].

٤- روى الشيخ حر العاملي عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الأضاحي أن تدخروها فوق ثلاثة أيام... ونهانا عن زيارة القبور». [وسائل الشيعة، ج٢، باب ٣١ من أبواب الدفن، ط ٨٥٨].

١- ذكرت مطالب في هذا الباب في كتابي (أحكام القرآن).

٥- روي عن جعفر الصادق عليه السلام في كتاب بحار الأنوار والمراجع المعتبرة الأخرى أنه قال: «أنا عند القلوب المنكسرة والقبور المندرسة». [وسائل الشيعة ج١٠ باب ٩٢ من أبواب المزار كتاب الحج، ج ١،ص ٢٤١. وسفنية البحار ج٢ ص٩٩].

٦- روى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام عن جده على بن أبي طالب أنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن لحوم الأضاحي أن تدخروها فوق ثلاثة أيام... ونهانا عن زيارة القبور». [مسند الإمام زيد كتاب الحج باب الأكل من لحوم الأضاحي].

٧- قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أنا عند القلوب المنكسرة والقبور المندرسة». فان الله عز وجل لا يلتفت إلى القبور التي تجدد بناءها وزُينت بالذهب والمرآة وهو برئ منها.

٨- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محصب حصباء حمراء». [وسائل الشيعة ج٢، باب ٣٧، من أبواب الدفن ص٨٦٤]، فتبين أنه إلى زمنه لم يكن لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينة وبناء.

٩- روى عبد الرزاق الصنعاني -وهومن قدماء الشيعة- عن ابن طاؤوس: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن قبور المسلمين أن يُبنى عليها أو تُجصص أو تُزرع، فإن خير قبوركم التي لا تُعرف». [المصنف ٣/ ٥٠٦].

١٠- نقل المرحوم آية الله شريعت سنكلجي عن "ذكري" أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد سطح قبر ابنه إبراهيم، ويقول أيضاً: قال قاسم بن محمد: رأيت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والشيخين، وأن قبورهم مسطحة ويقول أيضاً أن قبور الأنصار والمهاجرين في المدينة كانت مسطحة. [توحيد العبادة، انتشارات دانش ص١٤٩].

١١- قال الإمام الصادق عليه السلام. «لا تُطيّنوا القبر من غير طينه». [وسائل الشيعة ج٢، باب ١٦ من أبواب الدفن ص٨٦٤].

١٢- قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى أن يزاد على القبر تراب لم يخرج منه». [المستدرك ج١ باب ٣٤ من أبواب الدفن ص١٢٦].

لاحظوا كيف حدد رسول الله صلى الله عليه وآله المسألة، حيث نهى أن يزاد على القبر تراب من غيره، فكيف بالآجر والرخام وسائر الأحجار الثمينة. لكن أمتنا لا تعتني بهذا بل تسرف في الإنفاق على قبور أئمتها وإن الكذابين قد افتعلوا روايةً في تعمير القبور هدماً للإسلام وإغراءً للناس. فنحن نتدارس سندها ومتنها دراسة حديثية.

روي في كتاب وسائل الشيعة في باب ٢٦ من كتاب المزار، عن عبد الله البلوي عن عمارة بن زيد عن أبي عامر واعظ أهل الإعجاز عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يا علي! من عمَّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدَل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج عن ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه».

هذا الحديث سنداً ومتناً محل انتقاد المحدثين، فالراوي الأول لهذا الحديث عبد الله بن محمد البلوي، قد ضعفه المحدثون وقالوا إنه كذاب، وأنه كان يضع الأحاديث ومطعون وطعنوه وقالوا أيضاً لا يُلتفت إلى حديثه وهو يروي عن عمارة بن زيد قال المحدثون إنه رجل غير موجود أصلاً وكل ما نُقل عنه كذب محض. بل البلوي الكذاب الذي روى عنه سُئل: من عمارة؟ قال: "رجل نزل من السماء وقال هذا الحديث ورجع إلى السماء". هذا الرجل الفضائي روى عن أبي عامر الواعظ الحجازي، فهو مجهول الحال أيضاً ومهمل. لاحظوا ماذا جنينا من بركات هذا الحديث، الذي هو الحديث الوحيد في باب تعمير القبور، كذاب كان يضع الحديث، رواه عنه شخص غير موجود أصلاً، وهو روى عن فرد مجهول. بهذا الحديث وبهذا السند قد امتلأت بلاد الشيعة من القبب والمزارات والأروقة، وأُنفق عليها من أموال

الوقف الشيء الكثير، وكان الواجب إنفاقها على الناس، فراج سوق أناس استحمروا الناس وركبوهم، أناس فقدوا الدين وقد تحرروا من أي قيد خُلقي، بينما هناك أناس معوزون بحاجة إلى لقمة عيش تسد جوعتهم، ويفتقرون إلى الضروريات الأولية للحياة، وبلدهم من أفقر البلاد وأبعدهم عن ركب الحضارة والصناعة. والعجب من علماءَ نقلوا هذا الحديث الفاضح، فانظروا كيف نشروا الطامات بين المسلمين... ولأنهم ظنوا أن ما يشاهدونه من قبب ومزارات منتشرة في بلادهم، فلا بد أن تستند إلى وثائق قاطعة. أبوعامر المجهول وضع هذا الحديث ونسبه زوراً إلى الإمام الصادق، والناس المساكين الغافلون عن القرآن يصدقونه، ولكنه كذاب فعجز المسكين عن رؤية ثقوب أن يسدّها، لأن قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام في زمن الإمام الصادق لم تكن له آثار تدل عليه، لأنه كان في مكان مجهول ولم يكن له بناء حتى يتجدد بناؤه من جديد، ويشترك مجدد بنائه مع سليمان عليه السلام في الأجر، وكلمة التعمير تدل على أن هناك بناءً داراساً يحتاج إلى التعمير. هذا الحديث ينص أيضاً على فضيلة مجاورة قبر الإمام، والامتناع عن العمل كلياً، حتى تتخلّف بلادهم وتحتاج إلى أمم أخرى، وفي النتيجة يتحولون إلى مستهلكين لبضائع أجنبية.

وقد شارك في إشعال فتيل هذه البدعة الشنيعة الشعراء والمداحون، وروجوا سوق هذه الخيانة. فقد ورد في ديوان الحافظ الشيرازي قصيدة تدل على هذه الخيانة:

"قبِّلْ قبر الإمام الثامن وسلطان الدين الرضا تقبيلاً حاراً وكن مجاوراً له".

الشاعر ظن أن للدين مُلكاً وسلطاناً وقصراً، فمن ذهب إليه وجاوره فإنه قد حاز لا محالة ثواب مشاركة سليمان عليه السلام في بناء بيت المقدس، وأجرَ تسعين حجة، بينما في الشرع المطهر لا دليل على حيازة ثواب بناء بيت المقدس، وأجر حجةٍ واحدةٍ لمن جاور قبر الإمام.

هذا الحديث أدى مفعوله بين الناس ورغَّبهم في ركوب المعاصي، لأن من ذهب إلى زيارة

الإمام الفلاني غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعاد كيومَ ولدته أمه. فإذا كانت المعاصي تزول وبهذه السرعة المدهشة فلا خطر يتهدد الشخص، لأنه إذا ارتكب أي جناية زار عظاماً رميمة وخفف عن كاهله ثِقَل المعاصي، لأن المذهب ينص على هذا. فزيارة واحدة تمحو المعاصي كلها فلا خوف إذاً من يوم الحساب والجزاء، وإن جهنم قد خُصصت لأناسٍ لا قبر لهم ولا مزار ولا مقبرة.

فيتساءل المرء: لوكان تعمير القبر عملاً مشروعاً ومفيداً، لماذا لم يبنِ رسول الله ﷺ لعمه حمزة سيد الشهداء أو ابنه إبراهيم وسائر الشهداء بناءً، بل ولم يضع آجراً واحداً على قبر، فهل نتأسى بسنّة رسول الله ﷺ أو بسنّة الملوك والمتظاهرين بالعلم الخادعين للناس؟

مسألة احترام الأموات وزيارة القبور

يجب أن نعلم أن الاعتناء بالأموات مسألة شائعة في الأمم القديمة أيضاً، وكان لهذه الأمم آداب وتقاليد في دفن الـميت وأطعمة خاصَّة، وقد كان الناس يضعون الشموع على القبور وكانوا يعتقدون أنّ إقبال الأموات وإدبارَهم ولعناتِهم ودعاءَهم كل هذا يؤثر في الأحياء، وقد ورد في كتاب تاريخ الأديان "لجون ناس" أن بعض الأمم القديمة كان يَعتقد أن السماء مملكة مثل الأرض فيها أشجار وأنهار وتعيش فيها أرواح الأموات، وتستطيع هذه الأرواح أن تنزل إلى الأرض وتظهر في رؤى الناس، وإذا ظهرت في رؤى الناس فلا بد للرائي أن يهيئ طعاماً ويأتي به إلى قبر الـميت وعليه أن يُضيئ عليه مصباحاً أيضاً.

الآريون القدامى كانوا يحترمون أرواح أجدادهم إلى درجة الحمد والثناء، والطورانيون وبعض الـمذاهب كالـمذهب البراهمي في الهند والصين والبوذيون كانوا يولون عناية كبيرة للأموات وكانوا يزينون زوجة الـميت ويحملونها برفقة الـميت ويحرقونها. ومن الناس من كان يقطع رقاب إماء وعبيد الـميت حتى يساعدوه في العالـم الآخر. ومن الناس من كان يخاف من الـميت ويرجوه...

والإسلام هو التوحيد الخالص، وعندما ظهر كان العالـم غارقاً في ظلمات الجهل وأوحاله، وقد تصدى الإسلام لهذه الظلمات والأوهام من أول يوم بزوغه، وأمر ألا يُتوكل إلا على الله لأنه لا يؤثر في الأمور كلها إلا الله، وهو قاضي الحاجات وباب الحوائج، وعلمنا أن الإيمان والعمل الصالح موجبان للنجاة ويجب ألّا نتوسل بغيرهما، وألا نَعدَّ أناساً مؤثرين في العالـم غير الله، وقد منَعنا من زيارة القبور إلا للاعتبار والاتعاظ. وأما النساء فقد نهاهن في جميع الحالات. قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله زوارت القبور**». وقد نهى عن بناء القبور وتزيينها.

وقد قال علي عليه السلام في دعاء الجوشن الكبير وهو يناجي ربه: «يا من في القبور عبرته» ولكن مع الأسف أصاب المسلمين بعد مضي قرون من الزمن عبادة الأوهام، فتلوَثوا بالشرك، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّه وحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

فالمحافظة على عبادة الواحد الأحد التي تقتضي ألا نرجوإلا الله أمر صعب، فكان الناس في أوائل الإسلام لا يذهبون لزيارة القبور إلا إذا ذكرتْهم بالآخرة، ومن كان يذهب لهدف غير هذا فكان يعرض نفسه للعتاب واللوم.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في آخر لحظات عمره الشريف، يدعو الله عز وجل متضرعاً وخاشعاً: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد**» لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف عبادة الناس للأموات وكان يخاف عليه السلام ألا تنزلق أمته نحو هذه المنزلقات، لكن لم يمض على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا زمن يسير، فبنى الناس مئات القبب والمزارات وزينوها وزخرفوها بغية خداع الناس، ونسجوا في فضائلها أحاديث، وتكدس من أموال الوقف والنذر ما دعا المتصدين لهذه الخيانة العظمى أن يقولوا: "إن ربع ممتلكات إيران، كلِّها يوقف على الأموات"، ورغم عدم مشروعية هذه الأموال المكدسة، لأنها تُجمع عبر الطرق البدَعية، فإن في كل مديرية يجمعون الملايين بعناوينَ مختلفةٍ، كالوقف على الزيارة أو الاستقبالية مثلاً من الضعفاء والمساكين، ولا يُنفق إلا مبلغ زهيد والمتبقي يتم إنفاقه في خدمات الزيارة كالمجاورين وهيئة النُظَّار وهيئة الأمناء والمستأجرين وما شابهها من الوظائف، فيزداد بهذا الضعفاء والمساكين فقراً ومسكنة وضعفاً. وفي هذا السبيل أيضاً يتم بيع المقابر المجاورة لمقابر الأئمة وأولادهم، وبعض هذه المقابر يباع بالآلاف بل بالملايين.

وفي كل سنةٍ يُعلن عن مزاد سنوي لبيع ما تمّ جمعه من نذورٍ وهدايا، كالفُرُش والذهب والـمراوح وسائر الأشياء الثمينة، ويُنفق ما يُجمع من هذا الـمزاد في موارد باطلة، وإضافة إلى هذا أنّ لكل زيارة صناديق خاصةٌ تُصب فيها النقود، أو يتمّ جمعها عبر الـممتلكات الـموقوفة، ولكل مقابر الأئمة وأبنائهم هذا الـمورد الاقتصادي، كزيارة السيدة الـمعصومة في قم، فيتمّ جمع الـملايين عبر النذور والـموقوفات غير الشرعية، بينما الناس بحاجة إلى الضروريات الأولية للحياة، وأكثر بيوت الأرياف منهدمة، بل والناس بحاجة إلى استيراد إبرة من الخارج. أليس هذا من الحماقة أن تُنثر يومياً أموال كثيرة على هذه القبور أو تُوقف؟

قد ورد في جريدة كيهان رقم ٨٦٤٢ بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٣٥١هـ ش، أن الحاج السيد حسين ملك الذي بلغت أمواله الـموقوفة أكثر من ثلاثة مليارات تومان، في السنة الـماضية مبلغ أربعمائة مليون من أمواله والتي كان يحفظها في متحف، وهي عبارة عن عملات قديمة ولوحات منقوشة وفرش، وفرمانات الـملوك بخط أيديهم، وأشياء عتيقة تم وقفها على القدس الرضوي في (مشهد). ولا شك أن هذه الأموال تتسبب في إفساد هيئات الإشراف أكثر وأكثر.

الوقف والنذر للأموات بِدعة وخلاف للشرع، والنتيجة أن معظم الـموقوفات تحولت إلى قاعٍ صفصف. أليس هذا ظلماً؟ إن هذه الـموقوفات في إيران ليست من الباقيات الصالحات بل هي الباقيات الطالحات. ويشهد الله أن معظم الأموال الـموقوفة على الأموات تُنفق في أمور لا تُرضي الله ورسوله ﷺ، بينما هناك عشرات الأحاديث في تحريمها وكراهيتها، خصوصاً في النهي عن بناء القبور وتزيينها والاعتكاف فيها، فكيف تُوقف أملاك؟ لا شك أن إثمه أعظم. ليت الناس كانوا يسددون ديونهم، بدل إنفاقهم هذه النذور على هذه القبور؟ وليتهم زوجوا النساء غير الـمتزوجات والرجال غير الـمتزوجين، لكن هذه الأموال تسببت أيضاً في نشر

الفاحشة والفساد، وأضرار أخرى كالشرك والخرافات في الـمجتمع.

وقد قال الـمرحوم قلمداران بأن الشهيد الأول في كتاب "ذكري"، عَدّ وضع قطيفة على مرقد النبي الـمطهر ﷺ من الأمور الـمفتقرة إلى دليل الشرع، ورأى أن تركه أولى، وأن علياً عليه السلام كان لا يُقرّ في الـمساجد البناء الكثير. وعن علي عليه السلام أنه مرّ على منارة طويلة فأمر بهدمها وقال: «لا ترجع الـمنارة إلا مع سطح الـمسجد». [وسائل الشيعة ج٣ –ص٥٠٥ باب كراهة طول الـمنارة].

فلا بد أن يقال لفقهاء وعلماء زماننا: لماذا لا تُعلّمون الناس كما علّمهم الشهيد الأول، أن هذه الزينة وهذه الأحجار من الرخام وتذهيب القبور إسراف وحرام وإتلاف للمال؟ فلتُنفق هذه الأموال على الفقراء والضعفاء.

إذا كان وضع قماش على قبر الرسول ﷺ إتلافا للمال، فكيف بالـمليارات التي تنفق في بناء القبب الـمزينة؟ وما حكمها؟ وانتشار القبب وتزيين القبور والكلمات الكفرية، كل هذا صار جزءاً أصيلاً من الـمذهب الشيعي، يُكفَّر منكِرها ومن يتصدى لها ولو ببنت شفة، فالخُرافيون يكفّرونه ويطرحون دلائله العقلية والنقلية جانباً، ويُلصقون به آلاف التهم.

وبناء على ما مضى، فإن جهاد هذه البدع والخرافات أصعب وأعسر من جهاد الـمشركين عباد الأصنام، ومن أظهرَ الحق طُرد من الـمجتمع.

من دفتر الذكريات[1]

عند ما كنت في السجن قال لي أحد المشايخ وقد أشار إلى الآية الواحدة والعشرين من سورة الكهف: "كيف لا نبني قبور الأئمة وهم أعلى منزلةً من أصحاب الكهف؟ ولماذا لا نجدد بناء قبورهم؟ وقد نص القرآن على أنهم قد بنوا على أصحاب الكهف مسجداً، قلت: لو أن القرآن يحظى بالقبول عندك، فانظر أولاً إلى كلمة " يتنازعون" في الآية الكريمة، وقد نصّ القرآن ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فعلينا أن نتأمل أي الفريقين المتنازعين كان موافقاً للإسلام؟ وقد فصلت في المسألة وقلت: قال الفريق الأول كما حكى القرآن "ربهم أعلم بهم" فذكروا ربهم، أما الفريق الثاني فلم يتمسك بدليل شرعي، بل استبد برأيه مصراً عليه، وقبل هذا أن النبي ﷺ كان يعلم هذه الآية أيضاً فلم يستنبط ما استنبطته أنت، ولم يتبع ما أردته أنت ولم يبن ضريحاً، ولم يأمر الناس ببناء القبة والمقبرة والضريح، بل تم دفن بعض كبار المسلمين بعيداً عن أعين الناس، حتى لا تُعبد قبورهم ولم تُعمّر قبورهم ولم تزين.

وحمزة سيد الشهداء الذي استشهد وهو مرافق للنبي ﷺ هل منزلته أقل من نصرالدين الطهراني؟ ولم يبن له النبي ﷺ مزاراً، وقد ورد في الآية لفظ مسجد، ولم يرد" لنتخذن عليه ضريحاً ومزاراً" فهل هذه القبب والمقابر والمزارات في إيران والعراق على قبور الأئمة وأبنائهم بل وأحفادهم، وبعضها في أماكن بعيدة وطرق وعرة، ويتعب الناس في الوصول إليها، هل كل هذا مسجد؟ هل ضريح ومزار الإمام الرضا عليه السلام في مشهد مسجد؟

١- إن من أسباب اعتقالي وغضب المسؤولين، تأليف كتبي ومنها الطبعة الأولى لكتابي هذا.

هل مقابر زيد في سوق طهران وداود وعبدالله وقاسم ونصرالدين وصالح مساجد؟ في المسجد لا يوجد ضريح أصلاً، وهل الدخول إلى المسجد يحتاج إلى تصريح؟ وهل من الواجب قراءة صفحة من الزيارات مثل السلام عليك؟ هل الزائر يقصد الصلاة وهو في أصفهان في مسجد الشاه في سوق طهران ويرحل إليه؟ ومن في خوزستان يخرج ناوياً الصلاة إلى مسجد كبود تبريز أو مسجد السلطانية في زنجان؟ والعجيب أن أكثر الناس يحملون أمتعتهم ويسافرون لزيارة مقابر الأئمة وأولادهم، ويقطعون مسافات طويلة لأنهم يعتقدون أن هذه المقابر أرفعُ منزلةً من المساجد. فقلت له: تفضلوا أيها العلماء وحولّوا مقابر الأئمة وأبنائِهم التي لا تخلو منها مدينة أو قرية إلى المساجد، وأزيلوا عنها الأضرحة والمزارات واجعلوها موافقة لسنة النبي ﷺ، لأن المسجد الموافق للسنة يكون خالياً عن الزينة والزخرفة وانهَوا الناس عن دعاء غير الله في المساجد، فإن قبل الناس جميعاً فأدع ولكم ولبانيها وأصلي فيها أيضاً.

دراسة آداب الزيارة

قبل أن ندرس آداب الزيارة الشرعية، علينا أن نتطرق أولاً إلى الآداب الـموجودة في كتب الأدعية وغيرها التي كتبت خصيصاً لزيارة القبور، فهل تملك هذه الكتب مورداً شرعيا صحيحاً أم لا؟ ففي كتب الزيارات كالـمصباح للشيخ الطوسي، ومفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، وبحار الأنوار للمجلسي، وكتب ابن طاووس وكتاب كامل الزيارة لابن قولويه فيها مطالب وجملٌ وأمور تخالف العقل والشرع والتاريخ، ولا شك أنها من كيس الجُهّال أو الـمغرضين. فمثلاً أوردوا في آداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام،عن الإمام الصادق أنك اذا أردت أن تدخل فادخل من الباب الذي في الجانب الشرقي، بينما في زمن الإمام الصادق لم يكن لقبر الإمام الحسين بناء ولا باب لا من الشرق ولا من الغرب، كتبَ القمي في كتاب مفاتيح الجنان والـمجلسي في بحار الأنوار نقلا عن الإمام الصادق أنه قال: "من نظر إلى قبر ابنه عند رجليه في أرض فلاة لا حميم قربة ولا قريب "ولأنه لم يكن للقبر أثر، كان العثور عليه عسيراً ولم تكن وقتذاك مزارات، فكيف يمكن أن قال الإمام للراوي أن يدخل القبر من هذا الباب؟ مثلاً وأقبح من هذا أن يقول الإمام نفسه أن من يدخل بيتنا ومرقدنا فليقبل عتبة بابنا ويستلم حيطاننا ويقرأ دعاء الإذن. وكل هذا، والقبر غير موجود أصلاً. فما معنى حديث الإمام أن يأمر بقراءة صفحتين من أدعية الزيارة للإذن، وأن عليه أن لا يدخل دون أذنه؟ هل هذه الأعمال من سنة علي عليه السلام أنه كلما أراد أن يدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ صفحتين من الأدعية للإذن؟ هذا يشبه حال من يريد أن يلتقى بالـملوك، فعليه أن يأخذ الإذن أولاً وينتظر خلف الباب الـمغلق ساعات، ولا شك أن في الإسلام سنّةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجبةُ الاتباع لا سنة الـملوك. وقد ورد في بحارالأنوار ومفاتيح الجنان وسائر كتب الشيعة، أن الإمام الصادق قال: إن من آداب الزيارة تقبيل عتبة الـمزار، ومن آدابه الأخرى الذهاب إلى الضريح وتقبيله

والتصاق البدن به، علماً بأن الأضرحة قد تم بناؤها بعد قرون من زمن الأئمة عليهم السلام، بناها سلاطين الجور والوزراء الخونة، فتبيّن أن هذه الروايات قد تم وضعها واختلاقها في زمنهم، لأن الأئمة لم يكونوا ليقولوا مثل هذه الأحاديث، وغير واضح أيضا ما الهدف من هذه الآداب التي اختلقوها باسم الدين؟

وكتبوا أيضاً أن من يذهب إلى الزيارة فعليه أن يغتسل أولاً، ثم يقف في مواجهة الباب حتى يرق قلبه ثم يقدم رجله اليمنى، ويضع خده الأيمن على الضريح، وأيضاً عليه أن يصلى مستدبر القبلة مستقبل الزيارة، لا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان وإليه المشتكى. اللهم إنا نعوذبك من هذا الغلو، ويتصدق لخدام الزيارة كأنه في مجتمع المتسولين، فعليه أن يتصدق لمن في هذه البقعة لأن ثواب صدقته يتضاعف. بينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تأخذوا قبري قبلة». وقد ورد في كتاب الوسائل في الباب الثاني والعشرين في أحكام الطواف: عن ياسين قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن قوما أقبلوا من مصر فمات منهم رجل فأوصى بألف درهم للكعبة، فلما قدم الوصي مكة سأل فدلوه على بني شيبة، فأتاهم فأخبرهم الخبر، فقالوا: قد برئت ذمتك ادفعها إلينا، فقام الرجل فسأل الناس فدلوه على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام.

قال أبوجعفر عليه السلام: فأتاني فسألني، فقلت: إن الكعبة غنية عن هذا، أُنظر إلى من أَمّ هذا البيت فقُطِع به، أو ذهبت نفقته، أو ضلّت راحلته، وعجز أن يرجع إلى أهله، فادفعها إلى هؤلاء الذين سميتُ لك[1].

١- من نذر للكعبة فعليه أن يعطيه للحُجاج الذين نفد زادهم، أو سُرق متاعهم، أو كانوا معدمين أصلاً أو فقدوا أموالهم، وورد في وسائل الشيعة في أحكام الطواف رواياتٌ عن الإمامين الخامس والسادس: «إن الكعبة غنية عن هذا، انظر إلى من أمّ هذا البيت فقُطع به، أو ذهبت نفقته، أو ضلت راحلته، وعجز أن يرجع

فبناء على هذا، فإن الآداب الـموجودة في كتب الأدعية والزيارات التي تدل على الإذن، آداب نُسبت كذباً إلى الإمام، لأنه في زمن الإمام، لم تكن قبب وأروقة ومزارات. لماذا أضاف الـمجلسي والقمي وابن طاووس هذه الآداب التي ما أنزل بها من سلطان إلى الدين؟ وقد نقلوا في كتبهم عن محمد بن علي الشيباني أنه قال:" ذهبت أنا وأبي وعمي ليلاً متخفِّين إلى الغري، لزيارة أمير الـمؤمنين عليه السلام وكان ذلك سنة مائتين بضع وستين، وكنت طفلاً صغيراً فلما وصلنا إلى القبر الشريف، وكان يومئذ قبراً حوله حجارة سود ولا بناء عنده "فالي سنة ٢٦٠ وهي سنة وفاة الحسن العسكري الإمام الظاهر الأخير للشيعة، لـم يكن لمرقد علي عليه السلام مزار وقبر ورواق. فاسألوا الآن السادة ابن طاووس والشيخ القمي والشيخ الطوسي والـمجلسي، لماذا أتيتم بهذه الروايات الـمتعلقة بزيارة القبور عن الأئمة؟

لقد نُقل في كتاب الـمفاتيح والبحار في الزيارة الـمطْلقة لعلي عليه السلام عن طاووس، أنه إذا رأيت قبة مرقد علي عليه السلام قل كذا، وإذا وصلت إلى باب النجف اقرأ دعاء كذا، وإذا دخلت قل كذا، وإذا وصلت إلى الرُواق قل: يا أمير الـمؤمنين! عبدك. هذه الأوامر كلها صادرة في زمن لـم يكن لا باب ولا قبر، فما معنى هذه الأوامر؟ فلا يُعلم متى تمّ تلفيق مثل هذه الأخبار؟ وهل لابن طاووس والـمجلسي والقمي والشهيد والشيخ الطوسي، أن يُضيفوا إلى الإسلام ماشاؤوا حسب رغباتهم، سواء كان من باب الاستحباب أو غيره؟ ألـم يقل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**حلالُ محمد حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامُه حرام إلى يوم القيامة**». وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «**لا رأي**

إلى أهله، فادفعها إلى هؤلاء الذين سميت لك». فنقول: إن من ينذر للمساجد الـمعمورة، أو يوصي فيعطي للزائرين الـمحتاجين لا للخدم والحجّاب، ولعل الحكمة تكمُن في ألّا بتحول أناس الى فئة عاطلة كالخدم والحجاب.

في الدين، إنما الدين من الرب أمرُه ونهيه». [وسائل الشعية]. فلا يحق لأحد أن يَزيد من الآداب وأحكام الدين أو يُنقِص منها.

ولكن للأسف شغَلوا الناس بالبدع، وأبعدوهم عن سنة الرسول ﷺ. روي في الكافي أن عليّاً عليه السلام قال: «السُنَّة ما سنّ رسول الله، والبدعة ما أُحدث بعده». [بحار الأنوار، الطبعة الجديدة ج م صـ ٢٢ حديث رقم ٢٣].

وللأسف أن العلماء من باب تشريف الأئمة عليهم السلام، روَوا هذه الآداب وظنوا خطأً أنهم أحسنوا صنعاً، والذين جاوؤا من بعدهم أحسنوا فيهم الظنَّ، وظنوا أن هذه الآداب كلام الله ورسوله ﷺ وجزء من الدين.

في زيارة الأئمة في بقيع الغرقد كتبوا آداب الدخول، وعلى الزائر أن يقول كذا وكذا. لو قال الإمام مثلاً هذا القول، فلا شك أنّ الراوي كان سيسأله: أيُّ مزار؟ لأنه لم تكن آنذاك قبور مزارات، ويعلم الجميع أنه لم يكن في زمن الأئمة مزار واحد، فلا شك أن مثل هذه الروايات المتعلقة بالمزار أو المراقد غير الموجودة من المضحكات. ويجب أن يُعلم أن لا حرمَ ثالثٌ غيرُ مكةَ والمدينةِ بنص الدِّين، فإطلاق هذا الاسم على غير الحرمين من البدعة والخرافات، وعلى المسلم أن يجتنبه.

وكتبوا في زيارة قبر الرسول ﷺ أنك اذا ذهبت لزيارة رسول الله ﷺ، فقبِّل مِنبرَه وافعل كذا وكذا، وضع عينيك على أسطوانة الحنين، واذا وصلت إلى باب جبريل وتحت الميزاب قل كذا وكذا، ويظنون أن رسول الله ﷺ قد توفي جديداً، وهذه الأشياء مثل الباب والميزاب والمنبر والأعمدة كلها موجودة، كأنهم لم يقرأوا التاريخ ولم يفكروا لحظة بأن هذه الأشياء قد مضى عليها اكثر من ألف سنة وقد تهدمت وتجدد بناؤها مرات ومرات كأن الله- معاذ الله - سلَّم دينه لهم أن يزيدوا فيه ما شأوا.

والآن نبدأُ بدراسة أدعية الزيارة وعرضها على الإسلام والقرآن، فهل تُوافِق القرآن أم لا؟ فإن لم توافقه فلاشك بأن الكذابين هم الذين لفَّقوها، وهذا أكبر دليل على جعل مثل هذه الأدعية للزيارات.

الآيات القرآنية وجُمل الزيارات

أولاً: نبدأ بمُتُون أدعية الزيارات، ولأنها كثيرة وطويلة اضطُررنا إلى أن نشير إلى مُتونٍ منها، ويستطيع القارئ أن يرجِع إلى القرآن في مواردَ أخرى من الأدعية، ويقارنَها بالآيات القرآنية.

١- روى المجلسي في البحار في باب زيارة النبيﷺ وسائر المشاهد في المدينة، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا حجَّ أحدكم فليختم حَجه بزيارتنا، لأن ذلك من تمام الحج».

والسؤال:

أولاً: عندما كان رسول الله ﷺ أو الإمام يحج أفكان يذهب إلى زيارة؟ هل ثمة فرق بين حج الإمام وبين المأموم؟ لماذا لم يَذكُرِ اللهُ شرطَ كمالٍ كهذا في كتابه؟

ثانياً: إن الإمام ليس بمتكبرٍ إلى درجة أن يجعل زيارته شرط كمالٍ في الحج. لأن الله تعالى قال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. وقال أيضاً: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

ثالثا: لو افترضنا جدلاً أن الإمام قال هذا الكلام، فإنه قاله في حياته كي يذهب إليه الناس وينهلوا من منهل علمه، ولكنه لم يأمرِ الناس بزيارة قبره، إنما الرواة هم الذين اتكأوا على هذه الرواية خطأً في زيارة قبر الإمام.

إن أدعية الزيارة التي امتلأت بالثناء والتمجيد والمدح، وقد خصصت لنفسها ثلاثة مجلدات من بحار الأنوار، هل من المتوقع أن الأئمة قالوها كي يأتي الناس إلى قبورهم ويقفوا إزاءها يمدحونهم ويثنون عليهم حتى يرضوا عنهم، أدعية تحمل في طيّاتها الغلو البيِّن.

من الواضح، تحوُّل الأئمة إلى واسطات بين الناس وبين الله عز وجل في محكمة العدل الإلهي، والأئمة يدافعون فيها عن زائريهم.

٢- روى الـمجلسي في الباب نفسه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من زارني حياً وميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة».

يُفهم من هذا الحديث أن اختيار الشفعاء بيد الزائرين، بينما نص الله عز وجل في كتابه أن حق اختيار الشفيع لله عز وجل فقط، وقد سُلِب الـمخلوق هذا الحق. قال عز وجل عن شفاعة الـملائكة ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقد أشار إلى هذا الـمعنى شاعر فقال: "إذا لم يكن الله راضياً عن عبده فلن تنفعه شفاعة الأنبياء جميعاً". وأرى أنّ من الـمناسب أن أنقُل عن القسم السابع من كتاب "العدالة الإلهية" للمرتضى الـمطهري، رغم أن رأيه في الشفاعة في مواردَ مختلفةٍ، كالآية الخامسة والثلاثين في سورة الـمائدة مثلاً ليس صحيحاً، وأنه كغيره لـم يذكر هذه الآية الـمباركة إلى آخرها -انظر ص٢٨٣ من الكتاب الطبعة العاشرة- ولكن بعض الـمطالب الـموجودة في الكتاب في مسألة الشفاعة جديرة بالذكر. يقول:" هناك نوع من الشفاعة الخاطئة التي تُردُّ بدلائلَ عقليةٍ ونقلية، وهي أن الآثم يستطيع أن يتشبّث بوسيلة يتمكن من خلالها من منع تنفيذ العدل الإلهي، كما هو المعمول به في ألعاب أحطِّ التحزبات الاجتماعية البشرية، ويعتقد كثير من الناس أن شفاعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام من هذا القبيل، يعتقدون أن النبي ﷺ وأمير الـمؤمنين عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والأئمة الأطهار خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام، يتمتعون بصلاحية التدخل في أمور الله عز وجل، ويستطيعون أن يغيروا إرادة الله وينقضوا قانونه. العرب الجاهليون كانوا يعتقدون أيضاً في أصنامهم التي كانوا قد أشركوها مع الله عز وجل العقيدة نفسها كانوا يقولون: إن الخلق بيد الله عز وجل فقط ولا شريك له فيه، أما في إدارة العالـم فالأصنام

شريكة معه، وإن شركهم لم يكن في الربوبية إنما كان في الألوهية. ونحن نعلم أن بعض الناس يُنشئون مؤسسةً ويخوِّلون مسؤولية إدارتها لسائر الناس، أو يشركون في إدارتها أناساً آخرين معهم، وهذه الصورة تصدق عليها عقيدة المشركين بالله وإدارة العالم.

إن الله عز وجل في القرآن الكريم تصدى لهؤلاء المشركين وفنّدَ مزاعمهم، وأعلن بصراحة أنه عز وجل الخالق لهذه الدنيا، والمدبر لأمورها، وبيده أزِمَّة أمور العالم، وهو ملِكها وسلطانها وهورب العالمين.

كان المشركون يعتقدون أن إدارة العالم مقسَّمة بين الله عز وجل وغيره، وكانوا لا يُلزمون أنفسهم أن يُرضوا الله عز وجل، بل كانوا يسعَون في سبيل إرضاء الأرباب الأخرى عن طريق تقديم القرابين لها وعبادتها، وكانوا يبذلون ما في وسعهم في جلب رضاهم، ولو كان يخالف رضا الله، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم اذا اكتسبوا رضاهم فأنهم أي الأرباب سيحلون مشكلتهم عند الله عز وجل. ومن يعتقد من المسلمين أن هناك مملكة أخرى في جنب مملكة الله عز وجل، وأن تلك المملكة تتمتع بصلاحيات جبارة، فلا شك أن هذا شرك صُراح. ومن يعتقد أن لرضا الرب طريقاً ولرضا الإمام الحسين طريقاً آخر، وكِلا الطريقين يمكن أن يوفر السعادة للإنسان، فلاشك أن هذا ضلال كبير، لأن ما يترتب على هذا المعتقد الفاسد هو أن الله عز وجل يرضى بأمور، وأن الإمام الحسن يرضى بأمور أخرى، فإن الله عز وجل يرضى بأداء الواجبات مثل الصلاة والصيام والحج والجهاد والزكاة والصدق، والإحسان إلى الوالدين والناس، وترك المنهيات مثل الكذب والظلم والغيبة وشرب الخمر والزنا.

لكن الإمام الحسين لا يهمه كل هذا، إنما رضاه في البكاء على ابنه الشاب علي الكبير عليه السلام أو التباكي، أي أن طريق الحسين غير طريق الله عز وجل، فالنتيجة أن الوصول إلى رضا الله عز وجل صعب عسير لأنه لا بد من الإتيان بأمور كثيرة، أما رضا الحسين عليه السلام فسهل ميسور،

البكاء والضرب على الصدور وإذا تم رضا الحسين عليه السلام فهو يتدخل في مملكة الله ويقوم بالشفاعة ويصفي بها مسألة الصلاة والصوم والحج والجهاد، والإنفاق في سبيل الله وتزول بها الآثام والخطايا كلها.

هذا التصور عن الشفاعة ليس باطلاً فحسب، بل هو شرك في الربوبية، وإهانة للحسين لأن أعلى مفاخره عبودية الله عز وجل، ولأن أباه يغضب عندما يرى أناساً ينسبون إليه أموراً فيها الغل فيستعيذ بالله عز وجل منهم. ولم يُقتل الحسين عليه السلام ليبني مملكة إزاء مملكة الله عز وجل، أو يغير شريعة جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن استشهاده لإضعاف الإسلام بل لأجل إقامة الصلاة والزكاة وسائر شعائر الإسلام.

فيا أيها القارئ العزيز! تأمّل قليلا بإنصاف: أليست هذه الأدعية الموجودة في كتب الزيارة من هذا القبيل؟ وهل رأيت مادحاً أم شخصاً يقرأ الروضات، خالف مثل هذه التصورات الباطلة وتصدى لها واعتبرها خلافاً للشرع؟

نقل مؤلف كتاب العدالة الإلهية خطبة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر أيام حياته، عن المجلد الثاني من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيها الناس إنه ليس بين الله وبين أحد نسب ولا أمر يؤتيه به خيراً أو يَصرف عنه شراً إلا العمل، ألا لا يدّعِيَنَّ مُدّعٍ ولا يتمنّيَنَّ مُتمنٍّ، والذي بعثني بالحق لا يُنجِّي إلا عمل مع رحمة، ولو عَصيتُ لهويتُ، اللهم هل بلّغت؟**».

والآن أعرض لك أيها القارئ بعض المطالب:

لو كان الشخص يستحق الشفاعة بمجرد الزيارة، فلا شك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين زاروه والفُسّاق والفُجّار الذين زاروا القبور قد استحقوا الجنةَ وشمِلتهم الشفاعةُ، فلا داعي لقانون القرآن ولا عقاب ولا حساب... فكلُّه لغو والعياذ بالله.

ثانيا: الإذن بالشفاعة للإنسان حتى الأنبياء في الآيات القرآنية، ليس كما يظنه عوام الناس، بل ليست ثَم آية تصَرِّح بالإذن المطلق، بل حتى الشفاعة في حق المؤمنين يوم القيامة نفاها القرآن، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ثالثاً: أن هناك آياتٍ في القرآن قد صرَّحت بأن الشفاعة لله عزّ وجل، قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

رابعاً: وما يُفهم من بعض الآيات بأن الملائكة يشفعون، فلْيكن معلوماً أن هذه الشفاعة بعد إذن الله عز وجل لهم، ولكن لا نستطيع أن نقيس الأنبياء والأولياء على الملائكة في أفعالهم، فمثلاً: كما نص القرآن أن الملائكة يقبِضون الأرواح، بينما الأنبياء والأولياء لا يستطيعون ذلك، وإضافة إلى هذا أن شفاعة الملائكة والأنبياء والأولياء هي الرحمة الإلهية التي يتم إبلاغها للمشفوع له من قبلهم، لأن الله عزوجل هو المطَّلع على أحوال العباد ويعرف أعمالهم وسلوكياتهم والآيات القرآنية قد بينت هذا الأمر بياناً تاماً.

٣- روى المجلسي في الباب نفسه بأن رسول الله ﷺ قال: «من أتى مكة حاجاً ولم يزرني في المدينة جفوته يوم القيامة ومن جاءني زائراً وجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة».

انظر كيف افترى هذا الراوي على رسول الله ﷺ أن من لم يأت لزيارته فإنه ﷺ يَجفوه. فهل الرسول ﷺ هو الجافي؟ وأنّ من لم يأت لزيارته فإنه ﷺ يعاديه، وأنا لا أتصور أن عاقلاً يقبل مثل هذا الكلام. قال الله تعالى في وصف رسوله ﷺ ﴿وما أرسلناك إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويضيف الراوي أنّ مَن شفِع له الرسول ﷺ وجبت له الجنة، أي أن الله في هذه الحالة يُضطرُ أن يقبل شفاعة رسوله ﷺ ويُدخله الجنة، بينما نحن نعلم أنّ الله لا يُطيع رسوله ﷺ بل قال لرسوله ﷺ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: ١٩]. أي أن رسولَ الله ﷺ لا يستطيع أن يُنقذ مَن استحقّ نار جهنم، فهذا الحديث لا يوافق القرآن وهو مبعث الغرور والتعالي للخرافيين.

٤- روى المجلسي في الباب نفسه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات في الحرمين لم يُعرض له الحساب». هذه الرواية تخالف القرآن أيضاً قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦].

فرسول الله ﷺ قد توفي في المدينة فهل هو معرض للسؤال في يوم القيامة أم لا؟. فإن كتاب الله قد نص على أن الأنبياء يُسألون فما بالُ الآخرين؟ ففي رأينا أن هدف واضعي مثل هذه الروايات إبعاد الناس عن القرآن الكريم.

٥- روى المجلسي في الوسائل في المجلد العاشر في الباب التاسع عشر باب «استحباب النزول بالمعرس لمن مرّ به».

بأن رسول الله ﷺ قد نام مع إحدى زوجاته حتى طلعت الشمس وفاتته الصلاة فالمجلسي أراد من هذه الرواية أن يثبت أنه يُستحبُّ لمن يذهب إلى الحج أن يستقرَّ في المكان نفسِه وينام. نقول إن النبي ﷺ قد نام مع إحدى زوجاته وفاتته الصلاة، ولا شك أن النبي ﷺ يكره المكان الذي فاتته فيه الصلاة، فعلى الإنسان ألا ينام فيه بل ويمر من هذه

المنطقة مسرعاً[١]. والحجاج الذين لا يريدون أن يجامعوا زوجاتهم فلماذا ينامون هنا؟ أليس هذا الحديث استهزاء بالدين؟ والأعجب من هذا أنه ورد في وسائل الشيعة في الباب العشرين في صفحة ٢٩١، عن الإمام الرضا عليه السلام بأن من مر بالمعرس ولم ينم مع زوجته فلْيَعد وليُجامع زوجته، وعلينا أن نعلم أنّ الله قد خيّر المؤمنين في الجماع. قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فأسأل الله عز وجل أن يُعمي أبصار الأعداء عن مثل هذه الروايات لأنهم لو قرأوها لأدَّعَوا أن الإسلام عبارة عن هذه الترهات والعياذ بالله.

٦- روى المجلسي في الباب نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للإمام الحسين: «من زارني أو زار أباك أو أخاك أو زارك... الخ».

كأن الحديث يشير إلى أن الإمام الحسين ومنذ صغره كان ينتظر مَقدِم زائريه، وكيفية أجورهم كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو غفار الذنوب، أو أن الشفاعة له أو لأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم أو لزائريه صلى الله عليه وآله وسلم. قال الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. لأن الله ليس مطيعاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٧- روى المجلسي في الباب نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زار الحسن في بقيعه ثبت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام».

فهل كلُّ من ارتكب ذنباً يُغفر له بزيارة؟ هل هذه الزيارة بمثابة رشوة تَنقُض سنن الله؟ ولماذا هذا الثواب لزيارة الإمام بعد وفاته؟ لماذا ليس لزيارته في حياته مثل هذا الأجر؟

١- كما ورد في «جامع المنقول في سنن الرسول» و«وسائل الشيعة» ج٣، ص ٢٠٧ و«المصنف» ج١، ص٥٨٧ قال صلى الله عليه وآله وسلم عندما فاتته الصلاة: «**قوموا فتحولوا عن مكانكم الذي أصابكم فيه الغفلة**» ولكن ورد هنا من مر بالمعرس ولم ينم فليعد.

٨- روى الـمجلسي في الباب نفسه عن الجواد عليه السلام أنه قال: «من زار قبر الرسول صلى الله عليه وآله متعمداً فله الجنة». فلا شك أن أصحابه جميعاً قد تشرفوا بزيارته صلى الله عليه وآله وأنهم من أهل الخير فلماذا تسبّون أصحاب رسول صلى الله عليه وآله؟ أو يقال: إن هذا الثواب لزيارة قبره لا زيارته صلى الله عليه وآله وهو حي، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

روى الـمجلسي في الباب نفسه عن الإمام الصادق أنه قال: «من زارني غُفرتْ له ذنوبه ولم يمت فقيراً». فهل الإمام يرغب في زيارة الناس له بعد وفاته وأنه يَغفر ذنوب زائريه؟ ومن زاره فقد اغتنى ولم يُصب بالفقر إلى وفاته. يقول خبراء الاقتصاد: لأجل إيجاد سبل الرفاهية لابد من اتباع القوانين الاقتصادية الصحيحة، ولكن الرواة اختلقوا مثل هذه الأحاديث لزيارة القبور واستغناء الناس عن العمل. فأيهما صحيح؟ الحكم للقارئ!! فأعداء الإسلام بهذه الروايات قد أوهنوا الإسلام وجرَّأوا الناس على اقتراف الـمعاصي، لأن زيارة القبور موجبةٌ لتكفير الآثام والـمعاصي.

وقد ورد في الباب نفسِه روايةٌ عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «من زار جعفر وأباه، لم يَشْكُ عينه ولم يصبه سقم». فلا بد أن يقال: لماذا كان يمرض أناس كانوا يرون النبي صلى الله عليه وآله، بل وعلي عليه السلام قد أصيب بالرمد وعدد من الـمهاجرين قد اجتوَوا في الـمدينة؟ فكيف لا يمرض زائر قبر حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله بينما يمرض زائر النبي صلى الله عليه وآله وهو حي؟ هذا كله مخالف لكتاب الله وللعقل السليم. وروايات هذا الباب كلها من هذا القبيل، فأيها القارئ العزيز اقرأِ الآن أحاديث الباب كلها في ضوء قراءتنا لنُتَفٍ منها.

الباب الثاني من أبواب زيارة رسول الله ﷺ

١- أورد المجلسي في هذا الباب رواياتٍ تدل على أنه على الناس أن يذهبوا إلى أسطوانة التوبة وأسطوانة الحنين ومِنبر رسول الله ﷺ ويقبلوه ويستلموه، وعليه أيضاً أن يزور مقام جبريل والميزاب الذي على باب جبريل. والسؤال هل هذه الأعمدةُ ومنبر رسول الله ﷺ موجودةٌ حتى الآن؟ أما يعلم المجلسي وسائر الرواة أن هذه الأعمدةَ والمنبر والمسجد (المشار إليه في الروايات) قد تهدمت قبل مئات السنين؟

٢- روى المجلسي في هذا الباب أدعيةً، وأن على زائر مسجد وقبر رسول الله ﷺ أن يقفَ ضد الله عز وجل فيمدحَ رسول الله ﷺ ويُطريَه ثناءً ويُذكِّر الله عزّ وجل -نعوذ بالله - بدرجات رسول الله ﷺ العالية، ويقول في النهاية اللهم إنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّه وٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. وإني أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي... إلخ. هل هذه الآية تدل على أن كلَّ عاصٍ عليه أن يزور قبر رسول الله ﷺ تكفيراً لسيئاته ويقول في النهاية: أنا جئت عند رسول الله ﷺ وأتوب من المعاصي وأستغفر، كما يفعل النصارى يمشون عند قساوستهم ويذْكرون آثامهم ويطلبون التوبة منها، أليس هذا لعباً بالقرآن؟ وتحريفاً معنوياً له؟ أين في هذه الآية ما يدل على أنّ كلّ من عصى الله عليه أ نْ يذهبَ إلى رسول الله ﷺ طلباً للمغفرة؟ وإن الآية الواردة في الدعاء لا تمتُّ إليه بصِلة، بل إن هذا الدعاء من خيانة واضعيه، لأن الآية نَزلتْ في المنافقين الذين اختلفوا مع اليهود، قال الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّه وٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٤-٦٥].

فيقول اليهودي للمنافق: تعال نذهب للقضاء إلى محمد لأنني أقبل قضائه، ولكن المنافق يرد قائلاً: أنا لا أقبل قضاء محمد.

ولو تأملنا الآيات التي سبقت هذه الآية الشريفة لوجدنا أن الله قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦١]. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

لأن هؤلاء الذين كانوا يدَّعون الإسلام كانوا راضين بقضاء كعب بن الأشرف اليهودي، ولم يكونوا راضين بقضاء رسول الله ﷺ، أي أنهم كانوا لا يرون أحكام الشرع عدلاً ولا يقبلونها، أو كانوا يَعُدُّون رسول الله ﷺ -نعوذ بالله- غير عادل، وهذا أوضح دليل على عدم إيمانهم وطعنهم في رسول الله ﷺ والآية نصَّت على أن الإيمان عبارة عن قبول حكم الشرع. وأنّ عليهم أن يأتوا عند رسول ﷺ لأنهم طعنوا فيه وظلموه وعَدُّوه غيَر عادل، فعليهم أن يُرضوا رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ يستغفر لهم الله إشارة إلى عفوه عنهم، لكنهم لم يفعلوا لذا قال الله لرسوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣].

ثم قال له: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤].

علماً أن هذا الاستغفار من الطعن الذي وجهوه للنبي ﷺ، لا من الذنوب جميعاً. وتلاحظون أن سبب نزول الآية ليس في المؤمنين.

ويجب أن يقال لواضع هذا الدعاء:

أولا: إن هذه الآية نزلت في المنافقين فهل أنت من المنافقين أن تدع واللهم اني قد أتيت

نبيك.

ثانيا: لم يقل الله عز وجل أن كلَّ من ارتكب ذنباً وأتى قبر الرسول ﷺ، لأنه لم يرد لفظ قبر في الآية. إنما الآية متعلقة بحياة النبي ﷺ، فعلى الناس أن يأتوا إليه لفض الخصومات وحل النزاعات وأن هذه مهمتهم في حياة الرسول ﷺ. فانظروا كيف جُعل هذا الدعاء لعباً بالقرآن واستُنبط من آية التوحيدِ الشركُ، ودُعي الناس إليه.

إن دين الإسلام ليس كالنصرانية لأنها تقول كل من عصى الله فليذهب إلى مخلوق فضلاً عن قبره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].وقال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [غافر: ١٤].ولم يقل أُدعوا رسول الله، وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩].وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [نوح: ١٠].وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥ ومحمد: ١٩].

وقال: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

ولم يقل هاتوا شفيعاً. الم يلتفت المجلسي وسائر الرواة من محدثي الشيعة إلى هذه الآية؟ واستسلموا للكذابين من الرواة؟

أورد المجلسي في البحار في باب زيارة النبي ﷺ من قريب، في الحديث ٤١ عن ابن طاووس والشيخ مفيد، رواية دون سند أن على الزائر أن يقف إزاء قبر النبي ﷺ ويَذكر كلماتِ مدحٍ وثناءٍ، فنسأل: هل الرسول كسائر الناس يفرح بمدحه والثناء عليه أم لا؟ وهل هو المطّلع على هذه المدائح أم لا؟

٣- أورد المجلسي في هذا الباب أن على الزائر أن يذهب إلى المدينة ويزور بيت جعفر وعلي عليهما السلام، ثم يقرأ ما ورد مما لا سند له عن ابن طاووس والشيخ مفيد، فنسأل: هل

بيت علي وجعفر موجود حتى الآن؟ هل لهؤلاء حق في جعل مثل هذه الروايات؟

الـمجلسي في هذا الباب وغيره من أبواب الدعاء، أورد كل دعاء وصلاة صادرة عن شخص متظاهر بالورع وجعلها من الشرع؟ فهل يحق لغير الله عز وجل أن يشرِّع عبادةً؟

باب زيارة الرسول ﷺ من بعيد

١- روى الـمجلسي أن ملَكاً طلب من الله أن يعطيَه أذُناً يسمع بها كلام العباد فأعطاه الله إياها، وقد وُكلّ على أن يرد على من قال من الـمؤمنين صَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّد وَآلِه وسَلَّمَ، فيقُول في جوابه: وعليك، ثمّ يقول الـملَك: يا رسول الله إنّ فلاناً يُقرؤك السّلام، فيقول رسُول الله ﷺ: وعليه السلام..وهذه مهمته.

٢- نقل الـمجلسي عن الـمفيد وابن طاووس: «اذا أردت زيارة النّبي ﷺ في ما عدا الـمدينة الطيّبة من البِلاد فاغتسل، ومثّل بين يديك شبه القبر، واكتب عليه اسمَه الشّريف ثمّ قف وتوجّه بقلبك إليه وقُل..».

فهل للقبر الخيالي زيارة ودعاء وثناء؟ فأسال الله عز وجل أن لا يطّلع عقلاءُ الدنيا على كتبنا الـمذهبية فلو قرأوا كتبنا هذه لسخروا من الشريعة.

٣- لقد ورد في أبواب الـمزارات وفي أكثر الزيارات أن الزائر يقول: "مُقِرٌ برجعَتكم"

أي أن الأئمة مع أعدائهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وكل إمام يقاتل أعدائه ويثأرُ منهم، وأن الإمام الحسين يقتل يزيدَ مثلاً ويقبض على أهل بيته ويفعل بهم ما فعلوا به، والرجعة مخالفة للقرآن قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

فاذا تمكّن الإمام في الدنيا من أعدائه، وهم قد توُفُّوا جميعاً ثم رجَعوا لتحقيق هذا الهدف فأين الوعد الإلهي من حساب وعقاب وجزاء في يوم القيامة؟ وإن الله عز وجل قد نصَّ في

القرآن ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

باب زيارة السيدة الزّهراء عليها السلام

١- إن الزهراء عليها السلام أوصت عليّاً عليه السلام أن يُخفي قبرها عن أنظار الناس، أما المجلسي وسائر محدثي الشيعة يسعون إلى تحديد قبرها وتعيينه، ولأن قبرها لم يعين بعد، فعليهم أن ينسجوا زياراتٍ متعددةً في أماكنَ مختلفةٍ.

نقل المجلسي عن الكافي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الصلاة في بيت فاطمة أفضل من الصلاة في المسجد». فالسؤال هل بيت فاطمة موجود حتى الآن؟ وكيف بيتها أفضل من المسجد الذي هو بيت الله؟ ولماذا كان عليٌّ يصلي في المسجد، وبهذا كان يترك ما هو الأولى والأفضل؟ أليست هذه الروايات سبباً في تحقير المساجد وعدم الإقبال عليها وامتلاء المقابر بالناس؟

٢- وقد روى في هذا الباب أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لفاطمة صلى الله عليكِ، غفر الله له وأينما كنت في الجنة أُبلغتُ به». فنقول إننا عندما نقول صلى الله عليكِ فقد وصلنا إلى مقام رسول الله ﷺ في الجنة.

وورد أيضاً في زيارة السيدة فاطمة عليها السلام، أن الزائر يقول: «يا ممتحَنة امتحنكِ الله الذي خلقكِ قبل أن يخلقَكِ، فإنا نسألكِ إن كنا صدّقناكِ إلّا ألحقتِنا بتصديقنا بالدرجة العالية» فمن يريد أن يفهم معاني هذه الكلمات، بأن الله امتحن فاطمةَ قبل أن يخلُقَها فعليه أن يقولَ: إنّ

هذا يَصدُقُ عليه مقولة: "المعنى في قلب الشاعر". إن هذه الكلمات لا يَفهم معانيها إلّا رُواتُها. وإنّ إلحاق الناس بالدرجات العالية لا تملِكه فاطمة، فإن درجة كلِّ إنسان مرتبطة بإيمانه وعمله، فهل يفوز الشخص بالمنازل الرفيعة بكلمة مدحٍ وثناء؟

لقد روى المجلسي في مواردَ أخرى زياراتٍ طويلةً مليئةً بالمدح والثناء، ونقَلها عن الشيخ الطوسي وصدوق ومفيد وابن طاووس، ثم قال:" هؤلاء قالوا إن هذه الزيارات ليست من الله ورسوله، بل إننا رأيناها مناسبة"، وهذا مما يدع وإلى العجب!! فهل يستطيع شخص وِفقَ هواه ودون دليلٍ من الشرع، أن يضيف إلى دين الله ما يراه مناسباً؟ قال المجلسي مثلاً في الباب "لم يرد حديث في كيفية زيارة الزهراء أما أصحابنا رأوا هذه الزيارات مناسبة "، هذه هي الجملة المناسبة مثلاً " وزوجةَ الوصيِّ والحجة والسلام عليكِ يا والدة الحجج" إنهم رأَوا من المناسب أن فاطمة وزوجَها حجة، بينما نص الله عز وجل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وإن علياً عليه السلام قد اعتبر الأنبياء حجة، وبعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس ثَمة حُجةٌ، قال: «بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، ومتحملي ودائع رسالاته، قرناً فقرناً، حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجّته» نهج البلاغة خطبة-٩١ فهل نقبل كلام الله الذي هو حجة الله بعد الرسل أم كلام سائر الناس؟

إن دين الله عندنا هو الأهم والأكبر والأعز من كل شيء، وإن السيدة الزهراء والأئمة عليهم السلام من متّبعي الدين ومبلغيه، لذا لن نرضى أن يَزيدَ شخص في دين الله أو يُنقصَ منه، أو يَنسُجَ حجةً واهية بدعوى المحبة لهم. ونعلم يقيناً أنهم (الأئمة) لا يرضون بهذا بل ويخالفونه مخالفةً كاملةً.

باب زيارة أئمة البقيع

نقل المجلسي والشيخ الطوسي وابن طاووس عن رجل لم يُسمَّ، عن أحد الأئمة ولم يُسمَّ أيضاً[١] زيارةً معظم كلماتها مخالفة للقرآن، ورد مثلاً في هذه الزيارة «أيها القوّام في البرية بالقسط»، فليتهم كانوا هكذا وحققوا العدل بين الناس، بل لأنهم كانوا حبيسي جدرانهم مقهورين. ثم ورد فيها «السلام عليكم يا أهل النجوى»، فإذا كان المقصود من النجوى مناجاة الله فلا بأس بها، ولكن يجب أن نعلم أن المقصود ليس محصوراً في هذا، وإنما المقصود من النجوى، الأسرار الخفية لأن الرسول ﷺ علمهم إياها في الخفاء، وهذا ليس صحيحاً لأن دين الإسلام ليس مخفياً في السراديب وتحت الركام، إنما هو دين للجميع. قال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فالإسلام ليس دينَ سرٍ ونجوى.

ثم ورد في الزيارة «وأُسيءَ إليكم فغَفرتُم»، فيقال إنهم عفوا فماذا تقولون أنتم؟ لماذا تقيمون مجالس النياحة والطعن واللعن والعويل والبكاء ليل نهار تحت شعار مظلومية الأئمة؟ هل من المعقول أن يعف والملك ولا يعف والفرَّاش؟

«إنكم دعائمُ الدِّين وأركانُ الأرض» وهم يقولون نحن أتباع الدين ومعلَّموه لا أركانه وأصوله وفروعه. وماذا تعني أركان الأرض؟ ما الهدف من وراء كل هذا؟ فهل تنطقون بكل هذا وفقاً لأهوائكم أو لأوامر الأئمة؟ هل أنتم بهذه الكلمات تدفعون عذاب الله عن أنفسكم، وتكَفِّرون بها سيئاتِكم وتنقلبون بها إلى عباد الله المطيعين، ويُدافَع عنكم في محكمة العدل الإلهية، ويُتغاضى عن آثامكم؟ اذا لم يكن الهدف هو هذا، فلماذا تقولون في آخر الزيارة «هذا مَقامُ من أسرف وأخطأ وأقرّ بما جنى، ورجى بمقامه الخلاصَ وأن يستنقذه بكم» وهل الإمام

١- رواية مجهول عن مجهول هل هكذا يبلَّغ الدِّين؟

حاضر في جوف قبره؟ ومطلع عليكم؟ ويقول لله عز وجل أن يكفر عن معاصيكم وخطاياكم وإسرافكم وخياناتكم؟ وإن الله يُلبِّي فوراً الإمامَ ويغض الطرْف عن سُنَنِه -نعوذ بالله- أم أن الإمام لا يعرف شيئاً عن هذه الزيارات، وهو في عالـم البرزخ لا يستمع لهذه الترهات، وأنه بريء من أهل الخطأ والإسراف والخيانة. ولْيكن معلوماً أن الله عز وجل يُعذّب الذين عملوا السيئات بتحقيق عدله وقانونه ولا يَنفلتون منه ولا يُعجزونه.

ونقول لهذا الزائر: ألا تخجل من هذا؟ دع هذا جانباً وتوجه إلى ربك فإن الله سبحانه وتعالى جعل طريقاً واحداً من الخلاص وهو التوبة، فتب إلى الله ودع الإسراف والخيانة جانباً. وهل الإمام مكلف بالدفاع عن الجناة؟ هل هو عبد مأمور لكم؟ وهل هو مطيع لكم؟ فما هذا الإمام أو ما هذا الدين؟ وما هذا الإسلام والكتاب والقانون؟ وأنت تظن أن كلَّ هذا هو الدِّين الذي نسجوه ووضعوه لك. إن الـمجلسي والطوسي قد أرشدا الزائر بأداء صلوات ليست من الله بل هي من توجيهات الآخرين.

أورد الـمجلسي زيارة طويلة ويقول فيها: «وجدت في نسخة قديمة من مؤلفات أصحابنا فأوردتها كما وجدتها» أين اسم الـمؤلف؟ وكيف؟ ومن كتب هذا الكتاب؟ لأن في هذه الزيارة الطويلة ما يخالف القرآن، أي أن فيها أكاذيب دون حجة وبرهان. مثلاً ورد فيها في حق الأئمة: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

أي في حكمه، وتشمله هذه الآية الـمباركة التي خاطب فيها اللهُ رسوله ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾. [الزمر: ٦٥].

إن ذنب الشرك غير مغفور أصلاً، فكيف بهؤلاء وبهذه الزيارات التي لا يُعرف ناسجوها ولا سندَ لها، يسُوقون الناس إلى الشرك؟

ورد فيها أيضاً «أنتم حفَظَةُ سرّه ومهبِطُ وحيِه ومَعادن أمرِه ونهيِه». إن مَطالب الدّين ليست موجهة إلى فئة معينة دون سائر الناس. فهل هذا السر مثلاً يظل في دائرة السراديب أم لا؟ وما علاقة هذا السر المتخيَّل بالناس وهل يفيدهم؟ فعليهم إذاً أن لا يفتاتوا على الأئمة لأن الأنبياء والأئمة لا يحق لهم أن يُفشوه، وإذاً للزم نقله في الكتب وتداوله بين الناس، وحينئذٍ فلماذا نسميه سراً؟ لأن الوحي قد انقطع بعد وفاة خاتم الأنبياء عليه السلام وقد نص على هذا الأئمة أيضاً. قال علي عليه السلام: «فقُفّي به الرسل، وختم به الوحي». [نهج البلاغة خطبة -١٣٣].

فكل من ادعى الوحي للإمام أو غير الإمام بعد وفاة النبي ﷺ، فهو خارج عن الإسلام لأن مهبط الوحي كان رسول الله ﷺ.

وورد فيها أيضاً «اجتباكم للخلافة وعصمكم من الذنوب»، لو اختارهم الله عزوجل للخلافة فلماذا لم يوفق أكثرهم لها؟ ولماذا كان علي عليه السلام يرى أن حق اختيار الخليفة للمهاجرين والأنصار؟ قال عليه السلام: «فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضي» نهج البلاغة المكتوب السادس. والأهم من هذا أنه لم تكن له رغبة في الخلافة فلا يمكن أن يختار الله للخلافة شخصاً وهو غير راغب فيها. فالمتصدي للخلافة يجب أن تتوفر فيه صفة القيام لا أن يقول: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية أرَبة». [نهج البلاغة-٢٠٥]. وإن كانت هذه الجملة "وعصمكم من الذنوب" صحيحة فلماذا يقول علي عليه السلام في خطبته: «فإني لست في نفسي بفوق أن أخطي ولا آمن ذلك من فعلي». [نهج البلاغة- ٢١٦] ويقول في دعاء كميل: «فتجاوزتُ بعض حدودك وخالفتُ بعض أوامرك» ولو سلمنا جدلاً بصحة هذه الجملة "عصمكم الله"، وعلمنا أن العصمة بإرادة الله عز وجل، وأن الشخص الذي لا يستطيع أن يقترف إثماً هو بمثابة شجرة لا يستطيع أن يعصي ربه، فالعصمة إذاً ليست فضيلة بل منافية للقرآن الذي خيَّر الله عز وجل فيه الإنسان بين الطاعة والمعصية، والآية الواردة في سورة

الأحزاب المسماة بآية التطهير والتي يعتبرها البعض (خطأً) دليلاً على العصمة التكوينية إنما هي في الواقع دليل على الطهارة التشريعية لا التكوينية، لأن قبلها تكاليف شرعية بين الأمر وبين النهى. وأن الطهارة الشرعية قد طالب بها الله المسلمين جميعاً. قال لأهل بيت رسوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقال للمؤمنين جميعاً: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

وورد فيها أيضاً "وفضلكم بالنوع والجنس" أي أنكم من الجنس البشري الأعلى بينما قال الله عز وجل حكاية عن رسله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [ابراهيم: ١١].

وقال أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

فانظر -رعاك الله- هذا الغلو في الأئمة في هذه الزيارات الواردة؟ فغلَوا حتى رفعوا منزلتهم فوق منزلة الأنبياء وخالفوا بذلك صريح القرآن، أن رسول الله ﷺ بشر كسائر البشر ولا فضل له على سائر البشر إلا بالحق الذي كان يُنَزَّل عليه من الله عزوجل أي بالنبوة.

ومن الكلمات الكفرية والخرافات الواردة في هذه الزيارات، «أَودعَكم مواريث الأنبياء، كتابوت الحكمة وسيف المرتضى» أي أن سيف علي عليه السلام جعلوه رديفاً لميراث الأنبياء. أو ربما أرادوا أن يُدخلوا علياً في زمرة الأنبياء. ولا شك أن هذا غلو مكشوف، وقد نهى الله سبحانه عنه أشد النهى، ولا يرضى به إمام. وعندما مدح علياً عليه السلام شخصٌ في معركة صفِّين زجَرَه وقال: «إن من حق مَن عظَّمَ جلال الله في نفسه، وجلَّ موضعُه من قلبه أن يَصغُر عنده لعِظَم ذلك كلُّ ما سواه...وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراءَ، واستماعَ الثّناء ولست بحمد الله كذلك» (نهج البلاغة -٢١٦) وكان الأئمة كلهم كذلك. والعجيب أن محدثيّ الشيعة يريدون بهذه الزيارات الفاضحة، أن يُشغلوا الناس بها ويسعون أن يجعلوا لنا أياماً خاصة، وبذلك خصصوا خُمس أيام السنة بهذه الزيارات.

لقد نقل المجلسي في البحار من كل عالِم زيارةً على هواه وأدرجه في كتابه. ويعلم أهل التحقيق أن كل هذا يفتقر إلى سند صحيح. نقل المجلسي من كتاب كامل الزيارة لابن قولويه زياراتٍ لحمزةَ وإبراهيم الابن الصغير للرسول ﷺ، وهي زيارات واهيةٌ دون سند صحيح. وقد روى عن راو كذابٌ باسم سهل بن زياد رواية قال فيها علي عليه السلام:" كنا مع رسول الله ﷺ في هذا المكان، فصلى رسول الله ﷺ الظهر ثم دعا علياً فاستعان به في بعض حاجته، ثم جاءت العصر، فقام النبي ﷺ فصلى العصر، فجاء علي عليه السلام فقعد إلى جنب رسول الله ﷺ فأوحى الله إلى نبيه فوضع رأسه في حجر علي عليه السلام حتى غابت الشمس لا يرى منها شيء على أرض ولا جبل، ثم جلس رسول الله ﷺ فقال لعلي عليه السلام: هل صليت العصر؟ فقال: لا، يا رسول الله انبئت أنك لم تصل، فلما وضعت رأسك في حجري لم أكن لأحركه، فقال: اللهم إن هذا عبدك عليٌّ احتبس نفسه على نبيك فرد عليه شرقها، فطلعت الشمس، فلم يبق جبل ولا أرض إلا طلعت عليه الشمس، ثم قام عليٌّ عليه السلام فتوضأ وصلى ثم انكسفت".

هذا الراوي أراد أن ينسج للإمام معجزة، لكنه لم يفكر لأنه جعل منزلة علي وإخلاصه دون منزلة أدنى المسلمين إيماناً، لأن الإمام قد ارتكب الحرام بتركه الصلاة لئلا يستيقظ رسول الله ﷺ، وهل يسوغ لمسلم مهما ضعف إيمانه أن يُقدم على هذه الخطوة التي لا يرضاها رسول الله ﷺ وهي فوات الصلاة، وعدم إيقاظه لأدائها؟ هذا الراوي الجاهل كيف تجرأ على تلفيق مثل هذه الرواية لعلي عليه السلام؟ ومما لاريب فيه أن علياً عليه السلام لمعرفته التامة الكاملة بالنبي ﷺ كان يعلم أن رسول الله ﷺ يحزن لفوات صلاته، ولا شك أن علياً عليه السلام لم يكن ليترك الصلاة في وقتها لأن ترك الصلاة لا يتضمن ثواباً، بل أنه يتسبب في حزن رسول الله ﷺ وانزعاجه، بل إنه عمل مبغوض عند الله ورسوله ﷺ، فكيف يمكن أن يعيد الله الشمس لمن ترك الصلاة في وقتها عن عمد؟ بل إن الوقت الفائت وإن رجع قد انقضى وذهب إلى غير رجعة، وإن عودة

الشمس من جديد لا تعني أن الوقت الـمنصرم قد عاد من جديد. وأيضا لو أن مهمة علي عليه السلام في تلك اللحظة عبارة عن ترك الصلاة في وقتها لِأجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا حاجة أصلاً لرجوع الشمس من جديد. هذا الكذاب الأفاك لم يفهم ماذا ينسج؟ ولماذا لم يلتفت إلى عودة الشمس وغروبها من جديد أناس آخرون، إلا سهل بن زياد المغالي الكذّاب؟ إضافة إلى هذا هل هذه الرواية توافق القرآن الكريم؟ قال الله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وقال أيضاً: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس: ٣٨-٤٠]. فإن الله عزوجل قدر أن الشمس تتحرك حركة خاصة، وأنه سبحانه قد سخّر الشمس والقمر لمصلحة عباده، وأن لهما حركة منتظمة في محورهما الخاص، وأن أي كواكبٍ سيّارة تنحرف عن موقعها، أو تختل حركتها، فإن هذه الـمنظومة تتعرض لتغييرات يعلمها الناس جميعاً، فهل يمكن أن نحكي مثل هذه الرواية الساقطة لمتخصص في الفيزياء أو علم الكواكب في القرن العشرين؟

ومما يؤسف له أن الأفّاكين قد ملأوا الكتب بمثل هذه الزيارات من عند أنفسهم، فمثلاً في زيارة إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي كان له من العمر ثمانية عشر شهراً، طلبوا منه الشفاعة. فلا شك أنهم أدركوا أنه صبي وعمره أقل من سنتين رقيق القلب، ومرهف الـمشاعر ويمُكنهم أن يستميلوا قلبه ويخدعوه، وهو أيضاً من جانبه يُنصت لثنائِهم العاطر ومدحهم الفياض، فيتسبّبُ في شفاعتهم ومغفرتهم وسعادتهم. لقد ورد في زيارة حمزة: «راغباً إليك في الشفاعة أبتغي بزيارتك خلاص نفسي، مستعيذاً بك من نار استحقها، بما جنيت على نفسي، هارباً من ذنوبي التي احتططتُها على ظهرك، فزعاً إليك رجاءَ رحمةِ ربي أتيتك من شقة بعيدة، طالباً فكاك

رقبتي من النار» هذه الكلمات كلها مخالفة لله وشريعته، لأن الله عز وجل نص في القرآن ألا نتعوذ إلا بالله عز وجل، وألّا نستعين إلّا به، وأن الشفاعة ليست باختيارنا واختيار غير الله عز وجل، ومن ملأ ظهره بالإثم والمعصية فلْيَتب إلى الله عز وجل، يُغفرْ له ولا يُطلِع أحداً على ذنوبه، ولا يحق لشخص أن يتجسس بغية التعرف على إثم الناس، وأما هذا المسكين الجاهل فقد ترك اللهَ عزّ وجلّ، وغضّ الطرْف عن كتابه وشريعته وآياته وطلب الخلاص من حمزة وظن أن أَزمّة الأمور بيد حمزة.

إن الله قد نص أنه سبحانه مع العبد يعرف أحواله، ومطّلع على آثامه، وقادر على ضَرِّه ونفعه، أما هذا الجاهل فأعطى ظهره للآيات القرآنية، وقطع مسافة بعيدة إلى أن وصل إلى حمزة ولكنه لا يدرك أن حمزة لا يعرف من أحوال الدنيا شيئاً، وأنه مع سائر الشهداء ينعمون في دار السلام في جنات عالية وأنه لا علاقة له بالمذنبين والكذابين. قال الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

وقال ايضاً: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢٠-٢٢]. وقال رسول الله ﷺ في دعاء له: «إلهي لا مفزع ولا مفرّ إلا إليك» فانظروا كم ورد في هذه الزيارات ما يخالف القرآن الكريم.

ورد في زيارة حمزة: «ألهمني طلب الحوائج عنده» في الحقيقة لم يلهمهم الله عز وجل إنما ألهمهم الشيطان، يقول الإمام السجّاد في دعاء له: «الحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه». [الصحيفة السجادية-الدعاء الأول]. وقال أيضاً: «لا أطلب الفرج إلا منك». [مفاتيح الجنان أواخر دعاء «أبي حمزه ثمالي»].

إن الخرافيين قد اخترعوا زياراتٍ للقبور، وهي عاريةٌ عن الصحة في الشرع أصلاً، والعجيب أن الـمجلسي يستغرب أنه لماذا لم يضعِ العلماءُ زياراتٍ لأبي طالبٍ وعبدِ الـمطلب وعبدِ مناف، والسيدة خديجة في كتبهم رغم شهرة قبورهم في مكة؟ والجواب واضح جداً لأن هذه الزيارات لا تستند إلى الشرع، أو أن واضعي الزيارات لم يجدوا فرصة كافية لاختلاق مثل هذه الزيارات. وهل كل قبر معروف بحاجة إلى زيارة تُقرأ عليه؟ ونشكر الله عز وجل أنهم لم يضعوا في كتبهم زيارات لهؤلاء وإلا لو استمرت هذه العملية لطالت أبا ذرٍ وسلمانَ..... و١٢٤ الف نبي وأولادهم، وآمنةَ وعبدَالله والدَي رسولِ الله ﷺ، وجعفر ومقداد وعمار وابن مسعود ومالك الأشتر وغيرهم، أي آلاف الزيارات.

يقول الـمجلسي: «صلِّ في الـمدينة في بيت زين العابدينَ وبيت الإمام الصادق» كأن الـمجلسي لم يعلم أن منازلهم قد تهدمت واختفت منذ قرون وانتقلت ملكية أراضيهم إلى الآخرين وحتى حدود منازلهم باتت غير معروفة.

الباب الـمحير (فضل النجف وماء الفرات):

١- روى الـمجلسي "إن النجف كان جبلا، وهو الذي قال ابن نوح: ﴿سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ﴾ ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه، فأوحى الله (عز وجل إليه يا جبل أيُعصم بك مني، فتقطع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام، وصار رملاً دقيقاً، وصار بعد ذلك بحراً عظيما، وكان يسمى ذلك البحر بحر (ني) ثم جف بعد ذلك، فقيل (ني) جف فسمي بنجف ثم صار الناس بعد ذلك يسمونه نجف، لأنه كان أخف على ألسنتهم " فنسأل هل الجبل عصى؟ وهل إذا لجأ إليه مجرم هل هو الـمجرم أي الجبل؟ بناء على هذه الرواية فإن الجبال جميعاً عليها أن تتحول رمال.

٢- روى المجلسي أن (إبراهيم الخليل عليه السلام عند خروجه من بابل، وكان معه ابنُ أخيه لوط يسوق غنماً له ويحمل دلواً على عاتقه، وحينما نزل (بانتيا) وكان طولها اثنى عشر فرسخاً، وكان الزلزال يصيبهم في كل ليلة، فلما بات إبراهيم الخليل عليه السلام عندهم انقطع الزلزال عنهم فقال لهم شيخ طاعن في السن وهو الذي نزل عنده إبراهيم الخليل عليه السلام [والله ما دُفِع عنكم الزلزال إلا بالشيخ الذي بات عندي] فأني رأيته كثيرَ الصلاة فجاؤوه وعرضوا المقام عندهم وبذلوا له البذول، فقال لهم إنما خرجت مهاجراً إلى ربي، وخرج حتى أتى النجف فلما رآها رجع أدراجه فتباشروا وظنوا أنه رغب فيما بذلوا له، فقال لهم لمن تلك الأرض ويعني (النجف) فقالوا هي لنا، فقال (فتبيعونها؟) قالوا: هي لك.. فوالله ما تنبت شيئاً فقال إبراهيم عليه السلام: لا أحبها إلا شراءً. ودفع لهم غنيمات كن معه قيمة للأرض في النجف الأشرف، ثم قال: أكره أن آخذها بغير ثمن فتصنعوا ما صنع أهل بيت المقدس بصاحبهم حينما وهبوا له أرضهم، فلما نزلت بها البركة رجعوا عليه، وقد قال إبراهيم الخليل عليه السلام: إنه يحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد).وليُعلم: أنه لا أحدَ لا الأنبياءُ ولا الأولياءُ يدخلون الجنة دون حساب وسؤال. قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

فأهل النجف كسائر الناس مسؤولون، ولا يمكن بهذه الأحاديث المفتراة أن تُسلب المسؤولية من أحد من الناس.

٣- وروي «أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على أبي جعفر عليه السلام فقال عليه السلام له أتغتسل من فراتكم في كل يوم مرة؟ قال: لا. قال ففي كل جمعة؟ قال: لا. قال: ففي كل شهر؟ قال: لا. قال ففي كل سنة؟ قال:لا. قال: فقال له أبوجعفر عليه السلام: إنك لمحروم من الخير»، فنقول بل حُرِمَ من الإسلام أيضاً، لأن الإسلام هو الخير.

٤- روى في هذا الباب أن الإمام الصادق قال: نهران من أنهار الدنيا من الـمؤمنين نهر النيل ونهر الفرات أما الفرات فهو شيعى! فلا بد أن تكون أنهارٌ أخرى كافرةً أو سُنيةً.

وقد روي عن الإمام الصادق بأن أربعة أماكن قد استعانت بالله أيام الطوفان فرفعها الله عزوجل. البيت الـمعمور والنجف وكربلاء والطوس... فلماذا لم تستغِث مكةُ والـمدينةُ؟ ولو أن النجف وكربلاء والطوس والبيت الـمعمور قد رُفعت، فلماذا هي الآن على وجه الأرض؟

٥- ادعى الـمجلسي بأن من خصائص النجف أن من مات فيها أمِنَ الحسابَ وعذابَ القبر!! وأما دليله الـمتقن!! رؤىً رأَوها. فتبيَّن أن من دلائل الـمجلسي الرؤى فقد نقل الـمجلسي "ذات ليلة وكانت ليلة مطيرة فدقّ باب مسلم جماعةٌ، ففتح لهم وذكر بعضُهم أن معهم جنازة فأدخلوها، وجعلوها على الصفة التي تجاه مسلم بن عقيل عليه السلام ثم إن أحدهم نعسَ فرأى في منامه قائلاً يقول لآخرَ: ما تُبصره حتى نبصر، هل لنا معه حساب وينبغي أن نأخذه منه عجلا قبل أن يتعدى الرصافة، فما يبقى لنا معه طريق، فانتبه وحكى لهم الـمنام فقال خذوه عجلاً فأخذوه ومضوا به في الحال إلى الـمشهد الشريف. وروى جماعة من صلحاء الـمشهد الشريف الغروي أنه رأى كل واحد من القبور التي في الـمشهد الشريف وظاهره قد خرج منه حبل ممتد متصل بالقبة الشريفة صلوات الله على مشرِّفها. نقول: نعوذ بالله فهل الله عز وجل قد كلف ملائكة غير مؤهلين لمحاسبة الناس؟ وأنهم أي الناس يفرون منهم لعدم أهليتهم لهذه الـمهمة العظيمة، فهذا الاله! لا شك أنه يستحق مثل كتاب البحار أما غير إله البحار فقد قال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

فلا يمكن للعباد أن يتدخلوا في أمور الله عز وجل، ولا يستطيع أحد منهم أن يُعجزَ الله عزوجل وينفلِتَ من عذابه. وللأسف إن أصحاب الروضات لا يمتُّون بصِلةٍ إلى القرآن وقد

اشتغلوا برؤى المجلسي لأنها تفيدهم في ترويج بضاعتهم المزجاة بين الناس السذج.

٦- أراد المجلسي في الباب الثاني استناداً إلى الرؤى والكرامات وروايات الغلاة، أن يُثبت أنَّ مدفن الإمام علي عليه السلام الذي كان مختفياً لمدة قرنين هو في النجف، فلا شك أن إصراره على هذا الأمر له وجهه، وهو إن لم يُعلم مدفن الإمام فأنى لهذه الأموال الموقوفة والنذر أن تُنفق في بناء الأبواب المزينة والقبب المذهَّبة والمجوهرات والقصور المنيفة، وإلا تعرَّضَ سوقُ بعض الناس إلى الكساد. يقول أحد العلماء المعاصرين وهو آية الله الخالصي: "ذهبت إلى النجف ورأيت القبة المزركشة والأبواب المصنوعة من الذهب والجواهر الثمينة، وقلت: يا أمير المؤمنين! أنت في حياتك كنت تنام على التراب، فخاطبك رسول الله ﷺ بأبي تراب. إذ برائحةٍ عفنةٍ تملأ مقبرة الإمام وعُلم أن الناس قد أتوا بجنازة عفنة للطواف ولا شك أن هذا من أكبر البدع، وأن رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام قد نهوا عن الطواف على القبور، وأن الإسلام لا يرضى بنقل الجنازة من مدينة إلى مدينة لكن الذين تصدوا لأمور الدين لم يخبروا الناس ألا يشتروا المقابر بأثمان باهظة في النجف ومشهد وقم.. إلخ. قلت للخدام! لماذا تسمحون لهؤلاء الناس أن يعكروا جو هذه المقبرة؟أليس في هذه المدينة بلديةٌ، قالوا: يا سيدي! أنت لا تعلم أنهم يصنعون بأخشاب هذه التوابيت المتعفنة عُلَباً للتمور ويرسلونها إلى مناطق أخرى.

باب فضل زيارة علي عليه السلام

ر وى المجلسي والشيخ مفيد وابن قولويه: «ما خلق الله خلقا أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي ﷺ فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام

فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم عرجوا، وينزل مثلهم كلّ يوم أبدا إلى يوم القيامة، ولا شك أن من لفّق، هذا الحديث يستثير الناس ليذهبوا إلى المقابر ألف مرة يومياً. وقد روى المجلسي في هذا الباب أن من زار أمير المؤمنين عارفاً بحقه كُتب له أجر مائة شهيد، بينما لم يستشهد الإمام إلا مرة واحدة. قال علي عليه السلام: عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا هذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ المسْلِمِينَ، وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ». [نهج البلاغة/ ١٥٦] ويقول أيضاً: «نسأل الله منازل الشهداء». [نهج البلاغة/ ٢٣]. ولو سلَّمنا في هذه الرواية بأنَّ منزلة الزائر أرفعُ من منزلة المَزُور، فإنها قد انتَقصت من منزلة الشهيد، بينما الشهيد له منزلةٌ ساميةٌ جداً، وقد قَرَنها الله عزوجل بمنازل الأنبياء والصديقين. قال تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: ٦٩].

وكان أميرُ المؤمنين حياً ولم يقل أحد في حياته: إن زيارة الإمام تعدِل ثوابَ شهيدٍ واحدٍ، ولو قال لسأله الناس: لماذا أضاف جديداً في الإسلام وهو ليس منه؟ ولكن بعد ذلك أضاف جاعل والروايات ما شاؤوا ونسجوا ما أرادوا.

ورد في روايةٍ: إن لكل خطوة إلى القبر يُكتب للزائر ثواب حجة وعُمرة، وعند العودة أيضاً بكل خطوة يُكتب له ثواب حجتين وعمرتين مقبولتين. فبناء على هذا فإن ثواب الزائر يزيد من ثواب مائة حجة والإمام نفسه لم يحج عشر حجات. لو قبلنا هذه الروايات فإنه يلزمنا أن لا نجاهد ونذهب إلى الحج ويكفى أن نزور قبور الأئمة مرة واحدة.

فصار بهذه الروايات للقبر منزلةٌ أرفعُ من الكعبة، وهذا ما يريده الشيطان والاستعمار لأن

الكعبة مأوى أفئدة الـمسلمين ورمز وحدتهم، أما القبور فسببُ التشتت والتفرق.

باب الزيا رات الـمطلقة

وقد قلنا إن الرواة قد ملأوا مئات الصفحات تحت مسمى أبواب الزيارات، كي يُشْغِلوا الناس العاطلين عن العمل ليل نهار بقراءة الزيارات قال الله عز وجل: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ٢١].

أي أن الله سمَّى جبريلَ بأمين الوحي. أما نحن فنقرأ في الزيارات "يا أمينَ الله في أرضه" أي أن الإمام أمينُ الله في أرضه لكن في أي شيء؟ هل يحفظ دينه ولم يسلِمه لأحد أو يحفظ شيئاً آخر عنده؟ "وحجةً على عباده" وقد قلنا سابقاً إن الله نصّ في القرآن في (سورة النساء -١٦٥) أنه لا حجة بعد الأنبياء والـمرسلين. فهل هم حجةُ الله على أهل زمانهم أم على الذين يأتون من بعدهم بقرون ولم يروهم؟ إن قالوا إن الـمراد بالحجة أخبارُهم ودلائلهم التي وصلتنا بسند صحيح، قلنا إن الـمشكلة مازالت قائمةً لأن أخبارهم متناقضةٌ، فهل يمكن للحجة أن تكون متناقضة في نفسها؟

وقد ورد أيضاً في هذه الزيارة "أنت أولُ مظلوم" وهل أنه عليه السلام أول مظلوم ولم يُظلم أحد قبله؟ هل نقبل مثل هذه الدعوى؟ ولو افترضنا جدلاً أن هذه الجملة صحيحةٌ، فليس الهدفُ من وراء هذه الكلمات إلا إيجاد الخلاف وإثارة النعرات وتوجيه الطعن واللعن؟[1] وهل نتوقع من مثل هذه الكلمات إلا هذه النتيجة؟ ورد في هذه الزيارة «جئتك عارفاً بحقك مستبصراً بشأنك معادياً لأعدائك» ويعلم الجميع أن هؤلاء الذين افتعلوا مثل هذا الكلمات، وأدخلوا التغييرات في أصول وفروع دين الإمام هم أعداؤه في هذا الزمن، لأن الإيمان بالله

١- هذه الجمل كانت تخدم الـملوك الخبثاء من الصفويين لتفريق الـمسلمين وبث الخصومة بينهم.

والرسول ﷺ والآخرة من أصول دين علي عليه السلام،ولأن علياً كان يَعتبر نفسه تابعاً للدين، ولا يَعتبر الإيمان به وبأولاده من أصول الإيمان، لكن هؤلاء الناس يَعدون هذا أصلاً من الدين، وباسمه يُنقصون من أصول دينه وفروعه. كأن قرّاء هذه الزيارات لا يلتفتون إلى هذه الخرافات والترّهات أم إنهم يقنتعون بالجمل المسجَّعة والموزونة فقط؟

إن الهدف من هذه الزيارة ينكشف بعد مدح وإطراء، وهو خداع الإمام وإجباره على الشفاعة. وظنوا أنهم بهذه الكلمات الخداعة يخدعون الله والإمام. فيقول الزائر" فاشفع لي إلى ربك يا مولاي فان لك عند الله مقاماً معلوماً". فهل الشفاعة في اختيار الزائر أم في اختيار الإمام؟ وهل الله عز وجل يعرف العبد المقصّر المستحق للشفاعة أم الأئمة؟ وهل الإمام والله عز وجل سواء في معرفة العبد؟ قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فلا الأنبياءُ يعرفون العبد ولا الأئمة، وهذا الزائر عبثاً طمِع في المَزُور وضيع وقته.

أما الإشكال الآخر في هذا الدعاء فهو قول الزائر "بحق محمدٍ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ آبائي" كيف هؤلاء الأئمة آباء الزائر؟ وهل يمكن إطلاق لفظ الأب على فاطمة، لا ندري من الذي زوَّر مثل هذه الزيارات؟ وهل الهدف من وراء كل هذا خداع الشيعة؟

وبعد هذه الزيارات رُوِيت عن الباقر عليه السلام رواية ملفقةٌ كاذبة، أنَّ من يقرأ من شيعتهم هذه الزيارةَ كُتب دعاؤه في صفحات من نورٍ خَتم عليها محمد ﷺ، ويُرفع هذا الدعاء ويُسلّم إلى قائمِ آل محمد ﷺ ويُحفظ.. هل واضِعُ هذه الرواية كان يرمي مِن وراءها إلى السخرية؟ ماذا يفيد الزائر أن يُرفع دعاؤه ويُسلّم إلى قائم آل محمد ﷺ ويُحفظ؟ إضافة إلى ذلك عندما قال باقر عليه السلام هذا الحديث للراوي لم يكن ثَمة قائمٌ حتى يُذهب بدعائه إليه وهو يحفظه. ناسجوا مثل هذه الروايات لم يفهموا كيف يكذبون؟

في الزيارة الرابعة عشرة، يمنُّ الزائر على الله قائلا: «اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مأتيٍ حقٌ لمن أتاه وزاره». وقد استبد به الجهل إلى درجة أنه لم يفهم أنه لا يمكن زيارة الله عزوجل؟ وسمّى الإمامَ في جزء من الدعاء بصاحب الميسم، والمقصود بالميسم: العصا التي كان علي عليه السلام يَسِمُ بها وجوه الكافرين والمؤمنين، وكان يعلِّم علامةً أن فلاناً كافر وأن فلاناً مؤمن، ولا شك أن هذا عبث، لماذا يفعل هذا؟ إن التعريف بهؤلاء لوكان لأجل معرفة الله بهم والملائكة، فإنهم لا يحتاجون إلى هذا التعريف. ولوكان الهدف معرفة الناس بهم، فإن التعريف بهم لا يفيد الناس ولا يتبعها نتيجة. وفي يوم القيامة هذا الفعل غير مفيد أيضاً، لأن وجوه المؤمنين مبيضّة ووجوه المجرمين والكافرين مسودّة، وليسوا بحاجة إلى علامة زائدة.

يقول الزائر في هذه الزيارة أيضاً «إنك بابُ الله وإنك وجهُ الله» بينما علي عليه السلام يقول: «فما قطعكم عنه حجاب ولا أغلق عنكم دونه باب، وإنه لبكل مكان، وفي كل حين وأوان، ومع كل إنس وجانّ». [نهج البلاغة/ ١٩٥] وقال: «ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه». [نهج البلاغة/ ٣١]. وقال الإمام السجاد عليه السلام «بابك مفتوح للراغبين» الصحيفة السجادية دعاء يوم الفطر، فمطالب هذه الزيارة مخالفة لعقيدة الأئمة عليهم السلام، أما وجه الله فقال الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

قال: إن وجه الله أي أنه يُتوجه إليك. وقد رُوي عن الإمام عليه السلام أن المراد بوجهه ذاته، يعنى كل من أراد أن يتوجه فيتوجه بصورته ووجهه، ولذا أُطلق لفظ الوجه لله عزوجل، أما علم الله وفهمه ذاتيٌّ فهو يتوجه في كل مكان بذاته فوجهه ذاته، وإن وجدنا رواية عن الغلاة تخالف هذه الحقيقة فالواجب طرحُها وعدم قبولِها. يقول الزائر مخاطباً الإمام: «أنت الصراط المستقيم»، بينما الإمام سالكٌ للصراط المستقيم وليس هو الصراط نفسه لأنه في اليوم

والليلة يصلى خمس مرات ويقول في قراءته فيها ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ لو كان هو الصراط المستقيم لما ناسب أن يدع والله أن يهديَه إلى نفسه، بل إن النبي ﷺ قد دعا الناس إلى الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فخاتَم النبيين هو هادي الناس إلى الصراط المستقيم وليس هو الصراط المستقيم. وربما واضعوا هذه الزيارة لم يكونوا يعتقدون بالصلاة والصراط المستقيم الذي هو دينه ﷺ فنسجوا من عند أنفسهم مثل هذه الكلمات.

ورد في الزيارة: «السلام عليك يا صفوة الله يا عمود الدين» فالاصطفاء من خصائص الأنبياء. وعمود الدين كما نص رسول الله ﷺ هو الصلاة، ولو كان الإمام عمودَ الدين لانهدم العمود وتلاشى بوِفاته.

وزاد في الزيارة أيضا مخاطباً الإمام: «متعوذاً بك من نار استحققتها بما جنيت على نفسي»، لو كان كل من استحق النار لجأ إلى مخلوق لينقذه منها، فلا مفهوم إذاً لخلق النار والعقاب الإلهي، إن الله قد نص في القرآن في أكثر من موضع، أنه يجب على العباد أن يتعوذوا بالله من النار بل وقال لرسوله ﷺ أيضاً أن يتعوذ بالله من النار. فأنى للقرآن والسنة أن يَنُصّا على التعوذ من النار بالمخلوق؟ قال ﷺ: «سبحان الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه»، مفاتيح الجنان، أعمال يوم عرفه، نقلا عن كتاب «إقبال» لابن طاووس. وقال ﷺ أيضا: «يا مَن لا مفزع إلا إليه، يا مَن لا يستعان إلا به، يا مَن لا يُرجى إلا هو، يا مَن لا منجى منه إلا إليه، يا مَن لا يصرف السوء إلا هو» [الصحيفة العلوية]، ألم تقرأوا أدعية علي عليه السلام؟ يقول متأسِّياً بالنبي ﷺ: «إنه لا يأتي بالخير إلا أنت ولا يصرف السوء إلا أنت» [الصحيفة العلوية] ويقول أيضاً: «لا ملجأ ولا منجى من الله (منه) إلا إليه». [الصحيفة العلوية] ويقول مستلهِماً من

سورة الجن من الآية الثانية والعشرين: «اللهم إنه لن يجيرني منك أحد ولن أجد من دونك ملتحداً». [الصحيفة العلوية] ويقول مستلهِماً من الآية الثامنة والستين من سورة الفرقان المباركة: «اللهم واجعلني من الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر». [الصحيفة العلوية] ويقول ابنه البار الإمام الصادق عليه السلام مستلهماً من الآية السادسة والخمسين من سورة الإسراء الشريفة: «اللهم إنك عيّرت أقواماً في كتابك فقلت: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦]، فيا من لا يملك كشف ضُرِّي ولا تحويله عنّي أحد غيره، صلِّ على محمد وآله واكشف ضري» مفاتيح الجنان ولا شك أن علياً قد انتقل من الدنيا الفانية، فكيف يلوذ به الغالون؟. ولقد قال بعد أن طعنه ابن ملجم «إن أبقَ فأنا وليُّ دمي، وإن أفنى فالفناء ميعادي». [نهج البلاغة –الرسالة الثانية] ولكن الغالين المبطلين يريدون بهذه الخرافات أن يُخلِّصوا أنفسهم من العذاب الذي كان يتعوذ الإمام نفسه منه ويبكيه خوفاً، ويريدون أن يُغفر لهم بهذه البدع الشنيعة فما أبعدهم عن الحق وما ألصقهم بالباطل!.

روى المجلسي في الحديث الخامس عشر عن صفوان جمال أن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال لي يا صفوان أنِخِ الراحلة فهذا قبر جدي أميرِ المؤمنين، فأنختها ثم نزل فاغتسل وغير ثوبه وتحفى وقال لي: افعل مثلَ ما أفعلُه، ثم أخذ نحو الذكوة وقال لي قصِّر خُطاكَ وألق ذقنك الأرض فإنه يُكتب لك بكل خطوة مائة ألف حسنةٍ، ويمحى عنك مائة ألف سيئةٍ، وترفع لك مائة ألف درجةٍ، وتقضى لك مائة ألف حاجةٍ، ويكتب لك ثواب كلِّ صديق وشهيد لا حظوا أن هذا ثواب خطوةٍ واحدة، فإذا وصل إلى القبر فلا شك انه حاز ثواب الملايين من الصديقين والشهداء، وكيف يتأتى هذا والإمام نفسه قد حاز برتبة شهيد واحد لأنه لم يستشهد إلّا مرةً واحدةً، والأعجب من هذا قول صفوان: «فطلبت فإذا أثر القبر ثم أرسل دموعه على خده، وقال: إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ وقال: السلام عليك أيها الوصي البر التقي.....». ولكنه

في الحديث الثامن عشر يقول في مرقد علي عليه السلام: اذا رأيت القبة قل كذا واذا وصلت إلى سور المدينة قل كذا. هؤلاء الكذّابون يهرفون بما لا يعرفون وقد نُقل في زيارة الحديث بأن علياً عليه السلام خازن الوحي وإذا دخلت المدينة فقل: "اللهم لبابك وقفت" ولا يُعلم هل هو قصد الباب الحقيقي أو أنه ظنّ علياً بابَ الله؟ المهم أنه جعل لله باباً ثم يقول إذا دخلت الفناء فقل: "إلى مولاي، يا أمير المؤمنين عبدُك وابن عبدك وابن أمَتك" أي أنه عدَّ نفسَه وآبائه كذبا وزوراً عبيدَ عليٍّ ثم يقول: «أمين رب العالمين وديّان يوم الدين» وأن هناك عشرات الآيات نصت على أن أمين رب العالمين هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنَّ ديّان يومِ الدين هو الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٩].

ثم يقول: «السلام على ميزان الأعمال ومقلِّب الأحوال» بينما ميزان الأعمال والحق والباطل كتاب الله وشريعته لا علي عليه السلام. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧ والحديد: ٢٥].

فنسأل: بأي شيء توزن أعمال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي، إذا كانا الميزان، فكيف يوزن الميزان بالميزان؟ وأيضاً إن الله عز وجل قد جعل لكل أمة كتاباً ميزاناً ويوم القيامة كل أمة تُدعى إلى كتابها قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨].

وعبارة مقلب الأحوال الواردة في الزيارة لا يتصف بها إلا الله عز وجل أما الأنبياء والأولياء فلا يملكون اختيار أنفسِهم. قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقال: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

فعندما لا يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحوال الناس، ولا يستطيع أن يُقلِّب أحواله أيضاً، فكيف يتحقق هذا العمل؟ إن أحوال العباد في اختيار الله عز وجل وهو يراقبها. وهو المقلب

للأحوال لا غيره. قال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

فمقلب القلوب ومقلب الأحوال هو الله عز وجل فقط، لكن واضعي هذه الزيارات كانوا مصرين على إضفاءِ صفات الله عز وجل على الإمام وسوقِ الناس إلى الشرك.

وورد في هذه الزيارة أيضاً: "وسامع السر والنجوى" وهذه الصفة خاصة لله عز وجل قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧ وهود: ٥ والنحل: ٢٣ ويس: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك: ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨].

فنسأل: هل علي عليه السلام إله؟ ليعرف أسرار الناس، فقد ورد في نهج البلاغة أنه عليه السلام ما كان يعرف خيانات أُمرائه وولاته إلا عن طريق العيون المندسين فيهم، أو رسائل الناس، يقول: «عيني بالمغرب كتبَ إلي يُعلِمُني». [نهج البلاغة- رسالة- ٣٣] لقد وليَ عُبيد الله بن عباس البصرة وعندما أخذ مبلغاً من بيت المال وعلم به الإمام، بكى على المنبر. [نهج البلاغة- رسالة ٤١]

ولّى منذر بن جارود مهمة جمعِ الصدقات، ولكنه جمعها وذهب بها إلى معاوية[١]. وعندما علم الإمام كتب إليه: «فإن صلاحَ أبيك غرّني منك، وظننت أنك تتّبعُ هديَه». [نهج البلاغة- رسالة-٧١]

وولى أبا موسى الأشعري الكوفة، ولكنه لم يكن موفقاً في ولايته ولم يخدم الإمامَ كما كان ينبغي[٢]. وكميل بن زياد سلَّمه المدينة ولم يقاوم وذمه الإمام. [نهج البلاغة- رسالة -٦١]. وسلم ولايةَ فارسَ لزياد ابنِ أبيه، فالتحق بمعاوية وقتل عدداً من أتباع الإمام. [نهج البلاغة- رسالة- ٤٤]. وجعل مصقلة به هبيرة على اردشير خوزستان، لكنه خان وقسم أموال بيت المال بين أقاربه. [نهج البلاغة- رسالة – ٤٣]. وعزل قيس بنَ سعد بنِ عُبادة الذي كان رجلا محنَّكاً ومن أقرب الناس إليه فعزله بناء على وشاية العيون من ولاية مصر، وولى مكانه محمد بن أبي بكر الذي كان مفتقراً إلى تجربة كافية، ففي النتيجة سقطت مصر.

هل يمكن القول بأن علياً عليه السلام كان يعلمُ أن هؤلاء الأفرادَ بين خائن وبين فاقد الصلاحية، ومع ذلك ولّاهم المناصبَ الحساسة، وكان شريكاً معهم في أعمالهم الخاطئة؟ نقول حاشا وكلّا، فما هذه الأباطيل الواردة في هذه الزيارة؟ وليكن معلوماً أن الأنبياء والمرسلين قد رحلوا عن الدنيا ولم تكن لهم زيارات أما المجلسي في كتاب مزاره يستغرب بأن علماء الشيعة وضعوا زيارات لآدم ونوح، ولم يضعوا زيارات لصالح وهود وإبراهيم عليم السلام، وينبغي أن توضع لهم.

١- الذين يحبون علياً -ومحبتهم ليست مجرد دعوى فارغة- يعلمون كم كان الإمام حريصاً على رعاية حقوق الناس وحفظ بيت المال وكما هو المعروف أنه كان يمتنع عن إيقاد سراج من بيت المال دون داع إليه وإيثار أقاربه من الاستفادة من بيت المال، فلذا ما كان يولى أمور المسلمين أناساً يعرف خيانتهم.

٢- مثل هذه الروايات يجب أن تخضع لمحاكمة حديثية منضبطة. [مصحح]

وفي رأينا أنّ هؤلاء السادةَ كانوا من العاطلين عن العمل، فأرادوا أن يَسدُّوا هذا الفراغ فنسجوا من عند أنفسهم لكل مَن رحل عن الدنيا زيارات ورتبوها. والعجيب في صانع الزيارة الثامنة عشرة أنه استدل بهذه الآية الكريمة ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ليُثبت أن الشفاعة لعلي عليه السلام. ألم يعلم هو أن المراد بآية الشفاعة الملائكةُ، وأن الله عز وجل قد جعل شفاعة الملائكة محصورة في رضاه وإرادته، ولم يتركها للملائكة ولعباده، لأن الله عز وجل يعلم المقصِّرين في عبادته، وهو العليم بذات الصدور وأحوال عباده. وأن علياً عليه السلام في نهج البلاغة يرى أن المراد بالشافعين في الآية هم الملائكة. كأن ناسج الزيارة لم ير نهج البلاغة، لأن الضمير في (يشفعون) عائدٌ على ما قبلها، ولأجل هذا ارتأى عليٌّ عليه السلام هذا الرأي، وقال: «فلا شفيع يَشفع». [نهج البلاغة – ١٩٥] وأنه جعل طاعة الله شافعةً فقال: «فاجعلوا طاعة الله شفيعاً لدرْك طلبتكم» [نهج البلاغة- ١٩٨]، وجعل القرآن شفيعاً: «واعلموا أنه شافع ومشفّع وأنه من شَفع له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه». [نهج البلاغة – ١٧٦] وفي دعائه يجعل الله شفيعاً «والشافع لهم ليس أحد فوقك يحول دونهم». [الصحيفة العلوية] فلذا فإن هذا الجاهل الذي يردد دوماً «فإن لي ذنوباً كثيرة» فهو لا يصدق عليه قول الله – لمن ارتضى- بل عليه أن يتوب إلى ربه عز وجل.

يقول الزائر في هذه الزيارة: «إنك تسمع كلامي وتردُّ سلامي» وقد سبق أن أثبتنا أن هذه الجملة باطلة لأن البشر لا يسمعون الأصوات كما يسمعها الله عز وجل، وأن الأنبياء لو سمعوا الأصوات كلها لصعقوا جميعاً كما صعق موسى عليه السلام عندما سمع صوتاً من الجبل فخر صعقاً، قال الله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أن الأئمة عليهم السلام في حياتهم كانوا يعجزون عن فهم ما كان يتحدث به أكثر من فرد في آن

واحد فأنى لهم هذا بعد وفاتهم؟ وإن هذه الصفة من خصائص الله عز وجل. وقد ورد هذا الموضوع في أدعية كثيرة منها دعاء الجوشن الكبير: «يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا يمنعه فعل عن فعل، يا من لا يلهيه قول عن قول، يا من لا يغلطه سؤال عن سؤال يا من لا يحجبه شيء عن شيء» ولا شك أن هذه الخصائص لا تليق إلا لله عز وجل ولا يجوز نسبتها لغيره عز وجل.

ونقرأ في الزيارة العشرين «إني عذت بأخي رسولك». والقرآن قد نص على ألا تعوذوا إلا بالله عز وجل.

إن المجلسي كلما رأى زيارة جميلة العبارة ومسجَّعة حشرها في كتابه، وملأه بمثل هذه الخرافات يقول في الزيارة الثانية والعشرين «زيارة رابعة مليحة يزار بها صلوات الله وسلامه عليه يقصد باب السلام ويكبر الله عز وجل أربعا وثلاثين تكبيرة» ثم ينقل زيارة من صنيع الغلاة ويقول فيها مخاطباً الإمام: «السلام على الأصل القديم والفرع الكريم، السلام على الثمر الجني» وفيها وصف علياً كما يصف النصارى عيسى عليه السلام لأنهم يقولون عن عيسى عليه السلام إنه القديم وثمر الخلق وابن الله. إنهم يعتقدون بأقانيم ثلاثة، وكأن الزائر بهذه الزيارة أيضاً يؤمن بتعدد القدماء، ولاشك أن هذه العقيدة كفر بإجماع علماء الإسلام. سمعت أن الشيخ محمد حسن النجفي صاحب جواهر الكلام -وهومن المراجع العظام في الشيعة- دخل يوماً مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ورأى هذه الزيارة معلقة فيه، استدعى المستخدمين وقال إن هذه الزيارة شرك ارفعوها ومزقوها. فاستجابوا لدعوته ولكن ظهر بعد سنوات الشيخ عباس القمي ونقل هذا الدعاء الباطل بعنوان الزيارة السادسة في مفاتيح الجنان وسلمها للعوام! ورد في هذه الزيارة أن الأئمة مقنِنون أي مُشرِّعون «وعلى الأئمة الراشدين الذين فرضوا علينا الصلوات» والله يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣].

ولا شك أن الضمير في "شرع لكم" عائد على الله عز وجل ويقول كما في الآيات السابقة وقال أيضاً. ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فلذا إن التشريع من خصائص الله عز وجل، ولا يحق لإمام أن يشرع شرعاً باسم الدين في الدين. إن المجلسي في هذه الزيارة عدَّ علياً شجرة طوبى وسدرة المنتهى، وآدم ونوحاً وعيسى وموسى. وهكذا يطريه جاعل هذه الزيارة فالإمام بناء على عقيدة وحدة الوجود كل شيء، الخالق والمخلوق وأنه موسى وأن موسى هو علي. نعوذ بالله من هذه الخرافات.

ويقول في هذه الزيارة: "السلام على حبل الله المتين" ويبدو أن واضع الزيارة لا يقبل علياً لأن علياً عليه السلام نفسه قد صرح مراراً وتكراراً، بأن القرآن هو حبل الله المتين قال: «عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين». [نهج البلاغة-١٥٦] وقال أيضاً: «وإن الله سبحانه لم يعطِ أحداً بمثل هذا القرآن فإنه حبل الله المتين». [نهج البلاغة-١٧٦] لكن هؤلاء نسجوا من عند أنفسهم ما يخالف كلام الله وكلام علي عليه السلام، ومن هنا ندرك مدى محبة هؤلاء الناس بالأئمة ومدى منزلتهم عندهم.

قال تعالى في وصف القرآن: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾ [الزخرف: ٣-٤].

لا حظوا أن في هذه الآية لفظا (العلي والحكيم) صفتان للقرآن أما جاعل الزيارة الجاهل قد حرف القرآن ونسب هاتين الصفتين لعلي عليه السلام. ويقول الزائر: «السلام على صاحب الدلالات الذي ذكر الله في محكم الآيات، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾!!

انظروا كيف أنه أراد أن يلعب بالقرآن تحقيقا لهدفه وأن لفظي (العلي والحكيم) اللذين هما صفتان للقرآن أطلقهما على علي ابن أبي طالب. والعجيب أنهم بهذه الخُزَعبلات قد دمَّروا الإسلام ومع ذلك يرجون الشفاعة!! وأعتقد أنه لو الإمام كان حياً وقال إن الشفاعة لا أملكها وإنما يملكها الله عز وجل لناصبوه العداء. وفي الحقيقة أنهم جعلوا الشفاعة لأنفسهم حتى يتمكّنوا من ممارسة الإثم بكل راحة، بينما الأئمة لم يدَّعوا هذا. قال علي في دعائه: «وقد رجوت ممن تَولّاني في حياتي بإحسانه أن يشفع لي عند وفاتي بغفرانه». [الصحيفة العلوية]. ويقول في دعاء كميل: «اللهم إني أتقرب إليك بذكرك وأستشفع بك إلى نفسك» ويقول: «أنت الأول قبل خلقك والآخر بعدهم والظاهر فوقهم...والدافع عنهم والشافع لهم، ليس أحد فوقك يحول دونهم وفي قبضتك منقلبهم ومثواهم». [الصحيفة العلوية]. فكما لاحظتم أن علياً عليه السلام يجعل الشفاعة لله. وأن سيد الساجدين زين العابدين يقول في دعائه أيضا: "وإن شُفِّعت فلست بأهلِ الشفاعة... شفِّع في خطاياي كرمَك... لا شفيع لي إليك فليشفع لي فضلُك» الصحيفة السجادية. إن هؤلاء الأفاكين لو كانوا مؤمنين بالله والقرآن ومحبين للأئمة لما نسجوا مثل هذه الزيارات لأنه بسببها تقوى الحركات الباطنية والشيخية والصوفية، ويُستدل بها على دعاويهم الباطلة. وللأسف أن الناس لا يعلمون حقيقة هذه الزيارات، وأنها مخالفة للقرآن وأن ما حشَره الغلاة في وصف على عليه السلام، تمّ إدراجُه جميعاً في هذه الزيارات. مثلاً ورد فيها «السلام على المولود في الكعبة المزوج في السماء» في هذه الزيارات تمت الإشارة إلى ولادة علي عليه السلام في الكعبة، ونحن نود أن نطلع القراء على حقيقة هذا الموضوع الذي يتطلب منا وقفة مفصلة حتى يعرف القراء أن كل رواية أو زيارة تستند إلى هذه المسألة، فهي ليست من الإمام بل هي من الأفاكين الوضاعين.

اعلم أن ولادة علي في الكعبة من المسائل التي تصدق عليها مقولة (رب مشهور لا أصل

له) إن هذه الحكاية لا أساس لها البتة، وإن علياً عليه السلام له من الفضائل السامية التي لا تحتاج إلى اختلاق الفضائل المكذوبة. إن العلماء أمثال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، والبخاري ومسلم في فضائل علي عليه السلام ذكروا فضائله ومنزلته الرفيعة، ولكنهم لم يشيروا إلى مسألة ولادته في الكعبة، وابن أبي الحديد الذي لا شك في محبته لعلي عليه السلام وإخلاصه له، يقول في شرح نهج البلاغة (١/ ٥): « واختلف في مولد علي ع أين كان، فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة، والمحدثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي».

ولا شك في أنه لوكان هناك مصدر موثوق لأشار إليه ابن أبي الحديد ولم يمتنع عن ذكره.

الشيخ الكليني في الكافي في باب أمير المؤمنين صلوات الله عليه رغم أنه ذكر أنه عليه السلام أول من ولد من أبوين هاشميين، لكنه لم يشر إلى ولادة علي عليه السلام في الكعبة أدنى إشارة.

العلّامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار في المجلد الخاص بعلي عليه السلام في باب تاريخ ولادته وحليته وشمائله صلوات الله عليه، أورد ثمانية وثلاثين حديثا، الحديثان الثاني عشر والخامس عشر يشيران إلى ولادته في بيت أبي طالب والأحاديث الثالث عشر والثاني عشر والخامس والعشرون والسابع والعشرون إلى السادس والثلاثين كلها في فضائله، ولكنها لا تدل على ولادته في الكعبة، رغم أن الشهر الذي ولد فيه ليس محلَّ اتفاقِ الجميع، وهناك أيضا شخص مشرك يدعى يزيد بن قعنب. والعجب أن بعض الناس يقبل كلام المشرك ولا يقبل الروايات المطهرة من اسم هذا المشرك، ومنها روايات ١٢ و١٥ فهم لا يقبلونها. ولو كانت ولادة علي في الكعبة لعرفها أهالي مكة ولجاء ذكرها في روايات الفضائل، ولم تبق معرفتها

محصورة في شخص يزيد بن قعنب، أو أن العلويين وأولاد وأحفاد علي عليه السلام أرادوا من وضع هذه الرواية إلجام أفواه مخالفيهم.

على أي حال، نحن هنا سنسرد على سبيل المثال لا الحصر روايتين من روايات بحار الأنوار، وإن القارئ إذا راجع بقية الروايات، عرَف أنها ليست أحسن من هاتين الروايتين.

"قال يزيد بن قعنب: كنت جالسا مع العباس بن عبدالمطلب وفريق من عبدالعزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي، قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرُمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل، ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء لان آسية بنت مزاحم عبدت الله عزوجل سرا في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطرارا، إن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبا جنيا، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثماره، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف، يا فاطمة سميه عليا فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه.

لماذا لم يكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمه وهو في بطنها ولماذا لم يولد في الكعبة ولماذا لم تأكل آمنة من فاكهة الجنة؟

فلماذا لم يترك يزيد بن قعنب وهو مشرك هذا الأمر للآلهة الموجودة في الكعبة؟ لأن مشركي مكة كانوا ينسبون كثيراً من الأمور إلى أربابهم.

لماذا لم ينقل هذا الخبر غير الغلاة والوضاعين أمثال يزيد بن قعنب؟

نسأل: هل أنها كانت أفضل من آمنة! ولو كان هكذا لماذا ذكر الله عز وجل آسية ومريم في كتابه ولم يشر إلى فاطمة أدنى إشارة؟

لماذا لم يسمِّ الهاتف النبي ﷺ لآمنة؟ ألم يذكر النبي ﷺ اللهَ عزوجل قبل علي عليه السلام بالعظمة والكبرياء.

ورد في بعض الروايات أنه عندما وُلد أمير المؤمنين جعله أبوطالب على صدره، وأخذ يد فاطمة بن أسد وجاوؤا جميعاً إلى أبطح وأنشد أبوطالب:

يا رب يا ذا الغسق الدجى والقمر المبتلج المضي

بين لنا من حكمك المقضي ما ذا ترى في اسم ذا الصبي

فإذاً حكاية تسمية الهاتف علياً عليه السلام حكاية كاذبة، وفجأة ظهر من الأرض ما يشبه السحاب وجاء إلى أبي طالب وأخذه أبوطالب ووضعه مع علي على صدره وعاد إلى المنزل فلما أصبح رأى لوحة خضراء مكتوب فيها:

خُصِّصتما بالولد الزكي والطاهر المنتخب الرضي

فاسمه من شامخ على على اشتق من العلي

ثم سمّاه أبوطالب علياً وعلق تلك اللوحة الخضراء في زاوية من يمين الكعبة وقد ظلت معلقة إلى زمن هشام بن عبد الملك فنزلها ثم اختفت. منتهي الآمال، شيخ عباس قمي، ج ١، ص ١٤١ و١٤٢. لاحظوا أن هذه الحكاية (لا يناسب أن يسمى مثل هذه الخزعبلات حديثاً) وقعت قبل نزول الوحي على النبي ﷺ، وأن زوجة عمه كانت تعرف كثيراً من الأنبياء

والأولياء الذين وردت أسماؤهم في القرآن وإنها كانت تعرف أخبارهم الواردة فيه أيضاً. بينما قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۛ﴾ [هود: ٤٩].

إشكالات هذه الرواية كثيرة جداً ولكننا نكتفي بهذا القدر، أما ما يتعلق برواة الأحاديث المتعلقة بولادة علي عليه السلام في بحار الأنوار، فهؤلاء من أمثال محمد بن فضل ومفضل وأسدى والنخعي، أو أفراد مجهولي الحال من أمثال زكريا بن يحيى وعبد الله بن محمد، أو أشخاص مهملين لم يُذكروا في كتب الرجال من أمثال أبوحبيبة وعمر وبن الحسن القاضي وأحمد بن عمر الربيعي (ربيقي) وأحمد بن محمد بن أيوب، أو أنهم أناس من أمثال سهل بن أحمد ومحمد بن سنان ضعَّفَ الأولَ منهما الشيخ الطوسي، وقال فيه ابن الغضائري إنه ضعيف وكان يضع الحديث ويروي عن المجاهيل. أما الثاني منهما قال الشيخ مفيد في رسالة (جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية)، قال في حديث أحد رواته محمد بن سنان «هذا الحديث شاذ ونادر ولا يطمئن إليه وفي سنده محمد بن سنان، وهو مطعون فيه ونحن الشيعة لا نختلف في ضعفه وكل حديث طريق رواية هكذا فلا يُعمل به في الدين».

وقد جمع الأستاذ قلمداران استناداً إلى كتب الرجال المعتبرة هذه المطالب في محمد بن سنان.

١- قال النجاشي في كتاب الرجال ص ٢٥٢: هو رجل ضعيف جداً لا يُعوّل عليه ولا يُلتَفت إلى ما تفرَّد به.

٢-قال ابن الغضائري فيه: محمد بن سنان مغالٍ لا يُلتفت إليه.

٣-قال الشيخ أبوعمر الكشي في كتاب الرجال في صـ ٣٣ نقلا عن أيوب بن مفرح: لا أستَحِلُّ أن أرويَ أحاديث محمد بن سنان، وفي صـ ٤٢٧ نُقل عن حمدويه بن نصر عن أيوب بن

مفرح: أن محمد بن سنان قال عند مماته: كل ما حدثتكم من حديث لم أسمعْه من أحد، ولم يكن هناك سماع ورواية بل وجدته هكذا!!!.

٤-أورده ابن داود في كتاب الرجال في صـ ٥٠٥ في قسم الضغفاء، وقال: إن محمد بن سنان كان يقول: لا تَرووا عني مما حدثت شيئاً فإنما هي كتب اشتريتها من السوق. ثم قال ابن داود: الغالبُ على حديثه الفساد. وعلماء الرجال جميعاً متفقون على أنه من الكذابين.

إن الرواية المتعلقة بولادة عليٍّ عليه السلام في بحار الأنوار، فيها من الفضائح التي اضطُّر بسببها صاحب حاشية الكتاب محمد باقر بهبودي، بعد توجيه الروايات المتعارضة في شهر ولادة علي عليه السلام أن يعترف قائلاً: "إنه لا يخفى على أي محققٍ بأن جماعةً من العلماء والرواة الذين كانوا ينظرون إلى حياة السابقين من خلال الحكايات والأساطير فألّفوا مؤلفاتٍ في سيرة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بناءً عليها، فكانوا يجعلون من الحديث الذي لا يتجاوز خمسة أسطرٍ خمسين سطراً، ومن هؤلاء الرواة أبوالحسن بكري، الذي روى رواية زواج النبي ﷺ من خديجة في بحار الأنوار، فيتكلف في إخراج هذه الرواية برواية أدبية راقية فيها الفصاحة والبلاغة والشعر، واستناداً إلى قريحته الأدبية، يحلِّق في فضاء الأدب ويجنَح إلى الخيال، وفي النهاية يُبرِز صورةً عجيبة وخياليةً يظنها تناسب شخصية النبي ﷺ. وقصص ولادة علي عليه السلام التي جمع رواياتها المصنف، هي من هذا القبيل فتلاحظون منهم من يصور النبي ﷺ كأنه قابلةُ علي عليه السلام، ومنهم من يذكر شهر ولادته شهر ذي الحجة كي يُخرجوا وجهاً في تسمية يوم التروية ويوم عرفة وعيد الأضحى، ومنهم من يختلق قصة مثرم بن رغيب بن الشيقنام، ومنهم من يجعل للإمام أسماءً عند كل فرقة، ولا شك أن هذه الأعمال ونظائرها وأشباهها من خرافات القصاصين".

ونعود إلى الزيارة الثالثة والعشرين، ورد فيها «السلام على من شَرُفت به مكةُ والمدينة

ومنى» بينما عليُ نفسه كان يذهب إلى زيارة الكعبة ابتغاء ثواب الله عز وجل، وأولاده أيضاً كانوا يذهبون إلى مكة على أرجلهم لكي يطوفوا حول الكعبة ابتغاء أجر الله عز وجل، بل وإبراهيم عليه السلام قد رفع قواعد الكعبة تقرُباً إلى الله عز وجل وابتغاء أجره وثوابه، قال تعالى مادحاً إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

فنرى أن الله عز وجل أوجب على النبي صلى الله عليه وآله والإمام والـمأموم أن يعظموا شعائره عزوجل، ولا شك أن مناسك الحج والذهاب إلى مكة والطواف والسعي بين الصفا والـمروة من شعائر الله وأوامره سبحانه وتعالى لا من صنيع هذا أو ذاك ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ﴾ [الحج: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

إن الشعائر الإلهية أمور يجب أن يعظمها علي عليه السلام، ولا يحق لأحد من الـمسلمين أن يُحقِّرها ويستهين بها إلا واضعوا هذه الزيارات!!.

لقد نص الله في القرآن بأنه عز وجل يرسل الـمعجزات أو يجريها على يد أنبيائه تصديقاً لهم، وإن الـمعجزة هي فعلٌ إلهي وليست من فعل الأنبياء، ولكن واضع هذه الزيارات يتكئ على رواية سهل بن زياد المغالي الكذّاب ويَخلق معجزة لعلي عليه السلام: «السلام على من رُدت له الشمس فقضى ما فاته من الصلاة». إشارة إلى قصة عليٍّ عندما أخَّر صلاة العصر حتى خرج وقتها ورد الله له الشمس حتى يُصليها في وقتها، ونحن قد رددنا هذه الرواية في الصفحات السابقة لكن واضع هذه الرواية -لأنه من الكذابين- خانته ذاكرته فلم يدر ماذا يَنسِج! فبدلاً من أن يكتب «أدى ما فاته من الصلاة» كتب «فقضى ما فاته»، هؤلاء لم يفكروا قط فيما يقولونه لأن العبارة

التي قالوها لم تؤد المطلوب الذي هم أرادوه وهو الصلاة في وقتها، ولكن واضع الزيارة أراد أن يقول: إن الشمس رُدَّت له أي أنها دخلت في وقت العصر الشرعي.

ثم يقول مخالفاً للقرآن: «السلام على من عنده تأويلُ المُحكَم والمُتشابَه وعنده أم الكتاب» بينما حصر الله عز وجل التأويل في المتشابه من الآيات، وأن المحكمات من الآيات لا تحتاج إلى تأويل. لكن واضع الزيارة سوَّى بين المحكم والمتشابه من الآيات في التأويل.

إن الله عز وجل قد خص نفسه بتأويل المتشابهات، قال علي عليه السلام: «واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً، وسمى تركهما لتعمق فيهما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً». نهج البلاغة-٩١.

وقد أشار علي في هذه الخطبة إلى هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل‌عمران: ٧].

فكما تلاحظون أن علياً قال أيضاً: إن الراسخين في العلم هم الذين يقِرُّون بعجزهم في تأويل المتشابَه من الآيات، وقد تدارسنا هذه المسألة في تفسير "قبس من القرآن".

قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

لكن هذا الأفّاك قال: «عنده أي علي عليه السلام أم الكتاب» أنه نسب أم الكتاب لعلي عليه السلام وتغاضى عن القرآن. ويقول أيضاً: «السلام على النبأ العظيم» فسمى علياً النبأ العظيم، ولعب بالقرآن لأن الله نصَّ في القرآن بأن أهل مكة اختلفوا في موضوع يوم القيامة ومنهم من أنكرها، فقال الله عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [النبأ: ١-٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: ١٨].

فنرى أن المراد بالنبأ العظيم يومُ القيامة. وقد قال الله عز وجل في سورة ص بعد شرح جهنم: ﴿قُلْ هو نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧-٦٨].

والجدير بالذكر أن سورة النبأ سورة مكية وفي ذلك لم يكن ثم اختلاف في علي عليه السلام قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: ٣].

وقال عليٌّ في الصحيفة العلوية في دعاء يوم الاثنين: «الحمد لله الذي عرّفني النبأ العظيم» فتبين أن واضعي الزيارات لا يعلمون عن القرآن ولا عن أحاديث علي عليه السلام شيئاً.

ويقول في هذه الزيارات: «السلام على مخاطب الثعبان على منبر الكوفة»، هؤلاء الغلاة زعموا أن ثعباناً خرج من مسجد الكوفة مرات ورفع رأسه وكلم علياً عليه السلام. ولا أحد يقول لهم أنه عندما دخل هذا الثعبان المدينة لماذا لم يهجم عليه الناس؟ ولماذا لم يمنعوه؟ هل كانوا يعرفون مسبقاً أنه يكلم علياً عليه السلام؟ لماذا لم يخف أحد ولم تتغير أوضاع المسجد؟

عصا موسى عليه السلام التي تحولت إلى ثعبان مرةً أو مرتين، أثارت ضجةً كبيرةً في العالم وكانت سبب إيمان السحرة، أما هذا الثعبان فلم يعلم به أحد ولم يَنقل خبره إلا هذا الأفّاك الكذاب؟ ولماذا كلم هذا الثعبان علياً؟ ما الفائدة من وراء ذلك؟ لو كان الهدف إظهار المعجزة فالقرآن كاف ولا يحتاج إلى معجزة أخرى. وعند ما طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معجزات من قبيل تفجير الينبوع ونبع الماء منها في سورة الإسراء، فقال الله عز وجل لنبيه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٦].

لأنه قد تحققت المعجزة بوجود القرآن، وأنهم اذا أرادوا الوصول إلى الحقيقة فعليهم بالقرآن الكريم والتأمل فيه.

ويقول في الزيارة ال٢٣: «السلام على أمين الله في أرضه وخليفته». إن الله عز وجل لا خليفة له إنما الخليفة لمن يموت، وإن الله عز وجل مُنزَّه عن مثل هذه الأمور، وإن الله لا مكان

له حتى يستطيع أحد أن يتصدى لأمور خلافته، ولا يمكن أن يُسلَّم لأحد مقامُ الله، ولا أحد يستطيع أن يؤدي عمل الله عز وجل.

وعندما قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

فالمقصود من الخليفة السابقون لأن الجن كانوا في الأرض قبل آدم عليه السلام، ولم يقل "خليفةً لي" أو "خليفتي"، وفَهِم الملائكةُ أيضاً لأنهم كانوا المخاطبين بأن الله عز وجل يخلق خلقاً آخر ويُسكنهم في هذه الأرض، ولعلمهم بما كان من الجن من سفك للدماء فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فكيف يقولون أنه خليفةُ الله، وهل يستقيم هذا مع سفك الدماء والإفساد في الأرض؟ وهلِ اللهُ- تَنزَّه عن هذا - سَفَّاكٌ للدماء ومُفسِد في الأرض؟ فيكون خليفتُه يتصدى لمهمة السفك والإفساد، ولأن الأمم كلها خلائف ولا أحد خليفة الله قال تعالى: ﴿وَهوٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿هو ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [فاطر: ٣٩]. ويُستفاد من هذه الآيات أن الله تعالى ليس له خليفة لا في الأرض ولا في مكان آخر، وأن علياً عليه السلام في الرسالة الواحدة والثلاثين من نهج البلاغة والتي أوصى فيها الإمام الحسن سماه "خليفة الأموات".

ورد في الزيارة أيضا: «السلام على صاحب المعجزات القاهرات والمنجي من الهلكات» كأن هذا الأفّاك تجاهل القرآن، لأن الله عز وجل قد نص في القرآن بأن رسوله لا يستطيع أن يأتي بمعجزة من عنده وأن المعجزة من الله لا من البشر. وأن الذين طلبوا المعجزة وكان النبي ﷺ يميل إلى ما طلبوا من معجزات غير القرآن لاستمالة قلوبهم إلى الإيمان، قال الله عز وجل رداً عليهم: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ

أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام: ٣٧].

وأن القرآن معجزة الله وأن منزله هو الله لا النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

ولوأن الأنبياء جميعاً اجتمعوا أن يأتوا بمعجزة لن يستطيعوا. قال تعالى في سورة الإسراء في معجزة صالح عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

وقال: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فهذا لم يكن من عمل إبراهيم عليه السلام ولما ألقى موسى عصاه وتحولت إلى جانٍّ هربَ، ولو كان هذا من عمل موسى لما هرب فقال تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ٢١].

إن نسبة المعجزات للأنبياء دلالة على أنها من الله وبدعاء من الأنبياء تصديقاً لهم، وأنهم كانوا يدعون فقط، فمثلاً: كان عيسى عليه السلام يدعو فيغير الله الطيرَ المصنوع إلى طير حقيقي ويحيى الموتى. قال تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ... وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل‌عمران: ٤٩].

فهذا المجلسي الذي أتى بهذه الخرافات والترَّهات في كتابه بحار الأنوار في المجلد السابع من الطبعة القديمة في باب نفي الغلُوّ، نقل عن الرضا عليه السلام أنه قال: "إن المعجزات ليست من عمل الأنبياء بل إنها من الله" فواضع والزيارات الذين يزعمون محبة الأئمة كأنهم لم يروا أحاديث الرضا عليه السلام، فأتوا بكلمات مخالفة للقرآن والعقل، لأن الله الذي خلق قوانين

الطبيعة وأوجد العلل والـمعلولات والأسباب والـمسببات، هو الذي يستطيع وحده فقط أن يخرق هذه القوانين، ويجرد العلل من أسبابها ويسلُب أثر الحرارة ويجعلها برداً وسلاماً، خالق كل شيء،خلق ناقة صالح وألان الحديد لداود عليه السلام. فكل الـمعجزات التي نسبها الغلاة للأئمة مخالفة للقرآن، وليس لها دليل من القرآن يَسندها وكلها كذب واختلاق، كالـمعجزات التي تنسبها كل فرقة إلى أكابرها في الدنيا، فكتاب "تذكرة الأولياء" للشيخ فريد الدين عطار النيسابوري من هذا القبيل الذي نسب الـمعجزات لعشرات من الصوفية.

وللأسف فإن هذه الخرافات لها أتباع متعصبون في شعبنا، ومن أراد – كالكاتب- أن يُنقذ الناس منها ويوقظهم، فإن الكلَّ يناصبه العداء ويتَّهمه بآلاف التهم، بل الداعي الـمتصدي لهذه الـمهمة يعرض نفسه وماله وعرضه للخطر، لأن هذه الخرافات لا يقبلها عاقل. ورأينا أن الشباب الـمثقف ينفرون من هذه الترّهات، ويفرون إلى الإلحاد. فمن هنا رأينا أنه من الواجب علينا بيان هذه الحقائق، وتحمل الـمشاق والتكاليف من الخرافيين في هذا السبيل، ونبتغي الأجر من الله. فليفعل بنا الـمتظاهرون بلباس العلم والورع ما شاؤوا والعاقبة لأهل التقوى والمتّقين.

ويقول في الزيارة أيضاً: «والـمنجي من الهلكات الذي ذكر الله في محكم الآيات» ولا شك أنه كذب كِذبة كبيرة وافترى على الله، لأن الله لم ينص على أن غيره منجٍ من الـمهلِكات، فلم يستح من الله، لأن الله عزوجل هو الـمنجي من المهلكات لا غيرُه، وإن الله قد أنجى الأنبياء قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ [هود: ٥٨].

وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا﴾ [هود: ٦٦].

وقال في موسى -عليه السلام-: ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ [طه: ٤٠].

وقال في نوح -عليه السلام-: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٦].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [يونس: ١٠٣].

وآيات كثيرة أخرى، لكن واضع الزيارة افترى كيفما شاء، ونقل دعاء الزيارة: «ليس وراء الله وورائكم يا سادتي منتهى» كما أن ذات الله لا يتناهى، فأنتم أيضاً لا يحدُّكم حد. ولا شك أنه بهذا جعلَ الأئمة في مقام الله في الأزلية والأبدية وإشراك الصفات. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَر ﴿٤٩﴾﴾[القمر: ٤٩].أي أنه لا مخلوق إلا وتنتهي حياته ورزقه وفاعليته.

في رأيي أن المسلمين كانوا نياماً وأن هؤلاء المنافقين كانوا مستيقظين، فاغتنموا الفرصة فنسجوا ما شاءوا مخالفين بذلك القرآن، وافترَوا الحديث والزيارة والدعاء وساقوا الناس إلى الشرك. ولا شك أنَّ وَضعَ الأحاديثِ بدأ في عهد الرسول ﷺ واستمر، قال علي عليه السلام: «ولقد كُذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». [نهج البلاغة-٢١٠]، فلهذه المسألة سابقة تاريخية تصل إلى أكثر من ألف سنة.

قال ابن طاووس ومقلِّدوه: "صلِ لكلٍّ من آدم ونوح وعلي ركعتين جمعاً أي ستَ ركعات". ولا يوجد أحد يسألهم من أين لكم هذه الصلاة؟ لماذا لا تأتون بدليل؟ ونقلوا عن رسول الله ﷺ أن من قرأ هذه الزيارة -وهي مليئة بالكفر- فأشفع له وأقضي حاجته مهما كانت وأعطيه مسألته. إن كل هذا مخالف لكتاب الله عز وجل! هل الرسول ﷺ قاضي الحاجات ومعطي السائلين؟ إن الله عز وجل قد حصر هذه الأمور كلها بنفسه، وفي بعض الأدعية كالجوشن وغيره اختصت هذه الصفات لله عز وجل قال علي عليه السلام: «أخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان... فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبوابَ نعمته».

أورد المجلسي في الباب الرابع والثلاثين زيارة طويلة مليئة بالمدح والإطراء وكلماتٍ ضد القرآن، وفيها أن الزائر تارة قد عرّف نفسه بأنه الحقير التافه المستحق للعذاب، وتارة عدّ نفسه من المتقين، ونرى أنه يكيل اللعن والطعن والتكفير والسب لأعداء الإمام، بينما قرون مضت وانصرمت ولا يوجد للإمام عدو، والمسلمون جميعاً يكنُّون الوِد والاحترام الكبيرين للأئمة عليهم السلام. ولاريب أن كتابة مثلَ هذه الزيارات لا يُهدف من وراءها إلا إحداث الفرقة بين المسلمين، إلا أن الذين ارتحلوا قبل ألف سنة ونيِّف لا يفيدهم سلام ولا إظهار محبة ولا يضرهم طعن ولعن. وفي هذه الزيارة سمَّوا الإمام وارث الأنبياء والمرسلين وجعلوه فوق منزلة الأنبياء، مع أن الأئمة قد نهَوا عن مثل هذه الأفعال الشنيعة والغُلُو، وما كانوا معجَبين بأنفسهم. قال علي عليه السلام في وصيته للإمام الحسن: «واعلم أن الإعجابَ ضدُّ الصواب وآفةُ الألباب».

وفي الزيارة الثامنة والعشرين وَرَد: «اللهم واجعلنا له سامعين مطيعين، ووزراء مناصحين ورفقاء مصاحبين». أنه ظن أن الإمام موجود في الدنيا ويريد أن يكون وزيراً للإله يسلِّمه إدارة أمور العالم الممكنة، نعوذ بالله من الجهل. ثم يصل إلى قمة الغلو«السلام على نفس الله تعالى» هل هناك غلو أعظم من هذا؟ في بقية الزيارات جعلوا الإمام عين وأذن ويد ووجه الله عز وجل، ولكنهم في هذا الزيارة جعلوه الله نفسه ونحن نعوذ بالله من أي غلو، ونتلو رداً على خرافاتهم وترهاتهم هذه الآية: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤٣﴾ [الإسراء: ٤٣].

والعجيب أن المجلسي ينقل هذه الزيارة دون سند صحيح فيقول مثلاً نقلت عن كتاب قديم أو أخذتها من مصباح شيخ.

يقول في هذه الزيارة «أشهد أنك مُجازي الخلق» هنا أكمل نِصاب كفره. قال الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [آل‌عمران: ١٣٦].

وقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

وقال: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ: ٣٦].

وقال: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

وقال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البينة: ٨].

لكن هذا المغالي اللاديني يجعل الإمام مجازياً للخلق. ألـم يقرأ قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الإنفطار: ١٩].

ومن الخرافات أيضا في هذه الزيارة أن يدَّعيَ أن الشر والخير بيد الإمام، ويشكرَ الإمام ويَعدُّه حافظاً من نار جهنم وكافلاً لأمور الدنيا والآخرة ومنجياً له. مع أن الله عز وجل يقول لنبيه ﷺ وإن علياً أحد أفراد أمته: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وقال: ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: ٦].

ورد في هذه الزيارة «فأنت سامع الدعاء وولي الجزاء»، فيستفاد من هذه الزيارة أنّ مَن يدع وفي الأرض وفي السماء ويقول يا الله، يستطيع أن يقول يا عليُّ أيضاً مع أن الله يقول: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل‌عمران: ٣٨].

وقال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [ابراهيم: ٣٩]. وقال الإمام السجّاد في دعائه الحادي والخمسين من الصحيفة السجادية: «وجدتك لدعائي سامعاً». هؤلاء أرادوا أن يدوسوا كلَّ ما قرره القرآن، لأن الـمنصوص عليه في القرآن: مَن دعا غيرَ الله أشرك: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

وقال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

ومئات من الآيات التي تدل على أنه يجب ألا يُدعى غيرُ الله، ومن دعا غيرَ الله أشرك.

وفي الزيارة الثلاثين جعل علياً عليه السلام نبياً ورسولاً «السلام عليك يا وارث إبراهيم الخليل في نبوته ويا وارث موسى الكليم في رسالته». ما سمعنا أن النبوة والرسالة تُورَّثان! أما الغلاة ففقدوا عقولهم، والعجيب أن المجلسي وسائرَ الرواة يرددون مثل هذه الخرافات المكفِّرةِ دون انتقاد أو مخالفة لها. إن المجلسي نقل معظم الخرافات من هذه الزيارات من كتاب محمد بن المشهدي باسم «المزار الكبير»، الذي لا يُعلم هل هو عابد لله أم عابد للإمام؟ هذا هو الذي أتحف الشيعة بدعاء النُدبة. وأنا في رسالة دراسة دعاء الندبة، قد نقلت بعضاً من الكلمات المخالفة للقرآن ونقدتها. ويقول في الزيارة الثانية والثلاثين إذا وصلتَ إلى المزار فقل: «أشهد أنك تسمع صوتي، أتيتك متعاهداً لديني وبيعتي» هو يريد بهذا الدعاء أن يعود الإمام بعد ألف سنة إلى الدنيا حتى يبايعه هو.

ثم يقول في الزيارة: «لا يخيب من ناداكم» بينما يقول زين العابدين الإمام السجاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة: «الحمد لله الذي لا أدع وغيره، ولو دعوت غيرَه لخيَّبَ دعائي [لم يستجب لي] والحمد لله الذي لا أرجو غيره، ولو رجوت غيره لأخلف رجائي» ويقول في الصحيفة السجادية: «الحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه» أي أن رجائي ومسألتي ودعائي متوجه إليك، ويقول: «لا يَشرُكُك أحد في رجائي، ولا يتفق أحد معك في دعائي، ولا يَنظُمه وإياك ندائي» و«أدعوك فتجيبني... فلا أدع وسواك ولا أرجو غيرك» والقارئ الآن مخير بين دعاء الإمام السجّاد، أو قبول دعاء محمد بن المشهدي المصطنع المفتعل.

وفي الزيارة جملة تشير إلى أن ناسجها كان يَعُد علياً من الأنبياء، لأنه يقول فيها. «السلام على سفير الله بينه وبين خلقه»، بينما السفارة الإلهية مختصة بالأنبياء عليهم السلام.

وجدير بالإشارة بأن هناك فرقة في التاريخ اسمها المفوِّضة، تعتقد بأن الله خلق الخلق وسلّم أمورَه وتدبيرَه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهما يدبران الآن أمور العالم. والأئمة عليهم السلام في أحاديث كثيرة كفّروهم ولعنوهم، ومنهم ناسج هذه الزيارة الذي يقول: «وفوّضَ إليكم الأمور وجعل إليكم التدبير» وقد اجتمع في هذه الزيارات نماذجُ من كل الخرافات.

إن الله قد نص في القرآن أنه سخَّر هذا العالم ليستفيد منه المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].

يقول في الزيارة: «وأعطاكم المقاليد وسخَّر لكم ما خلق». ما أكذبه وما أفضحه! هل الله عز وجل سلم مفتاح العالم، وقد تخلَّى هو نفسه عن كل عمل؟ نعوذ بالله.

والقرآن يُفنِّد زعمهم: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: ١٢].

ولا أدري أيُّ مرض أصاب هؤلاء الوضَّاعين، يريدون أن يتخلَّى الله عز وجل عن أعماله، ويتصدَّى لكل مَهامِّه الإمام الذي إذا ما أكل أو ما تنفس مات.

يقول في هذه الزيارة: «إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» هذه الجملة تخالف القرآن مخالفة صريحة، وسوف نبين مخالفتها في دراستنا للزيارة الجامعة.

ثم يقول للإمام في هذه الزيارة: «عليكم الاعتماد يوم المعاد» بينما يقول الله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الإنفطار: ١٩].

وفي هذه الزيارة خصّ الآيات المتعلقة بالأنبياء، والملائكة، بالإمام، يقول: «يا من اصطفاهم أنتم السفَرة الكرام البَرَرة، يا عيون الله في خلقه». وهل الله عز وجل بحاجة إلى عين

من البشر يطلعه على أحوال الخونة؟

وقد نهى الله عز وجل رسوله وأمته عن التجسس قال: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]. فكيف يمكن أن يكون الإمام جاسوساً؟ أليس هومن المكلفين؟

ثم يقول: «واحشروني في جملتكم واحرسوني من مكاره الدنيا والآخرة» أي أنه جعل الإمام حارساً وحافظاً لنفسه، بيد أن هذا المسكين لم يتلو القرآن الكريم لأن الله يقول لرسوله ﷺ مكرراً: ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [هود: ٨٦ والأنعام: ١٠٤].

والعجيب أن المجلسي والشيخ عباس القمي وأمثالَهم، يَروون صلاةً عن « حسن مثله جمكراني» – مجهول الحال– وأتبعوها بدعاء يقال للناس أن يقرؤوه بعد صلاة "السيد"– ونحن ننقله من مفاتيح الجنان – ومن كلمات هذا الدعاء «يا محمد! يا علي! احفظاني فإنكما حافظاي وانصراني فإنكما ناصراي، يا محمد! يا علي! اكفياني فإنكما كافياي» وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [التوبة: ١١٦].

ويقول: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥].

ويقول: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦].

أي أنك لست حافظاً للناس. أما هؤلاء المشركون فيريدون غيرَ الله أن يكون حافظاً ووليّاً وناصراً لهم، ولو أردنا إحصاء ما في مفاتيح الجنان من كفر وخرافات، فعلينا أن نكتب كتاباً مستقلاً. فمن يقرأ في الزيارة مثلاً: "واحشروني في جملتكم" ألا يدرى أن الحشر والنشر لله عز وجل كما قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هو يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٢٥﴾ [الحجر: ٢٥].

فلا شك أن تقديم الضمير "هو" على فعل الحشر يدل على الحصر، ولا شك أيضاً أن الأنبياء والأئمة لا يعلمون وقت الحشر والنشر ويوم القيامة، فضلاً أن يحشروا أحداً. قال

تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

ولا شك أن الشعب الذي يجهل كتابه السماوي، تَروج فيه أسواق الكفر والخرافات.

وفي الزيارة الرابعة والثلاثين خرافات ومنها «حجة رب العالمين على الأولين والآخرين، وملجأ ذوي النهي، ويا شجرة النداء وصاحب الدنيا، والحجة على جميع الورى، وباب الله وعتبة غيب الله، ومجلي إرادة الله وموضع مشية الله، وأول من ابتدع الله والحجة على جميع من خلق الله، أيها النبأ العظيم والذكر الحكيم، وأيها الحبل المتين، ومرشد البريات وعالم الخفيات، ويا صاحب العمل المخزون وعارف الغيب المكنون، وعالم بما كان وما يكون، مثيب أوليائه يوم الحساب، ومهلك أعدائه بأليم العذاب، وقاصم المعاندين الأشرار، وعالم السّرّ وأخفى، أيها النازل من عليين ومهلك من طغى من الأولين، يا سامع الأصوات، يا من حظي بكرامة ربه فجلَّ عن الصفات واشتُق عن نور...». كلمات كلها كفر وشرك ومخالفة للقرآن، وقراءتها حرام والاعتقاد بها إنكار للإسلام، وليس ببعيد أن يَتوسَّل مُخادع لإثبات هذه الترَّهات إلى أخبار لفَّقها الغلاة والمشركون. ومن البديهي أن روايات هؤلاء الأفراد لا يعتمد عليها.

ومن الكفر الوارد في الزيارة أن واضع الزيارة قد نسب صفات الله إلى الإمام، قائلا: «كَلَّ يا مولاي عن نعتك أفهام الناعتين، وعجز عن وصفك لسان الواصفين، كيف أصف يا مولاي حسن ثنائك، والأوهام عن معرفة كيفيتك عاجزة، والأذهان عن بلوغ حقيقتك قاصرة»، لاحظوا أن عد وعلي عليه السلام يمدح الإمام كما يمدح الإمام ربه عز وجل، وأنه لا يُدرَك كما لا يُدرَك الرب. وانظروا كيف أن الإمام عليه السلام يصف ربه كما يصف المغالي الإمامَ: «الحمد لله

الذي لا يبلغ مدحتَه القائلون، ولا يحصي نعمائَه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوصُ الفَطِن» فهل صدقاً واضع هذه الزيارة من محبي علي عليه السلام؟ لأنه يتحدث بما يخالف تعليمات الإمام، ولو أردنا أن نبين مدى مخالفة هذه الكلمات للقرآن الكريم فلا شك أن الأمر سيطول. وهنا ندرك لماذا أن الفرق الإسلامية تنسب الشيعة الإمامية الرافضية إلى الشرك، والجواب: للمطالب الواردة في كتب وزيارات الشيعة.

والآن نعقد مقارنة بين كلمات من الزيارات وبين تعاليم القرآن الكريم:

يقول الجاهل: "يا إمام أنت حُجة رب العالمين على الأولين والآخرين، أي أنت حجة على الذين عاشوا قبلك وعلى الذين يأتون بعدك إلى يوم القيامة ولم يروك ولم ترهم". أي أنت حجة على جميع الأنبياء والمرسلين فكيف يمكن أن يكون الإمام حجة على السابقين؟ وهذا لايفهمه إلا هذا الجاهل.

ويقول: "أنت ملجأ ذوى النهى". ويقول الله عز وجل: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

ويقول الجاهل: «ويا شجرة النداء» بينما الشجرة لم تنادِ ولم تنطِق، بل إن الله عز وجل هو المنادي والناطق، ويقول: "وصاحب الدنيا". والله نص على أن الدنيا لله واختيار الأنبياء والأولياء بيد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: ٤٩].

يقول: ﴿ قُل... وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠ وهود: ٣١].

يقول الأفاك: أنت "مجلِّي إرادة الله"، ويقول الإمام الكاظم «إرادة الله هي الفعل لا غير ذلك». وأن الإرادة لا ذهن لها ولا مرآة ولا ظرف له ولا حقيبة.

يقول المفتري: "وأول من ابتدع الله والحجة على جميع من خلق الله"، وأما علي عليه السلام فيعتبر الأنبياء جميعاً الحجة، قال: «بعث رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه،

لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعذار إليهم» ويقول في حجية القرآن «أنزل عليكم الكتاب تبياناً لكل شيء... فألقى إليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة» أي أنه كافٍ، وقال: «أرسله بحجة كافية» وقال: «صامت ناطق، حجة الله على خلقه»، ثم يقول المفتري: أيها النبأ العظيم والذكر الحكيم بينما نص الله عز وجل أن القرآن هو الذكر الحكيم لا الإمام الذي هو تابع للقرآن قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾ [آل‌عمران: ٨٥].

ولكن هذه المفتري لا يرفع إلى القرآن رأساً: يقول الأفَّاك: "يا حبل الله المتين" فلا أدري كيف يجعل الإمام حبل الله المتين وهو غير موجود في الدنيا ويريد أن يتمسك به. قال الإمام عندما حضرته الوفاة «غداً مفارقكم» ولو عاش في الدنيا ووجد مثلَ هؤلاء المفترين، لطبَّق عليهم أحكام المشركين.

يقول المفتري "ومرشد البريات وعالم الخفيات" ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ [الأعلى: ٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ [آل‌عمران: ٥].

وقال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧].

يقول هذا الجاهل للإمام (الذي كان يجهل خيانات بعضِ وُلاته): «أنت عينه الحفيظة التي لا تخفى عليها خافية». والله إن الإنسان ليخجل عندما يكتب مثل هذه الخُزَعبلات، فكيف كتبها المجلسي وغيره الذين يدعون العلم، أفلا يعلمون أن الله قال لرسوله ﷺ: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠١].

أما الجُهَّال فيزعُمون أن الإمام يعلم بما كان وبما يكون!! هذه الزيارة مليئة بالأباطيل.

والعجيب أنه نقل في باب (زياراته المختصة منها زيارة يوم الحادي والعشرين) من قول الخضِر –وهو غير موجود– زيارةً قد تم نقلها في البحار والكافي، أن في اليوم الحادي

والعشرين أتى الخضر وقرأ للإمام زيارةً، بينما ينص الله عز وجل أن الأنبياء والأولياء قبل رسول الله ﷺ توفوا جميعاً قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

فكلهم ماتوا قبل النبي ﷺ، أما هؤلاء الأفَّاكون كالصوفية الذين ورثوا كذبا الخلعة من الخضر. فأخذوا زيارة منه!!!.

ثواب الزيارة في عيد الغدير وسائر الأوقات وزيارة السيدة المعصومة:

في هذا الباب وسائر الأبواب روَوا زياراتٍ غارقةً في الغُلو، ولم يكتبوا جزءاً منها في زيارة الإمام أو الرسول ﷺ في حياتهم.

وكيف تكون زيارة القبر أفضل من زيارة الإمام نفسه؟ وهل المقبرة أعظمُ منزلةً من الرسول ﷺ؟ وكيف أنه في حياة الرسول ﷺ بناته وأزواجه وإن كُنَّ في حالة نفاس أوحيض، كُنَّ يَلزمن رسولَ الله ﷺ والإمامَ في بيوتهن أو مضاجعهن، أما اليوم وبفتاوى من الخرافيين أن الجنب والحائض يحرم عليها زيارة القبور؟ ولا ندرى متى نزلت هذه الأحكام!! عليهم؟ ألم يفهموا قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].وأيضاً لم يكن في زمن الرسول ﷺ والأئمة مراقد مزخرفة حتى تنزل عليها مثل هذه الأحكام، فلا بد أنها نزلت من الشياطين في زمن سلاطين الجور.

لا يعنى احترام الأئمة أن تنسجوا أحكاماً غيرَ إلهية وتلوثوا أنفسكم بالإثم، فعلى الفقهاء أن يضعوا هذه الآية الكريمة نُصب أعينهم دائماً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦].

روَوا في زيارة قبر السيدة فاطمة المعصومة في قم، عن الإمام الصادق أنه قال: «من زار فاطمة بمدينة قم، فله (وجبت له) الجنة». لا ندري لماذا لم تتسبب زيارة الأئمة والأنبياء في حياتهم في وجوب الجنة لزائريهم؟ وأما اليوم فإن زيارة قبر أحد أحفادهم توجب دخولهم الجنة، فهل قبر سيدة أفضل من الأنبياء والأولياء جميعاً؟. وهل كان من يلاقي موسى بنَ جعفر في حياته، يستحق الجنة وجوباً؟

كل هذا دليل على أن الجُهَّال والأفاكين قالوا وافتَروا ما شاؤوا ونسبوا إلى دين الله عز وجل ما أرادوا. مثل هذه الأحاديث الكاذبة هي المتمسك لكل عاص وآثم ومسيئ، يَزورون مقابر الأئمة ويُسَرُّون بها، وبهذا زُخرفت هذه المراقد بالذهب والفضة وارتفعت قببها ووُقِفَت بساتين ومزارع ودكاكين ومنازل وأراضي شاسعة، ودخلت ملايين الدراهم والدنانير إلى بطون المفسدين، باسم المتولي أو الناظر أو هيئة الأمناء وسائر الظالمين. ولو أن السيدة المعصومة عادت إلى الحياة لكفاها لقمة غداء تسد بها جوعتها، ولم تحتج إلى هذه الأموال الطائلة بل وتبرأت من هذه الزخارف. وحال سائر المراقد لا يقل سوءاً وافتضاحاً من هذا المرقد...

كتبوا في زيارة الغدير: «وفي مدح الله تعالى لعلي غنىً عن مدح المادحين وتقريظ الواصفين» فالسؤال لو كنتم تُصدِّقون مثل هذه الكلمات فعلا وتقبلونها، فلماذا تمدحونه في عدة صفحات؟ وأيضا أن الله لا يمدح فرداً أو أفراداً إلا اذا تحلوا بصفات حميدة. ورد في نهج البلاغة في باب الحِكَم عندما ذهب الإمام إلى الشام فزار الأنبار، نزلوا من خيولهم احتراماً له فغضب الإمام وقال: "ما هذا الذي صنعتموه". [نهج البلاغة- الكلمات القصار- ٣٧] وفي الكوفة عند ما أراد شخص باسم حرب أن يمشى راجلاً والإمام راكب على فرسه، لامه الإمام وقال: «ارجع فإن مشى مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن». [نهج البلاغة- الكلمات القصار-٣٢٢] وعندما مدحه جماعة في حضرته قال: «اللهم إنك أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون». [نهج البلاغة- الكلمات القصار- ١٠٠].

في زيارة الغدير -لإثبات خلافة الإمام وأنها حكم إلهي- نقلوا كلماتٍ لم يقلها الإمام ولم يستدل بها في أول أيام خلافته يقول من على منبره: "الأمير من جعلتموه أميراً" ولو أن الله اختاره لوجب عليه إظهاره أنا الإمام المنصوب من الله. لكنه لم يفعل هذا بل كان يُظهر عدم

رغبته فيها: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها». [نهج البلاغة- خطبة – ٢٠٥] وقال: «دعوني والتمسوا غيري... وأنا لكم وزير خير لكم من أمير». [نهج البلاغة- خطبة – ٩٢] وقال: «إني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني». [نهج البلاغة- خطبة – ٥٤] وقال: «تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها». [نهج البلاغة- خطبة-١٣٧] وقال: «مددتموها فقبضتها... حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووُطِئ الضعيف». [نهج البلاغة- خطبة -٢٢٩] وكذلك في خطبه ٣٤ و٣٧ و١٣٦ ومكاتيبه وغيرها قد استدل بخلافته ببيعة الناس ولم ير نفسه منصوباً من الله، وفي المكتوب السادس من نهج البلاغة وعشرات الأحاديث فوّض أمر الخلافة إلى المهاجرين والأنصار.

استدلوا لإثبات خلافة علي بهذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

فنسأل ألم يقل الله عز وجل: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فنسأل هل بلغ النبي ﷺ ما أُنزل إليه أم لا؟ إذا كان قد أبلغه فأين هذه الآية المذكورة في القرآن وأي آية هي؟ لو أن ما أُنزل كان في موضوع خلافة علي فلماذا لم يأت في القرآن مثل هذه الآية؟ ولم يُذكر الموضوع في عقب هذه الآية نفسها؟ هل يعتقدون -معاذ الله- أن النبي ﷺ لم يُبلغ الآية المذكورة؟ لأن في الآية ليس ذكر للخلافة وأن ما بعدها وما قبلها من الآيات كلها متعلقة باليهود والنصارى. ولماذا لا نعتبر الآية التي بعدها التي ابتدأت بكلمة "قل" موضوع (ما أُنزل)؟ لأنها تتناسب مع الآية السابقة والآيات التي قبلها لأن موضوع الآيات أهل الكتاب، وفي آخر الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ لذلك فإن هذه الآية ليست خطاباً لأصحاب النبي ﷺ لأنهم لم

يكونوا كفاراً، ولو قال شخص إنهم كانوا كافرين فمن أين نعلم إن كان هذا القائل يؤمن بالقرآن والإسلام؟ وهل الله عزوجل يصف الـممدوحين في القرآن بالكفر دون حجة وبرهان؟

كيف يمكن أن يخاطب الله عز وجل عدة آلاف من الصحابة من الـمهاجرين والأنصار الذين جاهدوا مع النبي ﷺ وذهبوا معه إلى الحج أن يقول لهم "كافر" بدل "تقبل الله" وهو الإله الذي أنزل هذه الآيات في مدح الـمهاجرين والأنصار.

وكذلك لماذا أنزل الله حكم الكفر قبل إبلاغ الـموضوع؟ فلو أنَّ تصوُرَ مدعي الولاية كان صحيحاً لناسب إنزال هذا الخطاب بعد إنكاره وعدم قبول مسألة الولاية، أي أنهم كانوا كافرين بعد إبلاغ الـمسألة وعدم قبولهم لها لا قبلها. وأن من لم يقبله فهو في عداد الكافرين، بل إن الآية دون إشارة إلى الـموضوع تَعُدُّ أناساً من الكافرين لأن الخطاب موجه إلى أناس كفروا لأسباب أخرى إقامةً للحجة عليهم أو إظهارا للخصومة أو غير ذلك من الـمقاصد ولو أدخلنا الصحابة في حكم هذه الآية السابقة لأصبحوا كفاراً قبل إبلاغ موضوع الخلافة والحقيقة أنهم لم يأتوا بشيء استحقوا الكفر بل على العكس من ذلك أنهم ممدوحون في القرآن فكيف يمكن أن يبدأ القرآن خطابه بكفرهم؟

وعندما قال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فهل هؤلاء الكافرون هم أصحابه ﷺ؟ وهل كان رسول الله ﷺ يُحِسُّ بخطر من أصحابه كاليهود والنصارى؟

أكثرُ أصحابه هم من الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيله، فهل كان يوجِس منهم خيفة ويَهابُهم؟ لوكانوا منافقين فلماذا عاش النبي ﷺ بين أظهرهم؟ وكان يُجلُّهم ويؤاكلُهم، بل وولَّى بعضهم كأبي بكر مثلاً إمامة الصلاة، فلا ريب أن موضوع الآية لا يتناسب مع ما يدعيه الـمدعون، ولو كانوا من أهل النفاق فلماذا أثنى عليهم علي عليه السلام، ألـم يسمعوا ما قاله: «لقد

رأيت أصحاب محمد ﷺ قد باتوا سُجَّداً وقياماً، يُراوحون بين جباههم وخدودهم، ويَقِفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعز من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتلَّ جيوبهم». [نهج البلاغة- خطة – ٩٧] وقال: «هم والله ربّوا الإسلام كما يُربّى الفُلو مع أغنامهم، بأيديهم السباط وألسنتهم السلاط». [نهج البلاغة- الكلمات القصار- ٤٦٥] أي أنهم خدموا الإسلام.

وقد أثنى عليهم زين العابدين في الدعاء الرابع من الصحيفة السجادية، ودعا لهم ومدحهم وعَدَّهم من المهتدين. وهذا الدعاء المذكور قد دعا به لأصحاب النبي ﷺ في مناسبات مختلفة كدعاء يوم الثلاثاء في مفاتيح الجنان، وقد عدهم المنتجبين وصلى عليهم ونحن نضرِب صفحاً عن هذه الأدعية لأن آيات القرآن صريحة وواضحة في مدحهم.

في هذه الزيارة قد أُشير إلى آية التطهير من سورة الأحزاب، وعُدَّت الآية دليلاً على الأفضلية أي أنهم أفضل من الأنبياء فنسأل لو كانت جملة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. دليل العصمة والأفضلية فالمؤمنون جميعاً أهل العصمة والفضل لأن الله قال للمؤمنين في الوضوء ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

ولكن الطهارة المراد بها في سورة الأحزاب/ ٣٣ وسورة المائدة/ ٦ الطهارة التشريعية والقانونية أي أن الله قد طلب من المؤمنين جميعاً تشريعاً وقانوناً الطهارة، وأراد أن يتطهروا بمحض إرادتهم، وهكذا في سورة الأحزاب في آية التطهير، وليس المراد بها الطهارة التكوينية. ولو كان المقصود الطهارة التكوينية فمعناها أن الله أراد لهم هذه الطهارة، فهم معصومون ذواتاً وهذا لا يدل على الفضل، لأن الأشجار والأحجار كلها معصومة ذاتاً فالمقصود من الطهارة، الطهارة التشريعية وأن الله طلب من الجميع خصوصاً أهل بيت الرسول ﷺ أن يتطهروا أي أمرهم بهذه الطهارة، لأن الواجب عليهم أن يحافظوا على

طهارتهم الـمادية والـمعنوية حفاظاً على بيت النبي ﷺ، وليس في الباب روايات صحيحة السند أيضاً.

يقول بعض الخطباء إن القصد من وراء مثل هذه الزيارات تعريف الأئمة للناس، وترغيبهم في طريقهم، لكن يجب أن يعلموا أن هذا العمل قد نهى عنه الإمام الصادق عليه السلام، وأن الكليني قد روى عدة روايات عن الأئمة أنهم قالوا:"دعوا الناس لا تدعوهم إلى هذا الأمر أي الإمامة" والدليل واضح لأن الإمام تابع للدين لا لنفسه، ويجب أن يدعوالناس إلى الدين. ومن الروايات رواية ثابت بن أبي سعيد «قال لي أبوعبدالله: يا ثابت ما لكم وللناس كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم... كفوا عن الناس، ولا يقل أحدكم أخي وابن عمي وجاري... إلخ». [الكافي ج ٢، ص ٢١٣].

زيارة يوم السابع عشر من ربيع الأول

روى المجلسي في هذا الباب زيارة بعنوان الزيارة التاسعة عن الإمام الصادق، وهذه الرواية مرسلة ودون إسناد وفيها جمل كثيرة مخالفة للعقل والقرآن والوقائع التاريخية، ومنها جملة: «السلام عليك يا وصي الأوصياء». والتاريخ والعقل والحديث، كلها شاهدةٌ على أن الإمام لا هو وصيٌّ خاتم الأنبياء ولا غيره. ومنها «السلام عليك يا من عنده عِلم الكتاب»، وقد قلت في تفسيري المختصر"قبس من القرآن" في ذيل آخر آية من سورة الرعد، إن المراد بمن عنده علم الكتاب علماء اليهود والنصارى، لأن كُتُبَهم أخبرتْ عن رسالة النبي ﷺ وهذه شهادة عشرات الآيات من القرآن الكريم. ومنها «أيها المتصدق بالخاتم في المحراب» أولا: لم يكن في زمن النبي ﷺ محراب أن يأتي شخص ويتصدق[1]، وأول من وضع المحراب هو معاوية. ومنها «السلام على نور الأنوار... مستنقذِ الشيعة المخلصين من عظيم الأوزار» كلمة نور الأنوار من نسج خيال فلاسفة الشرك في اليونان، وإن هؤلاء الغلاة قد تعلَّموها منهم، لأنهم كانوا يقولون: لا يصدر من الواحد إلا الواحد لأن الكثرة ليست في ذاته فهو مصدر الواحد، وهو العقل الأول أو نور الأنوار، وهذا مخالف للقرآن قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

إن الله ليس بمصدر ولا يصدر عنه شيئ، لا واحد ولا كثير، بل هو منشئ الموجودات من العدم، لان الله ليس له خارج ولا داخل حتى يصدر عنه شيء، لأن من لوازم الصدور التركيب، فنرى أن هؤلاء الغلاة تلقَّفُوا أيَّ كفر من أي مكان، ونسبوه إلى الإمام وحقنوه في أذهان المسلمين. أما جملة «مستنقذ الشيعة المخلصين من عظيم الأوزار». فلن نسأل كيف

١- راجع كتاب "طريق الاتحاد" للأستاذ قلمداران.

يقترف الشيعة الخُلَّص المخلصون المعاصي؟ فهل من يرتكب المعاصي هو شيعي مخلص وهل علي عليه السلام إمام الفاسقين والفاجرين؟ نعوذ بالله أو هل إطلاق مثل هذه الكلمات على علي عليه السلام من قبيل المدح أم الذم؟ وما يدريكم أن علياً ينقذ من يرتكب الذنوب الكبيرة، وقد قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]. أي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع أن ينقذ أحداً من العذاب فكيف يستطيعه علي؟ وهل منزلة علي محصورة في إنقاذ الفاسقين؟ فالإمام الذي كان يخاف في أدعيته من الله عز وجل، وكان يبكي خوفاً من العذاب ومن يوم القيامة، لن يكون قطعاً سمساراً للآثمين لأنه برئ منهم، وهو إمام المتقين لا إمام أهل الأوزار والكذابين.

يقول في الزيارة: «يا ولي الله إن بيني وبين الله عزوجل ذنوباً قد أثقلت ظهري...» ونقول جواباً له: قال تعالى: ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

و﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧].

وقال علي عليه السلام: «ألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك... آمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك» والمعقول هو أن يتوب الإنسان عن ذنوبه قال علي «لا شفيع أنجح من التوبة» إذا رغبت في الله فتب إليه وأدِ حق الله عليك واعلم أنه لا أحد يدافع عنك عند الله عز وجل. كتب علي عليه السلام إلى مالك الأشتر كما ورد في نهج البلاغة «أمره بتقوى الله واتباع ما أمر به في كتابه، من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها» والإمام ليس في قبره أو بين ضريحه فضة وذهب، لقد ارتحل عن الدنيا وودع أهلها ولا يعلم شيئا عن فتنتكم وفسادكم. فلا تكونن من العاطلين ولوكان الإمام حاضراً لما عرف أنك تكذب أم تصدق؟ لأنه لا يعلم أحوال القلوب وما تضمره إلا الله عز وجل وأن الإمام برئ من أهل الفسق والفجور وهو مخالف لمن باع الدين بالدنيا.

ورد في الزيارة: «فاجعلني يا مولاي من همك وأدخلني في حزبك» الجزء الأول منها غير مفهوم، والجزء الثاني إذا كان المقصود منه الحزب الإلهي، فعلى الأنسان أن يختار بمحض إرادته، ويتبع تعاليم شرع الله ويُدخل نفسه في زمرة الحزب الإلهي، لا أن يأتيَ الإمام ويُدخلَه فيه. وفي الزيارة «يا ولي عصمة الدين» وهذه الجملة لا تؤدي مفهوماً واضحاً.

وأشار المجلسي والآخرون في هذه الزيارة، إلى الصلاة التي يصليها الإنسان ست ركعات لعلي وآدم ونوح لكل واحد منهما ركعتان. ولا ريب أن مثل هذه العبادة لم يشرِّعها الله ولا رسوله ﷺ، ولا نعلم كيف وضع هؤلاء السادة مثل هذه العبادة!!وهم يعرفون أن العبادة مبناها التوقيف ومنوطة بإذن الشرع، فكيف جاؤوا بمثل هذه الصلوات؟ ولو أن الشرع أجازها فكيف غابت إلا عن الكذابين والمجاهيل؟

زيارة ليلة الـمبعث ويومه

روى الـمجلسي والـمفيد وابن طاووس والشهيد والشيخ عباس القمي، زيارات وآداباً في ليلة الـمبعث ويومه، عن الرواة الكذابين، مثلاً: إذا وصلت إلى باب القبة الشريفة فقف وقل كذا، ثم أدخل القبر واستقبل الضريح وقل كذا. ولا شك أن كل هذا لا أصل له من الكتاب والسنة بل هو بدعة محضة. قال علي: «السنة ما سنَّ رسولُ الله، والبدعة ما أُحدث بعدَه» والبدعة ما استُحدث بعد رسول الله ﷺ، وهذه التوجيهات ليست من الله ورسوله ﷺ، لأنه لم يكن هنالك قبة ومزار في زمنه ﷺ.

ويقولون إن ليلة البعثة ليلة ٢٨ من شهر رجب، ودليلهم شهرة القصة واستفاضتها لدى الشيعة، بينما الشهرة ليست من أدلة الشرع، خاصةً إذا كانت تخالف القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾ [الدخان: ٣].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر: ١].

وقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فيستفاد من مجموع هذه الآيات، أن بداية نزول الوحي ونزول القرآن، شهر رمضان وليلة القدر وليلة البعثة ليلة القدر، ولأن هؤلاء السادة يعملون بقاعدة: "خذ ما خالف العامة" والـمراد بالعامة الـمسلمون أي أهل السنة، فيصرون بأن للقرآن نزولين أولاً: الدفعة الواحدة وثانياً: النزول التدريجي، ويقولون إن معنى "إنزال" غير التنزيل، حتى ولو كان كذلك فهذا لا يدُّل على منع استعمال "إنزال" بمعنى "تنزيل" أو العكس. وقد استخدم لفظ "إنزال" في القرآن في إنزال الـمطر، ولاشك أن الـمطر يتواصل نزوله على وتيرة واحدة وهذا مما يمنع أن

نقول أن معنى "إنزال" يختلف دائماً عن معنى "تنزيل"، ولا يمكن أن نستخدم أحدهما مكان الآخر، وبهذا الدليل العليل يمكن القول بالنزولين للقرآن الكريم...

إن المجلسي عندما يذكر كلماتٍ كثيرةً في وصف الزيارة، يعقبها بأنه غير مطلع على سند هذه الزيارة ولكنها موجبة للأجر الكثير. كيف أضافوا هذه الآداب المفتقرة إلى دليل وسند إلى الدين؟ ولا أدري كيف توجب أعمال غير مسندة هذا الأجر الكثير؟ فهل الوقوف لساعتين أمام قبر وبخشوع وأنت تمدح صاحبه -رغم أن الإمام قد نهى عنه- له فائدة ومثوبة؟ إنه لا يُجنى من وراء هذه الزيارات إلا الطعن واللعن لكثير من الخلفاء وسائر المسلمين وإيجاد الفرقة والبغضاء وتسلط الأعداء عليهم.

يقول فيها لعلي عليه السلام: «أيها الصدِّيق الأكبر والفاروق الأعظم» لأن أهل السنة يقولون لأبي بكر الصديق ولعمر الفاروق. فهذا الأفاك البغيض أراد أن يطعن فيهم بقوله علياً هو الصديق الأكبر وهو الفاروق الأعظم. ولاشك أن مثل هذه الأعمال الشنيعة توجب البغضاء والحرب والجدال بين المسلمين. يقول في الزيارة: "حجة الله الكبرى وآية الله العظمى" ظنوا أن الإمام بحاجة إلى هذه الألقاب كعلماء زماننا ونحن نتلو في القرآن أن موسى وسائر الأنبياء قد رأوا آيات الله الباهرة الكبرى كما في طه ٢٣- والنازعات-٢٠ والنجم-٨. فلا يُعلم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية الله العظمى فضلاً عن سائر الناس.

قال في الزيارة إن علياً "معدن حكم الله وسره"، ماذا يعني معدن حكم الله؟

إن علياً عليه السلام سوف يحاكم هؤلاء الأفاكين إلى الله سبحانه وتعالى ويقول لهم: لماذا نسبتم إلي هذه الأقوال غير الموثوقة؟ متى قلت لكم أنكم تدعونني بعد وفاتي؟ فقد أمضيت عمري كلَّه في الدفاع عن الإسلام وهداية الناس إلى التوحيد، واجتناب الذنوب ومن أكبرها الشرك لماذا شجعتم الناس باسمي على أعمال الشرك؟ لقد بايعت الخلفاء حفاظاً على وحدة الإسلام

وصاهرت الخليفة الثاني وزوَّجته أمَّ كلثومٍ بنتي، فلماذا باسم الدفاع عني سعيتم في إحداث الفجوة بين قلوب الـمسلمين؟ فكيف يردون على هذه الأسئلة؟

ثم أطلقوا في الزيارة ما شاوؤا على الإمام: «السلام عليك يا تاج الأوصياء»، بل وقالوا «تاجاً لرأسه». أي رأس النبي ﷺ. وللأسف أن الشيخ عباس القمي يورد مثل هذه الزيارة – دون تدبر أو تأمل– في مفاتيح الجنان، ربما ظن أن هذه الـمدائح كلها قالها الأئمة لأنفسهم ولا ندرى هل عباس القمي في حياته قرأ كتاباً في السيرة والتاريخ؟ ولكننى على يقين أن من كان ملماً بسيرة الرسول ﷺ والتاريخ الإسلامي وسيرة عليٍّ والأئمة عليهم السلام الـماماً قليلاً، لأدرك بسهولة أنه من الـمستحيل أن يصدر عنهم مثل هذه الـمدائح، أو أنهم يرضون بها.

فأين الـمشهدى وأبوقرة وابن طاووس وأمثالهم، نقلوا عمن أرادوا دعاء وثناء وزيارة، حتى مسجد الكوفة لم يسلم منهم، فأوجدوا عدة..... السجاد...الصادق و....علي عليهم السلام. وهل يجوز أن يقسم مسجد الله بالظن الباطل ودون سند من الشرع؟ ولكل منها آداب، فهل أحكام الشرع لا نهاية لها؟ بل ونسجوا لمسلم بن عقيل وهانئ وسيدنا يونس، زيارةً جميلةً العبارات ومسجَّعة الجُمل، ولا شك أنه لو كان لكلٍ من ١٢٤ ألف نبي قبور، لـملأوا الدنيا قبوراً وقُبَباً.

أعداء الإسلام يسعون في الاكتشافات وتطوير صناعاتهم، أما هؤلاء فيسعَون في بناء الأضرحة والـمزارات، واستسملوا للاستعمار، ولهذا السبب الـمسلمون من أشد الناس تخلفاً في الدنيا، من حيث القدرات الـمادية والاكتشافات الحديثة.

أيها القارئ الكريم: لاحِظ أنه عندما طمعت أوربا في خيرات بلادنا، وصالت فينا كالذئب يفترس فريسته، وأرادت بلعَ أندونيسيا والهند وأفريقيا، وإضعاف الدولة العثمانية، كان علماؤنا مشغولين بكتابة الزيارات، وإعداد الشتم والطعن واللعن!! وقد قال ﷺ: «من أصبح ولم

يهتمَّ بأمور الـمسلمين فليس بمسلم»، فهؤلاء الذين كانوا يَعُدُّون أنفسهم علماء الـمسلمين بدلاً من أن يفكروا في واقع الـمسلمين، وكيفية سبل رُقيِّهم، اشتغلوا ببناء القبر والقبة والـمئذنة ونسجوا كمية كبيرة من الزيارات والدعاء باسم الخضر (الذي لا وجود له أصلاً) وما أجمل كلام علي عندما قال" ما أُحدثت بدعةٌ إلا تُرك بها سُنَّة فاتقوا البدع". [نهج البلاغة- خطبة ٤٥].

نظرة إلى أبواب زيارة الحسين

إن الإمام الحسين سيدُ شباب أهل الجنة، وإمامُ أهل التقوى، وسيدُ الشهداء وقدوةُ المجاهدين في سبيل الله، ولكن للأسف بدلاً من أن يقتديَ الناس بفِعاله، ويُضحُّوا في سبيل الحق كما ضحى هو بنفسه، جعلوا شهادته طريقاً للوصول إلى المال والجاه والشهرة والرياسة. ومن أراد أن يبين الحقائق التي في سبيلها استُشهد الإمام، فإن علماء السوء يَسُدُّون طريقه ويتهمونه، وإن أكثر المراجع والمجتهدين قد سكتوا عن هذه البدع، وبسكوتهم أضفَوا الشرعية عليها وتركوا الصادعين بالحق وحدَهم.

ومن هذه البدع التطبير، وقد استُحدِث بتحريض من قُرَّاء الروضة. فمن ضرب نفسه – إن كان كبيراً – حُشر مع علي وإن كان صغيراً حُشر مع عليٍّ الأصغر، وبهذا قد أجبروا عوام الناس على فعل هذه الأعمال السيئة.

التطبير بدعة لا تستقيم مع الفطرة السوية، وكل إنسان معتدل ينفر ويتبرأ منها، ولا شك أن الدين الإسلامي لا يوافق على مثل هذه البدعة قطعاً.

فيا أيها القارئ العزيز: تأمل كيف يمكن ألا تُحرِّم الشريعة التطبير؟ لأن الشريعة عملاً بقاعدة "لا ضرر" و"لزوم دفع ضرر محتمل"، تأمر الإنسان أن يجتنب عملاً يُتوقَع ضرره بحكم العقل. فما بالك بعمل ضرره قطعي ويقيني، فمثلاً إذا ثبت أن الإنسان إذا صام أو توضأ تضرر، وهذا الضرر المتوقع في دائرة الاحتمالات فعليه ألا يصوم وأن يتيمَّم للصلاة. فآه.. ثم آه.. من علماءٍ قعدوا عن إظهار الحقائق للناس.

وفي رأيي أن أكثر المراجع والمجتهدين لعدم مخالفتهم وممانعتهم لهذه الأعمال السيئة، قد لعبوا دوراً في نشرها بين الناس بل إن أكثر مراجع زمننا أمثال آية الله نائيني وكاشف الغطاء

وشيخ هاشم عاملي وعبدالهادي شيرازي وسيد محسن حكيم وسيد أحمد خوانساري وسيد أبوالقاسم خويي وسيد محمد رضا گلپايگاني وغيرهم، لم يخالفوا بل أيدوها. فالخميني مثلاً قال في موضوع التطبير: "لا يصلُح في الوضع الراهن"!! فالآن أنت الحَكَم ما الفرق بين من يقول رداً على سؤال: القمار أو شرب الخمر جائز أم لا؟ فيقول: لا يصلح في الوضع الراهن. أو أنهم يجيبون إجابة خادعة للناس، فمثلاً يقولون: إن التطبير سبب إضعاف الشيعة وغير جائز، وهذا الجواب لا يختلف عن الجواب السابق فنحن نسألهم: أجيبوا بصراحة هل التطبير فعل محرم، أم أنه غير جائز لأنه يشوه صورة الشيعة في أذهان الآخرين؟

وجدير بالذكر أن بعض العلماء - وهم قلة- قد أفتَوا بتحريمه أمثال العالـم اللبناني «سيد محسن أمين عاملي» فقد ألَّف رسالةً مفيدة باسم «التنزيه لأعمال الشبيه»، فأرجو أن يحظى بقبول الشيعة ولكنني على يقين أن هذه الرسالة لا يرغب فيها أصحاب الروضات والخطباء، وأن أكثر الناس لا يعرفون مثل هذه الـمسائل، بل وأكثر أصحاب العمائم لم يقرأوا هذه الرسالة أصلاً.

وقد كتب أمين في الـمجلس العاشر من كتاب "أعيان الشيعة" أن التطبير ونظائره غير جائز شرعاً وعقلاً، وأن جرح الرأس لا يفيد الشخص في الدنيا والآخرة بل يضر النفس وضرر النفس حرام، وهذا العمل من وساوس الشياطين وصرح بأنه لا يرضاه الشرع.

وأرجو أن يوجِّه الناس أسئلتهم في هذا الـموضوع وأمثاله إلى العلماء، وعليهم ألا يقبلوا الـمسائل بسذاجة ودون دليل من الشرع، ولكنهم لا يفعلون، ونرى أن أصحاب الروضات والـمراثي يُحرِّضون الناس على البكاء والتطبير والذهاب إلى الزيارات والنياحة، وأن الناس يُلبُّون كلَّ ما يقولونه خلاصاً من النار، لأنهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، ولا يعرفون حقائقه وأن علماء السوء أبعدوا الناس عن القران، فمثلاً مِن بين خمسين ألفاً من جماعات التطبير لن

تجد أحداً يفهم آيتين من كتاب الله، بل كلهم من المقلدة التقليد الأعمى، وشعارهم "لدينا الحسين فلا نبالي بالمستقبل"، والكُتَّاب ليسوا بأحسن حالاً من الخطباء والمبلِّغين، بل ومن أكبر الكُتَّاب محمد باقر المجلسي، قد خصص ثلاثة مجلدات من كتابه "بحار الأنوار" في الزيارات.

باب وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

يكتب المجلسي في هذا الباب:" إن زيارته صلوات الله عليه واجبة مفترضة"، فبهذا الباب أضاف واجباً على واجبات دين الإسلام، ولم يكن هذا الواجب في زمن النبي صلى الله عليه وآله، بل تمت إضافته في زمن الصفويين، إذ أوردوا أحاديث أوجبوا فيها زيارة الحسين كل شهر، ومن زاره فقد تمت له أمور دينه وانتَظَمت، ورجع إلى الدنيا كيومَ ولدته أمه أي صار طاهراً، وأنه يُخاطب باستئناف عمله، ووجبت له الجنة وصافحته الملائكة والأنبياء، ويشاركون في غسله، ويغبِطُه أهل المحشر. ومن لم يذهب إلى زيارته فإيمانه ناقص، وهو عاصٍ للرسول صلى الله عليه وآله والأئمة، ولو كان من أهل الجنة لم يُعط له المسكن، أي يفتقر إلى بيت يأوي إليه (أي أن جنة الخرافيين فيها مشكلة المسكن). ولو لم يزر الحسين دون علة، استحق نار جهنم وكان من أكثر الناس جفاءً، لأن البهائم الوحشية تزور الإمام، ومن زاره أَمِن يوم القيامة: لا حساب ولا كتاب.. ومن زاره حاز أجر مائة ألف شهيد من شهداء بدر، بينما صاحب القبر لم يُستشهد إلا مرةً واحدةً وحسبه شهادةٌ واحدةٌ[1].

١- كتب على -عليه السلام- لمالك الأشتر: «وأنا أسأل الله بسعة رحمته... أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣) وقال في يوم صفين: «وإن أظفرتهم علينا فارزقنا الشهادة». (نهج البلاغة، خطبة -١٧١) وقال أيضاً: «فإذا كان ما لابد منه الموت فاجعل منيتي قتلا في سبيلك». (الصحيفة العلوية).

ولكن المجلسي لم يكن معاصراً له، وإلا قال للإمام الهمام عليه السلام إن عليه أن يطلب ثواب زائر مرقده!!.

وإنَّ زائرَ القبر له ثواب ألفِ حجة وألفِ عمرة مبرورة، بينما صاحبه لم يحج أو يعتمر إلا مرة أو عشرَ مرات، فهنا ثواب الزائر أكثر من ثواب المزور، بل من زار الإمام حاز ثواب عتق ألف عبد ولا يُسأل في القبر ولا يُضغط عليه، وإن نوره يملأ ما بين المشرق والمغرب، وكل خطوة يخطوها كتب له حجة وعمرة، وإن كان من الأشقياء كتب في زمرة السعداء، وكل إثمه وجريمته يزول ويخلصه الله من النار، ويقضي كل حاجته وتقبل شفاعته في سبعين من العصاة!!! وإذا وصل الزائر إلى قبر الإمام يُخاطَب يا وليَّ الله قد غُفر لك، وأقسم بالله إنك لن ترى نار جهنم أبداً، وبكل خطوة يُكتب له ألف حسنة، وتُمحى عنه ألف خطيئة، وإن كان راكباً فبكل خطوة يرفعها أو يضعها مركبه يُعطى لراكبه ثوابها، وإنَّ أربعة آلاف ملَك عند قبره شُعْثٌ غُبْرٌ يبكونه إلى يوم القيامة، وإن زيارة قبره من أحسن الأعمال ولا يصله ثواب أي عمل و إن الأنبياء جميعاً يأتون إلى زيارة قبر الإمام حسين عليه السلام[1].

ثم نقل قصة «عن الحسين بن أبي حمزة قال: خرجت في آخر زمن بني أمية، وأنا أريد قبر

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا علي! زر الحسين ولا تدعه قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة، ورفع له درجة، فإذا أتاه وكل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من سيء ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودعوه، وقالوا: يا ولي الله! مغفور لك أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيته.

وعن إبراهيم بن يحيى القطان عن أبيه أبي البلاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام فقال: ما تقولون؟ أنتم قلت نقول حجة وعمرة قال تعدل عمرة مبرورة.

وقال أبوعبد الله عليه السلام للمفضل: كم بينك وبين قبر الحسين عليه السلام قال قلت بأبي أنت وأمي يوم وبعض يوم آخر قال فتزوره فقال نعم قال فقال أ لا أبشرك أ لا أفرحك ببعض ثوابه قلت بلى جعلت فداك قال فقال لي: إن الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته فيتباشر به أهل السماء فإذا خرج من باب منزله راكبا أو ماشيا وكل الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة يصلون عليه حتى يوافي الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام فانتهيت إلى الغاضرية حتى إذا نام الناس اغتسلت ثم أقبلت أريد القبر حتى إذا كنت على باب الحير خرج إلي رجل جميل الوجه طيب الريح شديد بياض الثياب، فقال انصرف فإنك لا تصل، فانصرفت إلى شاطئ الفرات فأنست به حتى إذا كان نصف الليل اغتسلت ثم أقبلت أريد القبر، فلما انتهيت إلى باب الحائر خرج إلي الرجل بعينه، فقال: يا هذا انصرف فإنك لا تصل، فانصرفت فلما كان آخر الليل اغتسلت ثم أقبلت أريد القبر، فلما انتهيت إلى باب الحائر خرج إلي ذلك الرجل فقال: يا هذا إنك لا تصل، فقلت: فلم لا أصل إلى ابن رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة وقد جئت أمشي من الكوفة وهي ليلة الجمعة وأخاف أن أصبح هاهنا وتقتلني مسلحة بني أمية فقال: انصرف فإنك لا تصل فقلت: ولم لا أصل فقال: إن موسى بن عمران استأذن ربه في زيارة قبر الحسين عليه السلام فأذن له فأتاه وهو في سبعين ألف ملك، فانصرف فإذا عرجوا إلى السماء فتعال، فانصرفت وجئت إلى شاطئ الفرات حتى إذا طلع الفجر اغتسلت وجئت فدخلت فلم أر عنده أحدا، فصليت عنده الفجر وخرجت إلى الكوفة». وهذه القصة من الأباطيل والأكاذيب...

وهل للملائكة وأرواح الأنبياء أجسام وهم بها قد احتلوا الأماكن، إذاً لم يبق هنالك مكان؟ وهل الأنبياء لهم الحق أن يأتوا إلى الدنيا الفانية؟ ولاشك أن جواب هذا السؤال عبارة عن ألف تهمة وتُنسَب إلى السائل.

وروي أيضاً أن الله يباهي الملائكة بزوار زيارة قبر الإمام حسين عليه السلام، وأنه يأتي والملائكةَ إلى زيارته، وأن زائر قبر الإمام يشفع في مئة شخص استحقوا النار، وأهل بيته وألف أخ له في الدين. وقد قلنا مراراً إن زيارة الإمام في حياته لا توجب نزراً يسيراً من الثواب الذي ذكروه في حياته، وهذا غيض من فيض. وقد اغتر بهذه الأخبار الواهية أناس، وظنوا ألاّ حساب ولا جزاء فانعدم فيهم شعور الخوف من الله. هذه الرواية جمعيها مخالفة للقرآن، وإن

النبي ﷺ والأئمة قد نصُّوا على أنه إذا خالف الحديثُ القرآنَ فاتركوه أي الحديث. نحن لم نقل إنها كذب. وقد تطرق إلى مثل هذه الأحاديث الأستاذ المحقق قلمداران في كتابه الزيارة.

بل وقد تم نقل أحاديث ضد الأحاديث الكاذبة في بعض الكتب، ومنها رواية نقلَها عن كتاب قرب الإسناد. وقد نقل هذا الحديث أيضا الشيخ حر العاملي. وسائل الشيعة، ج ١٠، باب استحباب اختيار زيارة الحسين على الحج،

في هذا الحديث لم يذكر الإمام الصادق أن ثواب زيارة قبر الحسين يعدل حجة واحدة، بينما في الأحاديث السابقة ذكروا ثواب ألف أو مائة ألف حجة بل أكثر، ولا شك أنها من وضع الوضاعين. إن الله قد نهى عن الغلو: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في باب نفي الغلو في المجلد السابع من الطبعة القديمة، «إن الغلاة شر خلق الله».

باب فضيلة الصلاة في مزار الإمام الحسين عليه السلام

روى المجلسي في هذا الباب: «سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام وأنا أسمع قال إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام اجعله قِبلة إذا صليت». نسأل: لماذا نهى رسول الله ﷺ في الحديث عن اتخاذ القبر قِبلة؟ ثم روى في الحديث ٣٩: «عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، قال قلت له: فما لمن أقام عنده يعني الحسين عليه السلام؟ قال: كل يوم بألف شهر قال فما للمنفق في خروجه إليه والمنفق عنده؟ قال: درهم بألف درهم». فعلى بعض العاطلين عن العمل والمستهلكين أن يبقوا عند مزار الإمام ليُنفق عليهم. ومما يدل على جعل مثل هذه الأخبار وأنها غير صادرة عن الأئمة، أنه لم يكن للحسين مزار وفناء في، زمنهم فلا شك أن الوضاعين هم الذين وضعوا مثل هذه الأحاديث.

روى المجلسي والصدوق في باب زيارة يوم عرفة: "عن علي بن أسباط يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عليه السلام عشية عرفة قال قلت: قبل نظره إلى أهل الموقف! قال: نعم قلت: وكيف ذاك قال: لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا".

فهل سمى الإمام الصادق بعض أهل عرفة ولد الزنا، أو أن هؤلاء الرواة الكاذبين افتَروا عليه؟ إضافة إلى هذا، فإن الأئمة لا يعرفون الغيب كما نص على هذا، القرآن والأخبار الصحيحة، فمن أين عرف الإمام أن أهل عرفات أولاد الزنا، وأن زوار كربلاء ليس فيهم ولد الزنا؟

باب الزيا رات الـمطلقة

ذكر الـمجلسي وابن قولويه وأمثالهما زيارة وهي أساس مذهب الشيعة والغلاة، وأمثال هذه الزيارة مخالفة للقرآن وموجبة للفرقة بين الـمسلمين. رووا هذه الزيارة عن الإمام الصادق ويريدون أن يَلصِقوها له، وأما نحن فنرى الإمامَ أرفعَ من أن يصدر عنه ما يفرق الـمسلمين ويخدش دين جده ﷺ، الشيعة يقولون إن الله ليس خالق السماء والأرض، بل الله خلقَ نورَ محمد وآله وإن بقية الـموجوداتِ خُلقت من نورهم، ويستدِلُّون بكلمات من هذه الزيارة. ولا شك أنها مخالفة للقرآن. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦ والزمر: ٦٢].

يقول في هذه الزيارة بعض الكلمات والخرافات فيها بارزة وظاهرة للعيان: «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم»، ظن هذا الـمسكين أن إرادة الله في ذهاب وإياب. ولكنه لم يدر أن إرادة الله إيجادُ الأمور وتحقيقُها، والإرادة فِعلُه وليست كإرادتنا فنحن نريد أولا ثم نعزم ثم نأتي بمقدمات العمل. إنما إرادة الله هي الإيجاد. قال أمير الـمؤمنين «كلامه فعل منه». [نهج البلاغة، خطبة-١٨٦] وقال: «إرادته هي الفعل». وقال الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢].

يقول علي عليه السلام: «لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع». [نهج البلاغة، خطبة-١٨٦]. إذاً فإن قاعدة إرادة الله تنزل وتخرج من بيوت البشر لا معنى لها. ثم يقول في وصف الإمام: «أشهد أن دمك سكن في الخلد» فظن أن تراب كربلاء هو الجنة، ويقول أيضاً: «يا وتر الله الـموتور في السماوات والأرض»، ويقول أيضاً: «والسبيل الذي لا يختلج دونك من الدخول في كفالتك التي أمرت بها». فالزائر الجاهل قد ترك الصراط الـمستقيم الـموصل إلى الله، ويريد ملتمِساً أن يدخل في كفالة الإمام، فهذا يعنى أنه لم يُصلِّ بعدُ. ولم يقل في صلاته: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ قال الله لرسوله وللمؤمنين: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ [الأحزاب: ٣].

وألم يقرأوا: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥].

فنرى أن هؤلاء الجهَّال أو المغرضين تركوا كتاب الله وراء ظهورهم، والتصقوا بزيارات موضوعة ليس فيها إلا الانحراف والغلو والشطط.

ثم يقول: «بِكُم فتح الله وبكم يختم». فلابد أن نقول لهذا الجاهل إن أحد الأئمة الذين تظن إن افتتاح العالم وختْمَه به، قد حارب معاوية واحداً وعشرين شهراً وأراد عزله عن حكومة الشام، ولكنه بسبب عصيان أتباعه لم يتمكن من تحقيق هذا الهدف، فكيف يمكن أن يكون مفتتح العالم وخاتمته؟

ويقول في الزيارة: «بكم يمح الله ما يشاء وبكم يثبت»، فالسؤال إذا لم يكن هذا شركاً فما الشرك إذاً؟ قال تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩].

فأم الكتاب ليس عند الإمام أو الرسول أن يَمحو أو يُثبتَ شيئاً، فهؤلاء الوضَّاعون لا يَمتُّون بِصِلة إلى القرآن أصلاً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧].

ثم يقول: «بكم يُفكُّ الذل من رقابنا»، وبينما شعبنا منذ قرون تحت وطأة الكفار بسبب الخرافات والخزعبلات والغلو والبدع.

اللهم أَفرِغْ عليَّ صبراً وثبِّتْ أقدامي وانصرني على أهل الشرك والخرافات.

ولو أننا أردنا بيان خرافات هذه الزيارات لخرج بنا البحث عن الاختصار.

ويقول: «استقبل قبرَ الإمام وصلِّ»، وهذا القول مُنافٍ لقول الرسول ﷺ الذي يقول «لا تجعلوا قبريَ قبلة ».

روى المجلسي في الزيارة الثامنة نقلاً عن كامل الزيارة لابن قولويه عن المفضل عن جابر بن زيد، قال قال الإمام الصادق للمفضل: «ثم تسعى، فلك بكل قدم رفعتها أو وضعتها كثواب المتشحط بدمه في سبيل الله»، فإذا خطا الزائر إلى القبر ألف خطوة فكأنه استشهد ألف مرة، وفي الجنة فإن مقام الزائر يرتفع عن مقام المزور، لأن الإمام استشهد مرة واحدة بينما الزائر استشهد ألف مرة. لَيتَهم علموا أن الأئمة كانوا يدعون الله ليفوزوا بالشهادة مرة واحدة، أما هذا الزائر بالذهاب والتضرع فيستشهد ألف مرة. ألم يسخروا من الدين بهذه الأعمال؟. قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾ [الأنعام: ٧٠].

فها هو دين الغلاة، كأن هناك فرقاً بين الإمام والمأموم فعلى الإمام أن يجاهد ويقاتل حتى يفوز بالشهادة وأما المأموم فيكفيه أن يزور وينال من الإمام مزيداً من الثواب.

ثم يقول: «ولك بكل ركعة ركعتها عنده كثواب من حجّ واعتمر ألف مرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل» فيبدو أن في دين الإمام لا حساب ولا جزاء لأن الإمام وأصحابه استشهدوا مرة واحدة، أما ثواب الزائر فثواب ألف جهاد برفقة نبي مرسل ولا يحق لأحد الاعتراض لماذا؟ لأن مؤلف هذه الكتب من الأكابر وسوف يقولون عن المعترض فضولي جاهل...

لوتأملنا قليلاً فإن في سند هذه الزيارة مسألة عجيبة، بل كذب ذو قرن. المفضل روى عن جابر بن زيد وهو قال إن الإمام قال للمفضل، وبهذا فالمفضل لم يعرف ماذا قال له الإمام؟ فنقل ما قيل له عن جابر. فمن أي شيء نتعجب؟ من الرواة الوضاعين، أم من الذين يروون مثل هذه الأكاذيب في كتبهم ويتباهون بها. يقول الزائر: «لا إله إلا الله مع علمه منتهى علمه، والحمد لله بعد علمه منتهى علمه، وسبحان الله مع علمه منتهى علمه»، يبدو أن مؤلف كتاب كامل الزيارت رجل أمي تقريباً فجمع كلَّ ما وضعه الوضَّاعون، هومن أهالي قم ولم يكن

وقتذاك حوزة علمية فيها، وحتى يومنا هذا، كما قال صاحب (معالـم الأصول) وغيره إن أكثر العلماء مقلدون للسابقين.

ورد في الزيارة «كنتَ نوراً في الأصلاب الشامخة، ونوراً في ظلمات الأرض، ونوراً في الهواء ونوراً في السموات العلى، كنتَ فيها نوراً ساطعاً لا يُطفأ» هذا الكلام ككلام الكهان الذي لا يفيد معنىً ومفهوماً، بل يبهت الناس، فهو استناداً إلى قاعدة "إن كل شخص لا يدرك كُنْه الكلام وإن كلَّ قلب لا يتسع لكل الـمعارف" فقال ما شاء. وأما من عرف القرآن وأحاديث النبي الـمعتبرة وكلام الأئمة، أدرك مدى ابتعاد الكلام الـمذكور أعلاه عن كلام الأئمة السابقين.

ونقرأ فيها أيضاً لعنَ قاتلي الإمام: «اللهم احلل بهم نِقمتك وخذهم من حيث لا يشعرون» كأن واضع الزيارة يجهل أن قاتلي الإمام قبل أكثر من ألف سنة شملتهم نقمة الله وأُبيدوا. ويبدو أن الغلاة والـمتظاهرين بالتشيع كانوا يتعرضون للضرب والشتم في الدولة العباسية فأرادوا إيجاد ملجأ، وأن العلويين كانوا يحظون باحترام الجميع، فباسمهم قالوا ما شاؤوا وفتحوا محلات، وتمكنوا من استمالة قلوب أناس واستثمارهم، ونسجوا الأباطيل، وما كان يهمهم هل هي تحظى بقبول الإمام أم لا؟ ووصلوا إلى هدفهم النكِد أي نشر الخرافات إلى حد كبير. ويقول في هذه الزيارة: «فكن يومئذ في مقامي بين يدي ربي لي منقذاً، فقد عظم جرمي» كأنه لم يعلم أن الله قال لرسوله ﷺ على سبيل الاستفهام الإنكاري: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]. أي أنت لا تنفذه من النار كما أن نوحًا لـم يستطع إنقاذ ابنه وزوجه من العذاب الإلهي، وما استطاع لوطٌ أيضاً أن يخلِّص زوجه من العذاب. وقد قال الله عز وجل لنوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦]. بل وقال للنبي ﷺ في الـمنافقين عندما أَذِن لهم: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

وخوطب النبي ﷺ في القرآن: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥].

وهناك أحاديث كثيرة نص رسول الله ﷺ فيها أنه لا نجاة من العذاب إلا بالعمل الصالح ومنها «لوعصيت لهويت»، وقال لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام: «اعملي واعلمي أنا لا أغني عنكِ شيئا». وقال علي عليه السلام في آخر دعاء كميل: «اغفر لمن لا يملكُ إلا الدعاء، فإنك فعال لما تشاء» وقال: «وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق». [نهج البلاغة، خطبة-٤٥] كأن هذا المفتري لا يعلم عن الإسلام شيئاً لأن الشفاعة بيد الله، ولأن إغاثة المجرمين لا يملكها إمام ولا زائر بل بيد الله، كما أننا نقول في دعاء الجوشن الكبير في البند ٩ والبند ٦٩ (يا شافع يا شفيع).

يقول الزائر: «يا ليتني كنت معك وأبذل مهجتي فيك، نفسي فداكم ولمضجعكم» إن الزئر لا يعلم أن النفس تُبذل في سبيل الله لا في سبيل الإمام، والإمام نفسه مجاهد في سبيل الله وكيف تبذل النفس فداءً للقبر؟ يقول أصحاب الروضات في زماننا «يا عاشق قبر الحسين» ولكنهم لا يعلمون أنه بناء على ما قرره المجلسي لا يُعشق القبر فحسب، بل تبذل المُهج فداءً له. وفي الزيارة يجب على الزائر أن يضع جبهته وجانبيه الأيمن والأيسر على تراب القبر، وعليه أن يطلب ملتمساً الضيافة والشفاعة من الإمام. لوكان الإمام حياً هل كان الناس يعاملونه كما يعاملونه وهو ميت؟ ونحن نقرأ في الأحاديث أنه عند ما أراد الناس أن يُقبِّلوا يد النبي ﷺ امتنع، وإن علياً عليه السلام منع الناس في المدائن عن استقباله وذمهم، وفي الرواية أن أصحاب النبي ﷺ ما كانوا يقومون عند رؤيتهم النبي ﷺ، لأنهم كانوا يعلمون أن النبي ﷺ لا يرضى بمثل هذا العمل، وعندما قال له أحد أصحابه: «يا رسول الله! أنت سيدنا وذو الطول علينا»، تغير وجهه ﷺ وقال: «السيد الله لا يستهوينكم الشيطان»، فهل الإمام

يفرح بوضع جبهة شخص على تراب قبره وهو غير موجود أصلاً في الدنيا ولا يعلم، لأن البرزخ بمثابة صالة الانتظار إلى يوم القيامة، وعالم غير عالم الدنيا. ولا ملجأ ولا ملاذ إلا الله عزوجل، لا الأنبياء ولا سائر الناس. قال ﷺ: «إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله».

زيارة الـ٣١: جابر بن عبد الله ومقارنتها بروايات أخرى

من الزيارات في هذا الباب زيارة قبلها علماء الشيعة جميعاً، وهذه الزيارة تخالف الروايات الأخرى، ولأن جابر بن عبدالله شخص معتبر فنأتي بكلمات من زيارته إيقاظاً للقارئ.

أولا: إن جابراً يقول في يوم الأربعين عند قبر الحسين: «لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه» لأننا لم نرض بخلافة يزيد فنحن شركاء. قال له عطية العوفي الذي يرافقه كيف ولم نهبط واديا ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرِّق بين رءوسهم وأبدانهم وأولادهم وأرملت الأزواج؟ فقال لي يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم.

نسأل: أين الشركة في الثواب في هذه الرواية؟ وقد ورد في بعض الرويات أن كل خطوة لها أجر عدة شهداء أين هذا الأجر؟ فأين شركة الثواب في الشهادة من ثواب ألف شهد؟ فهذا الحديث ينفي الأحاديث الأخرى.

ثانيا: قال جابر ثلاث مرات بعد التسليم: «حبيب لا يجيب حبيبه ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد جحظت أوداجك وفرق بين يديك ورأسك» فبناء على قول جابر إن الشهداء والإمام لا يستطيعون أن يجيبوا، بينما الغلاة يقولون في زيارتهم «أشهد أنك تسمع كلامي وترد جوابي»، فلا يمكن أن يقال إن معرفة هؤلاء الغلاة الوضَّاعين أحسنُ من معرفة جابر.

الزيارة الـ٣٢ الـمنقولة عن صفوان

نقل صفوان عن الإمام الصادق: عندما تصل إلى باب الحائر فقل كذا وكذا. فإذا علمنا أنه لم يكن للحائر باب في حياة صفوان، تَبيَّن أن الرواة كاذبون. ويقول أيضاً: وإذا وصلت إلى باب القبر فقل كذا. والراوي لم يلتفت أنه في زمن صفوان لم يكن للأئمة قبر، فكيف قال له الإمام إذا وصلت إلى باب القبر فقل كذا، ولا شك أن صفوان كان يتحيَّر في المقصود بالقُبَّة؟ وهل في الإسلام للقبر قبة؟ والعجيب لماذا ملأ علماء الشيعة كتبهم بهذه الأكاذيب؟!! ولو كتبها الشيخ الـمفيد والكليني ومئات من الناس، هل تتحول إلى حقيقة؟وهل يقال إن الأكابر أخطأوا، علماً أن خطأهم من أكبر الأخطاء. وَرَد في هذه الرواية: «اخرج ولا تول وجهك عن القبر حتى يغيب عن معاينتك»، هل ظهرُ الإمام يرى رقبه الزائر ويشمئز لرؤيته؟ وهل الناس في زمن الأئمة كانوا يتعاملون معهم هكذا؟

عندما كنت مشغولاً بالدراسة في الحوزة العلمية في قم والنجف، كنت أرى الزائرين من العوام يخرجون على أعقابهم من الـمراقد ويولون إليها ظهورهم، وكنت لا أدرى أنهم أخذوا هذه الخرافات من كتب زيارات العلماء!!.

الزيارة الـ٣٣ الـمنقولة عن الشيخ مفيد

نقل الشيخ مفيد زيارة، آثارُ وقرائنُ الكذب عليها واضحة جداً، مثلاً يقول: إذا وصلت ودخلت فقل كذا. وقلت مراراً وتكراراً: إن الأئمة بريؤون من كل هذا ولم يكن لمراقدهم أفنية ومآذن، وكل زيارة على هذا الشكل فهي باطلة.

وقد لَعن في الزيارة أولئك الناس الذين حرَّفوا كتاب الله، أي غيروا معاني الكلمات وجمل القرآن الكريم وترجموها على خلاف اللغة العربية، وهذا تحريف للمعنى لأن التحريف اللفظي لم يقع أصلاً في القرآن، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

[الحجر: ٩].

أما التحريف المعنوي قد وقع من الفرق الإسلامية كالباطنية والصوفية والعرفاء ومدعيِّ محبة أهل البيت الكذابين، فقالوا مثلاً: إن المقصود من البعوضة أو الإبل أو الدابة أو القمر أو ناقة الله علي عليه السلام،فهذه الزيارة متوجهة إلى هؤلاء المحَرِّفين.

يقول في الزيارة للإمام: «فها أنا ذا وافد إليك بنصري» فانظروا هل هو يسخر من الزائرين أم من نفسه؟ فهو يقول إني لم أكن في يوم عاشورا فالآن جئتك ناصراً. ألم يعلم أن الإمام قد سعد وترك الدنيا، وأنه لا يحتاج إلى معركة؟ ثم يقول: ارفع يديك وعرِّف قبر الإمام لله، وقل إنه كذا وكذا أي مقدار صفحة واحدة تصف القبر ثم التفت إلى الإمام وقل: إن لم تشفع لي أو لم تتحفني أو لم تكرمني فيذهب حسن ظني بك، أي أسيئ الظن بك.

آه..ماذا يقولون؟ ما هذه الرزية على الإسلام؟ ثم يقول: "تفضل علي بشهوتي"، والعجيب أنَّهم وبهذه الكلمات غير اللائقة يعدون أنفسهم من مخلصي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم يمنُّ على الإمام ويقول: «أتيتك زائراً وبحقك عارفاً و...» وفي الواقع أنه غير تابع لهداية الإمام، ولا يعلم شيئا عن هداية القرآن، وإلا لما قامت مثل هذه البدع والخرافات باسم الإسلام، ولما قال: «والمنة علي بجميع سؤلي ورغبتي وشهوتي» فيريد إشباع حوائجه وشهواته من الإمام ويعده قاضي الحاجات، بينما يقول علي: «أخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان... وأن المبتلى هو المعافى... وليكن له تعبدك وإليه رغبتك». [نهج البلاغة، رسالة-٣١]. وعندما يرى الأفاكون الوضاعون والمشترون بآيات الله ثمناً قليلاً استنارتنا، يغضبون ويعرفوننا للناس بأننا -نعوذ بالله- أعداء الله، ويثيرون الدهماء من الناس علينا.

وفي هذه الزيارة بعد ذكر الصلوات والأدعية المصنوعة، يروي زيارة للعباس عليه السلام دون سند ويقول: "ارجع إلى الضريح"، فمن هنا يتضح الأمر بأن هذه الزيارة وُضعت بعد القرن

الثالث أي في القرن الرابع الهجري تقريباً، في زمن كان لمرقد العباس ضريح. ولاشك أن من يقرأ هذه الزيارة على أنها أمر شرعي، فقد ارتكب بدعةً.

في أول الزيارة جملة كأنها أُدرجت من دون علم واضع الزيارات، ولو أن الزائر فهم معناها لما أرتكب مثل هذه البدع أصلاً، وهذه الجملة «الحمد لله الواحد في الأمور كلها» أي انه متفرد في الأمور كلها لا وزير له ولا أمير ولا واسطة، فطلب قضاء الحوائج من غير الله دليل على عدم الاعتقاد بتفرد الله في الأمور.

الزيارة الـ٣٤ الـمنقولة عن ابن طاووس

روى هذه الزيارة ابن طاووس ونقلها عن غيره، وقرائن الكذب فيها واضحة، وإن الزيارة متعلقة بزمن كان للأئمة مراقد وقبب، فيقول الزائر في أولها: «تقف على باب قبته الشريفة» و«تدخل وتجعل الضريح بين يديك» فملأ صفحات عدة في أن تقول كذا وكذا ثم يقول " قَبِّل الضريح"، ولا شك أن الأئمة لا يرضون بتقبيل ضريح مصنوع من الذهب والفضة، بناه أمراء الجور من الأموال الـمنهوبة، ولا شك أن مثل هذه الزيارت وُضعت لخداع الناس، ومعظم كلماتها مخالفة للقرآن، فمن أوضح القرائن الدالَّة على وضع هذه الزيارة إشارته إلى آية من سورة الـمائدة التي لـم يفهمها واضع الزيارة، فيقول: «لـم يتوسل الـمتوسلون إلى الله بوسيلة هي أعظم حقاً عنده منكم أهل البيت».

أولا: يجب أن نعلم أنْ لاحق لأحد (حتى الأنبياء) على الله، بل هذا حق الله عليهم أن مَنَّ عليهم، ولو أن واضع الزيارة كان يعرف شيئا عن القرآن ووصلت هذه الآيات إلى سمعه لما نسج مثل هذا الدعاء. قال تعالى: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٩٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤﴾ [الصافات: ١١٤].

وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [ابراهيم: ١١].

والنقطة الأهم أنه أشار في هذه الجمل إلى الآية الخامسة والثلاثين من سورة المائدة، وهنا نرى أن نبين المعنى الصحيح لهذه الآية، لأن مرتضى المطهري في كتاب "العدالة الإلهية" لم يذكر المعنى الصحيح لها فنحن نبين معناها كما بيناه في سائر كتبنا، مثل (قبس من القرآن) حتى يظهر عوار أدلة الخرافيين.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة: ٣٥].

فالظاهر أن الخطاب للمؤمنين والنبي ﷺ، كما هو المنصوص عليه في آية ٢٨٥ من سورة البقرة والنبي ﷺ أحد المؤمنين وإن الأئمة عليهم السلام أيضا تشملهم هذه الآية، فنسأل: ما وسيلة الأنبياء والأئمة إلى الله، إلا الإيمان والتقوى والعمل الصالح. هل الوسيلة التي يجب على الإمام والمأموم معاً أن يبتغياها غير الجهاد في سبيل الله؟ ثَم هل فرَّق بين الإمام والمأموم في أحكام الدنيا؟ وهل على المأمومين ألا يُقَيَّدوا بإمامهم في وسيلته التي يبتغيها تقرباً إلى الله عز وجل؟

وفي الآية الكريمة قد أمرت بالبحث عن إحدى الوسائل كنموذج، قال الله "جاهدوا" أي أن الله نص على الوسيلة ولهذا السبب كثير من الخطباء والذابِّين عن الخرافات في خطبهم وكتبهم لا يذكرون الآية كاملة ولا يشيرون إلى هذا المقطع من الآية. إن الآية لم تقل "ادعوا الوسيلة" بل قالت "ابتغوا".

ثانيا: فمن البديهي أن الابتغاء غير الدعوة والدعاء.

ثالثا: بعد أواخر القرن الثاني لا نملك أئمة كي نبتغيهم، بل ولا يمكن البحث أيضاً عن أرواحهم الطيبة فكيف يعقل أن الله عز وجل يكلفنا بالبحث عن موجود غير قابل للعثور عليه؟

رابعا: إن معنى هذه الآية على حد زعمهم لم يكن معمولاً به في زمن النبي ﷺ والأئمة الكبار، إلا فيمَن كان مقيماً في المدينة والكوفة، فكيف كان ممكناً لمؤمن مقيم في اليمن أو الشام أو خراسان أن يبتغي الأئمة؟ إلا اذا حزم أمتعة الترحال ووصل إلى الأئمة، وهذا الأمر لم يكن ميسوراً للجميع. وكيف يمكن البحث عن الأئمة من مسافات طويلة؟[1]

خامسا: إن الآيات التالية تفسر المعنى المراد من الوسيلة، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَه ويَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

فنرى أن لفظ "أقرب" في الآية قرينة دالة على أن المراد من الوسيلة هي "المنزلة"، وأنها تتأتى بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، ولا شك أن الذين أقرب عند الله يبتغون المنزلة عنده. وتشير الآيات ضمناً إلى أن من تدعونهم هم أنفسهم يبتغون الوسيلة، ولا شك أن من يبحث عن وسيلة من المحال أن يتحول إلى وسيلة.

سادسا: لماذا لا يشير مُدَّعو محبة آل بيت النبي ﷺ في معنى هذه الآية إلى توضيحات الأئمة ولا يبرزونها، قال ﷺ. «إلهي وسيلتي إليك الإيمان بك»، وقال علي عليه السلام: «إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جُنة من العقاب، وحج البيت». [نهج البلاغة، خطبة-١١٠]

---

١ - ورد في «رجال الكشي» (طبعة كربلا، ص ٢٥٣): «لما لبى القوم الذين لبّوا (أي قالوا: لبيك جعفر) بالكوفة، دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بذلك، فخرّ ساجداً ودق جؤجؤه- صَدره- بالأرض وبكى وأقبل يلوذ بأصبعه ويقول: «بل عبدالله قن داخر»، مراراً كثيرة، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته».

فكما تلاحظون أنه فسر آية سورة المائدة وقال أيضاً: «قد جئت أطلب عفوك ووسيلتي إليك كرمك». [الصحيفة العلوية، دعاؤه في الاستغفار في سحر كل ليلة عقب ركعتي الفجر]

وقال: «فقد جعلت الإقرار بالذنب إليك وسيلتي... متوسل بكرمك إليك». [الصحيفة العلوية دعاؤه عليه السلام في المناجاة في شهر شعبان].

وقال: «فإني أتوسل إليك بتوحيدك وتهليلك وتمجيدك وتكبيرك وتعظيمك». [الصحيفة العلوية، دعاؤه عليه السلام في الشدائد]

وقال: «أتوسل إليك بربوبيتك». [الصحيفة العلوية دعاؤه عليه السلام في ليلة الجمعة، علّمه لكميل بن زياد النخعي. ومفاتيح الجنان، دعاء كميل].

روى سيد بن طاووس عن الحسين بن علي أنه قال: «ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك». [مفاتيح الجنان]، وقال سيد الساجدين عليه السلام: «اللهم إني بذمة الإسلام أتوسل إليك» [مفاتيح الجنان]، وقال: «وسيلتي إليك التوحيد وذريعتي أني لم أشرك بك شيئاً». [الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في دفاع كيد الأعداء] وقال متأسيًا بجده الكريم: «اللهم إني أتقرب إليك بذكرك». [الصحيفة العلوية، دعاؤه عليه السلام المعروف بدعاء كميل] وقال: «بدعائك توسلي». [مفاتيح الجنان].

فتلاحظون أن عليا عليه السلام والأئمة الكبار لم يتوسلوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء السابقين، ومنهم خليل الرحمن وأبوالأنبياء إبراهيم عليه السلام في أدعيتهم تعليماً للناس، وتوسلوا دائما بالإيمان والإسلام والعمل الصالح والجهاد والصفات الإلهية. ولم يتوسلوا قط إلى بشر فلماذا يتغاضى مُدَّعو اتِّباعهم عن أحاديثهم ويتوسلون غالباً بإمام أو ابنه، والأئمة لم يقولوا: "توسلوا بنا في دعائكم".

وفي الزيارة إشارة أخرى كدعاء الندبة «اللهم أبلغ سيدي ومولاي تحية وسلاماً». فتبين أنه يرى الله حاضراً وقريباً، والإمام غائبًا وبعيداً لأنه يطلب من الله إبلاغ رسالته. فنسأل: لماذا

ترى الإمام حاضراً في زيارتك، وتقول «أشهد أنك تسمع كلامي وترد جوابي» هؤلاء ينضح إناءهم بزيارات متناقضة ولا يدركونها.

الزيارة الـ٣٥ الـمنقولة عن ابن طاووس عن رجل مجهول

نقل ابن طاووس عن رجل لم يسمَّ زيارة يقول فيها: "أن رجلا أتى الحسين عليه السلام فأناخ راحلته بقرب الظلال ونزل وعليه حلية الأعراب، ثم مضى نحو الضريح وعليه سكينة ووقار حتى وقف بباب الظلال، ثم أومأ بيده نحو الضريح وقال: السلام عليك يا ولي الله وحجته سلام مسلم لله فيك رادٌّ إلى الله، وإليك مُراعٍ حق ما استرعاك الله خلقه واسترعاك حقه فأنت حجته الكبرى وكلمته العظمى وطريقته الـمثلى، وحجته على أهل الدنيا وخليفته في الأرض والسماوات العلى، أتيتك زائراً ولآلاء الله ذاكراً، أصبح ذنبي عظيماً وأصبحتَ به عليما فكن لي بِحطِّه زعيما صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، ثم حط خده على الضريح وقال: أتيتك للذنوب مقترفا فكن لي إلى الله شافعاً فها أنا ذا قد جئت عنهن نازعا إلى الله أتنصل، وبكم يا آل محمد أتوسل...." إلى أن قال: "وآمني يوم الفزع والهول، ثم جلس وهو يتمتم بما لم أفهمه، ثم قام فوقف عند رأس الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك وعلى من اتبعك، وشهد الـمعركة معك، والواردين مصرعك، يا ليتني كنت معكم فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً، أتيتك زائراً يا ولي الله وابن وليه ووصي نبيه، وانصرفت مودِّعا غيرسئمٍ ولا قالٍ، فاجعلني منك ببال، ثم انصرف إلى راحلته فركبها ومضى ولم أكلمه ولا كلمني".

هذا هو حجة الدين؟ ما القصد الذي كان يبتغيه ابن طاووس من وراء هذه الزيارة؟ والذين نقلوا عنه ماذا كانوا يقصدون؟ رجل مجهول أتى إلى الإمام ذكر له ذنوبه ففعل باطلاً، استقبل الضريح وصلَّى وأتبعها بخرافات، ربما ظن هو كسائر الخرافيين أن الإمام حاضر وناظر بعد وفاته، لأنه قال: "فاجعلني منك ببال"، فما قيمة هذا الذي جعلوا قراءته مستحبة، وهل

أحكام الوجوب والاستحباب بيد المؤلفين؟ ابن طاووس بدلاً من أن يُبَيِّن لنا باطله لأنه استقبل الضريح وصلى، أثبت خرافاته لنا.

الزيارة الـ٣٦ المنقولة عن جابر الجعفر

هذه الزيارة رواها ابن طاووس والمجلسي وآخرون والعلامة الحِلِّي في رجاله، نقلاً عن ابن الغضائري يقول: أكثر الذين يروون عن جابر الجعفر ضعيف، أي أنهم ينسبون أكاذيبهم له. وقال النجاشي: الذين يروون عنه ضَعُفوا، فلذا لا يمكن التسليم بما يُروى باسم جابر الجعفر.

هذه الزيارة كأخواتها علامة الكذب والوضع منها طافحة، يقول: إذا أتيت إلى قبر الإمام الحسين فقف عند الباب، أو يقول: "فإذا أتيت قبر الحسين عليه السلام قمت على الباب وقلت هذه الكلمات" أو يقول: "فلك بكل قدم ترفعها أو تضعها كثواب المتشحط بدمه في سبيل الله تعالى، فإذا مشَيت ووقفت على القبر فاستلمه بيدك وقل السلام عليك يا حجة الله في أرضه، ثم امض إلى صلاتك، فلك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة وكمن وقف ألف مرة مع نبي مرسل"، ولاشك أن هذه الزيارة تم وضعها في زمن صار لمرقد سيد الشهداء مزار وقبة وأبواب متعددة، وافتروا هذه الزيارة على الإمام الصادق عليه السلام وإلا لم يكن في زمنه لمرقد الحسين باب، وقلنا أيضاً في ثواب الزيارات إن أجر الزائر أكثر من أجر المزور. ويقول الجاهل الوضاع: "فلك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة"، كأنه لم يقرأ دعاء الأئمة الذين كانوا يدعون أن يتقبل الله منهم حجة واحدة، قال علي عليه السلام:«أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم». [الصحيفة العلوية، دعاؤه في اليوم الثلاثين من الشهر]

فهل من لا يقبل مثل هذا الغلو ولم يعده من أحاديث الإمام، هو منحرف أو الذي يقبل كل ما يُعرض باسم الإمام ويعده من الإمام؟

الزيارة الـ٣٧ الـمنقولة عن الكفعمي

هذه الزيارة نقلها الكفعمي وهو من علماء القرن التاسع مباشرةً عن الإمام الصادق في القرن الثاني، فهل هذا معنى الرواية الصحيحة؟ أشار الكفعمي إلى ثماني ركعات، بينما بقية الرواة قالوا ست ركعات، فهل اختيار عدد الركعات بيد الكفعمي وأمثاله؟ والعجيب أن العلماء قبلوا كل ما رواه الكفعمي أو ابن طاووس أو أبوقرة أو ابن الـمشهدي أو ابن قولويه أو سائر الرواة دون تأمل وتأن وانتقاد، ودون سند كأن ما يُروى وحْيٌ منزل، وكأنهم نسوا الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم يقول الكفعمي «ثم زر علي بن الحسين» يروي الـمجلسي هذه الرواية ويقول توضيحًا لها. عبارة "ثم زر الحسين بن على" كلام الكفعمي لا كلام الإمام. والأعجب من هذا أن الـمجلسي لم يوجه نقداً أو توضيحاً في أصل الزيارة، أما عبارة: «ثم زر علي بن الحسين» فوضحها!!.

الزيارة الـ٣٨ الـمنقولة عن السيد الـمرتضى

صرح الـمجلسي بأن هذه الزيارة غير منقولة عن الإمام، وإنما أنشأها سيد الـمرتضى علم الهدى، الزيارة الـمذكورة بليغة وفصيحة جداً ومسجَّعة ومقفاة، وهى أروع من الزيارات الأخرى الـمنسوبة إلى الأئمة وهذا الأمر كاف لإبطالها، لأنهم يقولون إن عبارة كذا وكذا جميلة ورائعة فهي من الإمام، ويرون أن الفصاحة والجمال قرينة دالة على صحة نسبة الكلام إلى

الإمام. فمثلاً يقولون إن الزيارة الجامعة أو دعاء الندبة (رغم مخالفتها للقرآن الكريم وكذبها الواضح) فإنها من الإمام لأنها فصيحة العبارة، مع أن زيارة المرتضى أجمل منها وهي من إنشاء سيد المرتضى وغير منسوبة إلى الإمام، ومن يقارنها بإنصاف مع سائر الزيارات التي رأينا نماذج منها يجد أن عبارات هذه الزيارة أقرب إلى العقل والقبول، وأشبه بالروايات المعتبرة وقد تحاشى فيها قائلها عبارات عجيبة وغريبة وغير معقولة، أجل.. إن زيارة سيد المرتضى ليست عارية عن الخرافات كاملاً، ولكن فيها إشارات ملفتة للأنظار، ففيها مطلب لا يوجد في سائر الزيارات مثل الشهادة للولدين لأمير المؤمنين علي عليه السلام، أبي بكر بن علي وعثمان بن علي رحمهما الله، اللذين قتلا في معركة كربلاء مع الإمام الحسين، وقد ذكر فضائلهما ومناقبهما فيها. ولكن واضعي الزيارة لأنهم كانوا يناصبون العداء للخلفاء، تغاضَوا عن تضحياتهما لأن أسماءهما أسماء الخلفاء... فنسأل: اذا كنتم تحبون شهداء كربلاء وأصحاب سيد الشهداء عن صدق وكتبتم في فضائلهم رسائل وكتباً كثيرة، فلماذا لم تذكروا هذين الأخوين الكريمين لسيد الشهداء؟ هذا دليل على أن هذه الزيارات قد أنشأها المغرضون لا الإمام. وأنه لا يخفى أن زيارة سيد المرتضى فنَّدت أكثر الزيارات وأبطل مطالبها، فمثلاً يقول فيها مخاطباً الإمام: «وأنت مجدَّل على الرمضاء لا تستطيع خطاباً ولا ترد جواباً»، هذه الجملة مخالفة للجملة الواردة في الزيارات «أشهد أنك تسمع كلامي وترد جوابي»، يرى سيد المرتضى أن معجزات الأنبياء من فعل الله لا من فعل الأنبياء، وهذا يخالف ما عليه عقيدة الخرافيين. ولم يحصر الإمامة في اثنى عشر شخصاً بل عد جميع الشهداء أئمة قال: «السلام على الأئمة السادات» وهذا يوافق القرآن لأن القرآن يعلمنا أن ندعو الله ونطلب منه أن يجعلنا إمام المتقين وإمام أهل التقوى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ...ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ...وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٧٤].

فبناءاً على هذه الآية يستطيع أي شخص أن يطلب إمامة أهل التقوى من الله، ويسعى إليها بالعمل ومجاهدة النفس والتزام أوامره واجتناب نواهيه، ويتأهل في النهاية لمنصب إمامة الـمتقين.

الزيارة الـ ٣٩ وما بعدها

لم يذكر الـمجلسي في الزيارة ٣٩ سنداً ولا اسم راوٍ، بل وامتنع عن بيان الكتاب الذي أخذ منه هذه الزيارة، فقراءة مثل هذه الزيارة بدعة، والزيارات السابقة ليست بأحسن حالاً منها.

أما الزيارة ٤٠ نقلها عن كتاب مزار ابن الـمشهدي دون سند فهي تفتقر إلى السند، ومن ثم لا يُحتج بها.

زيارة ٤١ نقلها مرسلاً عن صفوان ولا يُعلم من الذي نقلها عن صفوان؟ إذاً فلا حجة فيها. ويتبين من متن الرواية أنها وُضعت في زمن وُجد لمرقد الحسين قبر ومزار. فبدلاً من أن يبينوا الدين الحقيقي للناس، عرضوا القبر والـمزار والضريح لهم ودعَوا الناس إلى الأنبياء والصالحين والتوسل بهم.

وفي زيارة ٤٢ يقول: "نقلتها عن نسخة قديمة" فلا يُعلم مؤلفها ولا سند لها أيضاً. ومتنها قد تم وضعه في زمن القبب والـمزارات، أي تم جعله بعد عصر الأئمة أو في آخرها. فلا شك أن هذا الضريح بناه الظلمة، لأنه لم يكن في زمن الأئمة ضريح، وأن الـموقوفات أمثال البساتين والدكاكين والأراضي والـمنازل كلها وُقفت على الأضرحة بعد الأئمة، وقد بيناها مفصلاً وكلها باطلة، والنُذُر على القبور باطلة أيضاً، وإن زيارة ٤٢ فيها مخالفات كثيرة للقرآن.

باب الزيارة في التقية وتجويز إنشاء الزيارة

روى المجلسي وغيره عن الإمام الصادق أنه قال: «تقول عند قبر الحسين ما أحببت» فالإمام أجاز إنشاء الزيارات للزائر، يقولها عند المراقد، فالزيارات المنسوبة وخرافات الصلاة كلها تنبع من إنشاء الزيارات على الهوى، فكل من أراد أن يجعل زيارة أنشأها وأدرج فيها الخرافات وأضل بها الناس، وظن اللاحقون أنها ذات مستند ووثيقة. ولا شك أن هذا أساس الفساد وجذر الكفر والشرك في الزيارات، وكله مستقىً من عبارة «تقول عند قبر الحسين ما أحببت»، وظن الحاج الشيخ عباس القمي وأمثاله أن الزيارات لها وجه شرعي. فجمعوها في كتبهم كمفاتيح الجنان وغيره، ونحن اكتفينا بالنماذج المشهورة عند العلماء من هذه الزيارات، وقد تبين أن متونها غير معتبرة وهي في الحقيقة افتراء على الأئمة عليهم السلام.

وأسانيد الزيارات أيضاً لا تخل ومن الفساد، وقد حققتُ أسانيد الزيارات ولم أجد سنداً لم يُوجَّه إليه طعن، بل في كل سند راو أو راويان من الضعفاء والفاسدين والمهملين والمجهولين.

الزيارة الجامعة:

قبل الختام أريد أن ألقي نظرة على الزيارة الجامعة، التي حظيت بشهرة خاصة عند عوام الناس بل المتظاهرين بالعلم، وقد نقلها المجلسي عن مؤلفات الشيخ الصدوق، وقد حقق سندها الأستاذ المجاهد قلمداران في كتابه، ونحن لا نرى حاجة إلى دراسة سندها، ونكتفى بمتنها فقط. يقول المجلسي: «أفصحها لفظاً وأبلغها معنى».

أولاً: قد قلنا سابقاً إن سيد الـمرتضى أنشأ زيارة ونقلها الـمجلسي باسم زيارة ٣٨ وإنها باعتراف من الـمجلسي نفسه زيارة عباراتها رائعة، وأنها شافية وأشار بأنها في الظاهر من تأليف سيد الـمرتضى والشيخ الـمفيد، فزيارة سيد أفصح وأروع، وأكثر تأثيرا وأجمل اطراءً، وأما نحن لفصاحتها لا ننسبها إلى الإمام أو الرسول ﷺ.

ثانياً: من الـمستحيل أن يمنع الإمام وهو نموذج في التواضع والانكسار، عن الاستبداد والعجب والـمدح ثم يقول للناس: تعالوا أنشئوا زيارة من عدة صفحات فيها الغلو واقرؤوها لنا حتى نرضى ونشفع لكم.

ثالثاً: نعلم أن الحكومة الصفوية ولأهداف سياسية، كانت تميل إلى نشر الغلو بالنسبة للأئمة في الناس، والـمجلسي قد نشأ في تلك البيئة وترعرع، وكان من أشد الناس تأييدا للحكومات الفاسدة غير الـمتأهلة، كحكومة شاه سليمان والسلطان حسين الصفوي، وكان يثني عليهم ويمدحهم. ولا شك أن هذا العمل له أثره السلبي في نفسه، إذ تسبب في إنشاء زيارة غير مناسبة وقبولها عنده. ونحن هنا بالإشارة إلى كلمات منها مخالفة للقرآن والعقل والتاريخ، نُثبت أن من الـممتنع أن يأمر الإمام الهادي عليه السلام بقراءتها.

١- يقول مخاطباً الإمام: «موضعَ الرسالة ومختلفَ الـملائكة ومهبطَ الوحي» هذا الوصف لا يستحقه إلا رسول الله ﷺ وإن سائر الناس ليسوا مهبطاً لوحي الله. ومن الـممكن أن يقوم الغلاة بتأويلات واهية حتى يصرفوها عن معناها الواضح، وينسجوا لها احتمالات بعيدة ومعقدة.

٢- يقول للأئمة: «أقمتم حدوده» وهذا مخالف للتاريخ وإن الأئمة لم يكن لهم سلطة وحكم لإجراء الحدود الإلهية، سوى علي والحسن عليهما السلام.

٣- إن هذه الزيارة مثل كثير من الروايات والأدعية الـموضوعة، سمَّت الأئمة "بقيةَ الله"

واستدل أصحاب هذا الشأن في هذا المورد بآية ٣٣ من سورة الأحزاب. ونحن قد رددنا عليهم في مؤلفاتنا، ومنها في "قبس من القرآن" أثبتنا عدم صحة هذه الروايات والاستدلالات.

وورد فيها عبارة «إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» فهذه العبارة تخالف القرآن قال تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣].

وقال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

وسموا الأئمة حجة الله وهذا يخالف صريح القرآن إذ الأنبياء هم حجة الله في الأرض ولا حجة بعد رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقالوا إن الأئمة صراط الله ويعلم الجميع بل والصبي الذي يعلم "ألف وباء" أن نبي الله ﷺ والأئمة كانوا من سالكي الصراط المستقيم، ولو أنهم كانوا الصراط المستقيم لما احتاجوا أن يقولوا في صلاتهم ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إذ لكان المعنى اهدنا إلى أنفسنا!!!.

٤- المتعالمون الذين يقومون بترويج هذا الدعاء، وقراءته بين الناس هل يؤمنون به أم لا؟ لأنه ورد في الدعاء «ومن جحدكم كافر»، فالسؤال: إنه باستثناء الشيعة الاثني عشرية والشيعة الإسماعيلية، فالعالم الإسلامي جميعاً رغم محبتهم لآل البيت فإنهم لا يقبلون بأن إمامتهم وولايتهم هي المنصوص عليها. فهؤلاء إذاً كفار! ولو كانوا كفاراً فلماذا تتحدثون

دائماً عن الوحدة والأخوة بين الفرق الإسلامية وتدعون الشيعة والسنة إلى الاتحاد والاتفاق؟ هل تريدون أن تتحدوا مع الكفار؟ قال الإمام الصادق: «عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا لهم وعليهم وصلوا معهم في مساجدهم». [وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٨٢، الحديث الثامن] وقال الإمام موسى الكاظم: «صلى حسن وحسين عليهما السلام خلف مروان، ونحن نصلي معهم». [وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٨٧٣، الحديث التاسع]

فلو كان ما يقولونه صحيحاً فهل الاقتداء بالكافر صحيح؟ محمد التقى المعروف بالإمام الجواد أبوالإمام الهادي، أصبح صهراً للمأمون العباسي الذي كان منكراً لإمامته، فكيف يمكن أن يَعُدَّ ابن الإمام الهادي منكري الإمامة من الكافرين، فهل يقبل أبوه الزواج بالكفار؟

٥- يقول في الزيارة: «فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحِق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع، حيث لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل، ولا داني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم وكبر شأنكم، وتمام نوركم وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده»!! هذه الكلمات كذب صراح ولا دليل لها من الشرع، لأن كل إمام يجب أن يكون مؤمناً بالمرسلين وتابعاً لهم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به، فاتبعته وما اسْتنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقتديته». [نهج البلاغة، خطبة – ٢٠٥] وقال بعد أن ضربه ابن ملجم: «أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم ما لم تشردوا». [نهج البلاغة، خطبة- ١٤٩] فالتابع منزلتُه ليست أرفع من منزلة المتبوع فلا أدرى لماذا يسكت العلماء عن هذه الزيارة وهم يقولون إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرفع مقاماً من الأئمة فهل

يكذبون؟ ونسأل أيضاً: كيف تكون منزلة الإمام أرفعَ من منزلة الملائكة المقربين؟ وجبرئيل من الملائكة المقربين، وقد سماه الله بالكريم والأمين والمطاع والمكين [التكوير:٢٠] وجعله معلم خاتم الأنبياء قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ٦].فجبرئيل معلم النبي ﷺ والنبي ﷺ، معلم أمير المؤمنين علي عليه السلام بإقراره هو، فكيف تكون منزلة الطالب أرفع من منزلة المعلم؟ وأين دليله الشرعي في هذه المسألة؟ أن يجعل الله منزلة أحد اتباع نبيه ﷺ أرفع من منزلة الملائكة والأنبياء جميعاً؟ أليس هذا افتراءً على الله؟ ألم يعلموا أن الله قال: ﴿لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [طه: ٦١].

وقال: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

فهل قال الله عز وجل أن مقام أحد أتباع الأنبياء أرفع من مقام الأنبياء والمرسلين والملائكة أجمعين؟ لماذا تفترون على الله عند مزارات الأئمة؟ ألا تستحيون منه؟ إن الله عزوجل عاتب الذين يتحدثون دون دليل وينسبون ما يقولونه إلى الله عز وجل، وعَدَّ هذا من الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ..... وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالإمام الهادي لم يوصِ بهذه الزيارة إنما الشيطان هو الذي أوحاها إلى الراوي.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

ويقول في الزيارة: "لا يلحقه لاحق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع" نسأل: هل مقام الأئمة مقام جبري أو أنهم وصلوا إليه بعملهم وجهادهم واجتهادهم؟ لو قلتم مقام جبري لقلنا هذا ليس بفضيلة، لأنهم لم يصلوا إليه بإيمانهم وعملهم، فإن الله عز وجل جعل كل نهر وشجر معصوماً شاء أم أبى، ولكنه ربط المقام الكريم عنده بالعمل والسعي والبذل والعطاء فنقول: كل من اتَّبع الله ورسوله ﷺ يمكن أن يدخل في زمرة الذين يقربهم الله إليه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

قال رجل للرضا عليه السلام والله ما على وجه الأرض أشرف منك أباً. فقال: التقوى شرفهم وطاعة الله أحظتهم، فقال له آخر: أنت والله خير الناس، فقال له: لا تحلف يا هذا خير مني من كان أتقى لله تعالى وأطوع له، والله ما نسخت هذه الآية: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]. [عيون أخبار الرضا، باب ٥٨].

ويقول في الزيارة:" لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا داني ولا فاضل، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد ولا شيطان مَريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلا عرَّفهم جلالةَ أمركم، وعظم خطركم وكِبَر شأنكم، وتمام نوركم وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده»!! فنسأل هل الملوك والظالمون أمثال جنكيز وتيمور ولينين واستالين وهتلر وجونسون، كانوا يعلمون مقامات وأنوار الأئمة وصدقهم؟ وهل كل فرد فاسق وفاجر وكل شيطان متمرد، يعرف مقام الأئمة؟ إذا لم يكن هكذا فلماذا يقرأ المتعالمون هذه الأكاذيب؟ ولماذا يقبلون كل ما نقله أمثال المجلسي أو ابن طاووس و.....؟ فاذا لم يقبلوا لماذا لا يُطلعون الناس على هذه الأكاذيب؟

مما لاشك فيه أن الانتقادات الموجهة إلى الزيارة أكثر من هذا، وأن حالتي الأمنية والصحية وآثار السجن والنفي، كل هذا يحول بيني وبين الخوض في تفاصيل أكثر.

مع الناس

مما لا مراء فيه أن العلماء لا يتحرقون لحالة الناس، ولا يشعرون بأي مسؤولية ملقاة على كواهلهم، والناس أيضا لا يعرفون شيئاً فيقبلون كل ما جاء عن المتعالمين، أصحاب العمائم. إن الله عز وجل قد دعا الناس إلى التفكر والتأمل في القرآن، وهنا تتجه المسؤولية

نحو العلماء لأنهم لم يعودوا الناس على التأمل والتفكر، بل سكتوا خوفاً من الجاه والمقام، ولم يواجهوا الخرافات إلا نادراً، وهذا الوضع مستمر منذ زمن قديم، ورد في تاريخ ابن القوطي: أن الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم، ومات منه كثير من الناس فظهر أن امرأة ادعت أنها رأت في المنام امرأة من الجن تُكنى أم عنقود، قالت لها: إن ابني مات في هذه البئر، ولم يعزني فيه أحد، فلهذا أخنقكم، فشاع ذلك بين الناس، فقصد البئر المذكورة جماعة من العوام والنساء والصبيان، ونصبوا عند البئر خيمة، وأقاموا هناك العزاء وكان النساء ينحنَ ويلطمن وينشرن شعورهن وينشدن:

أي أم عنقـــــود اعـــــذرينا قـــد مـــات عنقـــود ومـــا درينـــا

لـمـــا درينـــا كلنـــا قـــد جئنـــا لا تحـــــر دينـــــا فتخنقينـــــا[1]

وفي إيران كتبوا في أحوال فرهاد ميرزا الذي كان من أولاد فتح علي شاه قاجار، وكان رجلاً فاضلاً، وله مؤلفات أمثال «زنبيل» و«قمقام»، عندما كان متصدياً لولاية خراسان وصل إلى سمعه صوت من مرقد الرضا عليه السلام. سأل: ما الخبر؟ قالوا: خبر سار فعل الإمام معجزة وأبرأ الله رجلاً أكمه، أمر فوراً باستدعاء الأكمه وسأله: هل كنت أعمىً منذ ولادتك أم طرأ عليك

---

١ – قال ابن الأثير رحمه الله: «في هذه السنة في ربيع الأول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون، فرأوا في البرية خياماً سوداً وسمعوا منها لطماً شديداً، وعويلاً كثيراً وقائلاً يقول: قد مات سيدوك ملك الجن وأي بلد لم يلطم أهله عليه ويعملوا له العزاء قلع أصله وأهلك أهله، فخرج كثير من النساء في البلاد إلى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن، وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة.

ولقد جرى في أيامنا نحن في الموصل وما والاها من البلاد إلى العراق وغيرها نحو هذا، وذلك أن الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس، فظهر أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتماً أصابه هذا المرض، فكثر فعل ذلك، وكانوا يقولون:

يا أم عنقود اعذرينا قد مات عنقود ما درينا

وكان النساء يلطمن وكذلك الأوباش».

العمى فيما بعد؟ قال: كنت أعمى منذ ولادتي فتوسلت بالإمام ليالي إلى أن جاءني في منامي ووضع يده على عينيي وبرئت. قال له ميرزا: هل ترى جيداً؟ قال: نعم. فاخرج ورقة من مكتبه وقال له: ما لونها؟ قال: أبيض. ثم رفع رماناً وسأله عن لونه. فقال: أحمر. ثم أخذ ورقاً وقال ما لونه قال: أخضر. قال له الـميرزا: برئت أمس وكنت أعمى منذ ولادتك، فكيف عرفت هذه الألوان؟ لا شك أنك تكذب فامر أن يُجلد حتى يصدق، فجُلد ثم اعترف وقال: كنت رجلا معدماً وأتيت إلى خراسان وطلبت الـمساعدة من خدام الـمزار فقال لي أحدهم: أقترح عليك أن تتظاهر بالعمى ونحبسك ليلتين في الضريح، ثم في الليلة الثالثة تقول برأني الإمام. فما يصبُّه لك الزوار من أموال فنصفها لك ونصفها لنا. فقبلت. استدعى فرهاد خادم ميرزا الخادم الـمذكور وقال له: هل تعتقد بان الإمام يشفي وان الله عز وجل يُعمي؟ هل إمامكم أكثر إحساناً من الله؟ فعزل الخادم الـمذكور.

وفي سفري إلى ميناء (بوشهر) شاهدت في يوم الأربعين أن الـمدينة خلت عن السكان. والناس خفافاً وثقالاً يذهبون إلى الزيارة، سألت: يذهبون إلى زيارة مَن؟ قالوا زيارة ابن للأئمة واسمه (سوز علي). قلت: ليس في أبناء الأئمة من هو اسمه (سوزعلي). قالوا: إن صاحب الـمزار له كرامات وكشف، ويفعل الـمعجزات ويشفي، وإن الناس يقطعون مسافات طويلة. تعجبت وذهبت في اليوم نفسه إلى بيت سيد أبي القاسم البهبهاني وكان مريضاً، فبعد عيادته سألته عن الإمام (سوزعلي). قال: لا تسأل لأن الإجابة تُسبب مشاكل. قلت: لا تخف إني لا أمكث هنا إلا قليلا ولا أبوح بهذا السر إلى أحد ما في الـمدينة، قال: إن الإنجليز أرادوا إحداث طريق من (الشيراز) إلى (بوشهر)، فواجهوا في الطريق مكاناً خرباً، وكان الناس يظنون أن شخصاً ما قد دُفن فيه، وكان ينام فيه رجل اسمه (سوزعلي) فهيأ الإنجليز صخرة ودفنوها على بعد مسافة ٢٠٠ متر من هذا الـمكان، وقالوا لسوز علي أن يقول كذباً أنه رأى في

الـمنام أنْ ليس هنا شخص مدفون بل إنه في مسافة ٢٠٠ متر من هذا الـمكان. انتشرت هذه الرؤيا الكاذبة وخرج الناس وحداناً وزرافاتٍ يصلون ويسلمون حاملين على أكتافهم معاول ومحاريث إلى أن عثروا على الصخرة ولكنهم تحيروا في تسمية القبر!! فاضطروا أن يسموه باسم هذا الـمتولي أي (سوز علي)، والآن أُنفقت مئات الآلاف وتحول إلى محل لإيقاد الشموع والأنوار وبذل النذر وما شابهها. وصل الحمق بالناس والاستهتار بعقولهم إلى أن حمل شخص حجراً إلى محلة في مدينة (مشهد)، وقال: من لم يكن من ولد الزنا فيستطيع أن يرفع هذا الحجر. فإذا بالناس يتوافدون إليه فوجاً إثر فوج ويسعون أن يرفعوه!!.

هذه نتيجة عدم الشعور بالـمسؤولية وتقاعس العلماء عن مهامهم الرئيسة، فأسفر كل هذا عن جهل الـمسلمين وانحطاطهم وغفلتهم. وفي مدينة (مشهد) وحدها آلاف من الـمتعالـمين!! يسترزقون باسم الإسلام ولكنهم لا يبينون الحقائق للناس.

اذكر أنني أثناء إقامتي في مشهد ذات يوم عند خروجي من الـمرقد، أمسك شاب بقميصي وقال باكياً: يا أيها الإمام لن اتركك حتى تقضي حاجتي، إصرار عجيب قلت: ما حاجتك؟ قال: أنت أعلم بحاجتي فكلما سألته عن حاجته أجاب: أنت أعلم بحاجتي. فسعيت للخلاص منه فاضطررت بأن أستعين بخُدَّام الزيارة فأبعدوه عني واستطعت الفرار منه. هذه حالة الناس نتيجة انتشار الخرافات، والسبب أن الناس لا يعرفون شيئاً عن القرآن الكريم ولا العلوم الإسلامية، وإن أكابرنا أيضا مبتلون بعدم الفهم الثاقب عن الدين، وينشرون كل شرك وكفر باسم الإمام، وهناك مجموعات اسم الـمداحين أو أصحاب الروضات يعطون الناس ما يشاؤون!!. وقد رأيت وقائع عجيبة من هذا القبيل، ومنها عند إقامتي في ولاية خراسان، رأيت ناقة في مرقد الإمام الرضا الذي بناه الشاه عباس شارب الخمر، إذ بأُناس يجتمعون حول هذه الناقة ويصرخون ويولولون، ويقولون: إن الناقة جاءت لزيارة الإمام !! فانتشر هذا الخبر

في الجرائد أيضاً دون نكير. قال لي شخص باسم (آية الله نمازي) ما رأيك في معجزة الناقة؟ قلت: فقط هذه الناقة لماذا لا تأتي أخواتها؟ قال: هذه الناقة من الشيعة ولها ولاية، وبقية النوق ليست كذلك. فآذوها كثيراً بل وأخذوا شعرها وباعوه للآخرين!! ورأيت أيضاً أحجاراً كبيرة في مرقد الإمام الرضا عليه السلام، قلت: لماذا لا يرفعونها قالوا: إنها جاءت للزيارة، قلت: كيف تزور الأحجار؟ قالوا: الحجر إيمانه كامل أما أنت لاشك لا تؤمن فإيمانك ناقص ففهمت وقته ما معنى الإيمان الكامل عند بعض الناس؟!

فوصل الأمر إلى درجة أنهم إذا وجدوا عظاماً نخرة أشاعوا بين الناس أن فلاناً رأى رؤيا أن في هذا المكان قبر ابن فلان، وأنه يشفي ويقضي حاجات الناس ويدفع عنهم البلاء، فيجتمع الناس ويجمعون المال وأثاث البيت وأموال الأوقاف ويقفونه على هذا المكان، والبعض يستغل سذاجة الناس في ملأ جيوبهم وكروشهم من هذه الموقوفات والنذور، فمثلاً بنوا مزاراً باسم جلال الدين أشرف في ولاية (كيلان)، وقيل: إنه أحد أبناء الأئمة بينما ليس في أبناء الأئمة من اسمه جلال الدين أشرف وكم أنفقوا على ضريحه من أموال.

قال أمير الشعراء شوقي:

أحياؤنا يسترزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات

يقال: إنه قال هذا الشعر في أيام القحط في مصر عندما رأى بأم عينيه أن من الناس من يحتاج إلى درهم واحد، وفي الوقت نفسه تُنثر آلاف الدراهم على أضرحة الأموات.

نتائج شيوع هذه الخرافات:

انتشرت بانتشار هذه الخرافات والروايات والأخبار الموضوعةِ مشكلاتٌ في العالم الإسلامي، وعلى كل عالم مسلم أن يواجهها بكل ما يستطيع ومن هذه المشاكل.

١- كثرة كتب الحديث غير المعتبرة والتي تجمع بين الحق والباطل، ويحار طلاب العلم الشرعي أمامها.

٢- التعصب المذهبي المقيت واحتقار العقل وعدم الإنصاف، والدفاع عن أمور غير مستندة.

٣- المباهاة بالجهل واستغلاله كوسيلة من قبل المتعالمين.

٤- إضاعة الوقت وتضييع المال في نشر الكتب الخرافية، ووقف كثير من الأموال على المقابر والإسراف فيها.

٥- نشر الشرك والخرافات بين الناس باسم المذهب، والاستفادة البشعة من اسم الأئمة.

٦- عدم الاقتداء بأفعال الأئمة كالجهاد في سبيل الله والسعي والجد والاجتهاد، والإقبال على أعمال تافهة كالزيارات والنذور والبكاء والعويل، وإقامة جماعات العزاء والتطبير و...

٧- نشر البدع والشعائر المصطنعة باسم الإسلام، وإهمال الأحكام الحقيقية للدين. ومن خطا خطوة يريد بها إنارة أذهان المسلمين، أو رفع قلماً ليكتب شيئاً في هذا السبيل، يقف حماة الخرافات باسم حماة الإمام الرضا والدفاع عن الأئمة له بالمرصاد، يتَّهمونه ويُكفِّرونه ويُفسِّقونه ولا يفسحون له المجال البتة أن يستمع الناس إليه.

ومناسبة تأليفي هذا الكتاب أن بعضاً من المنافقين الذين لا يؤمنون بالله ولا برسوله ﷺ قد نسبوا - باسم الإسلام وباسم إظهار المحبة لأهل بيت النبي ﷺ ومنذ قرون - كل شيء

إلى الإسلام، وجمعوا ما هو كفر وشرك يخالف القرآن والعقل ويهدم الدين، ويتسبب في انحطاط المسلمين وتشتيت شملهم، في كتب الزيارات والأدعية باسم الحديث والرواية، وقدموا الإسلام كأنه نسيج من الخرافات لا تمت إلى الحقيقة بصلة وأبعدوا الناس عن القرآن والمعارف الإسلامية باسم الكرامات والمعجزات وفضائل الأئمة، وأمروهم بتعظيم وتمجيد النبي ﷺ والإمام، ونسجوا لهم في زيارة القبور والمزارات أجوراً خيالية غير موافقة للعقل والقرآن، وشغلوا الناس بأمور عبثية، وغرسوا في الناس الخرافات باسم الدين ولم يخالفهم في ذلك العلماء، بل سكتوا عنهم وأيدوهم. فنحن في هذا الكتاب قد درسنا متوناً من هذه الزيارات راجين أن يتخلص الناس من مكرهم وكيدهم إن شاء الله.

مع القارئ:

إن العلماء قد أجمعوا على أن العبادة توقيفية، ولا تجوز عبادة إلا ما شرعه الله ورسوله ﷺ. فربما لا تألفون المطالب المندرجة في الكتاب، ولكن يجب عليكم أن تتأملوا في الأعمال التي تزاولونها بغية التقرب إلى الله، فتأملوا من جديد وتفكروا وضعوا نصب أعينكم هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. واجتنبوا الأعمال التي تفتقر إلى دليل شرعي، ومنها خرافات زيارة القبور والتوسل بغير الله والنذر لغير اللهو..

أرجو أن يضطركم هذا الكتاب لمراجعتكم أموراً قد تعودتم عليها، بل وعددتموها جائزة بل ومستحبة. وما توفيقنا إلا بالله وأرجو أن يجعل الله عملي هذا في ميزان حسناتي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خادم الشريعة المطهرة

سيد أبو الفضل ابن الرضا برقعي القمي

٢/ ٩/ ١٣٦٨هـ-ش